مقاصد رسائل النور

في ضوء القرآن الكريم

- دراسة تحليلية -

تأليف

أ.د عمّار جيدل

كليّة العلوم الإسلامية

جامعة الجزائر المركزية

- بن يوسف بن خدة -

∏

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه الغرّ الميامين، أما بعد؛

فأهدي هذا المؤلف إلى **الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي**[1] رائد المقاومة الإيمانية السلمية الهادئة والهادفة المؤسَّسة على العمل الإيجابي كمسلك محافظ على المكاسب ودافع للاقتصاد في الطاقات المادية والمعنوية للمجتمع.

كما أهديه إلى رائد الإصلاح العلمي والأدبي، إلى باعث النهضة الحركية العلمية والأدبية في الجزائر **الشيخ أحمد سحنون** – رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه[2]-ذلك الطود الشامخ الذي لم تحرّكه الخطوب ولم تزده إلا تشبّثا بمسلك التغيير المؤسس على العمل الإيجابي الهادئ والهادف والسلمي.

إهداء الكتابة إلى الأساطين والجهابذة مسؤولية عظيمة لا تقلّ أهمية عن الكتابة نفسها، ذلك أنّها تعلُّمٌ قبل أن تكون تبليغا أو

---

[1] - بديع الزمان سعيد النورسي (1294هـ-1379هـ)(1879م -1960/03/20م)ألف رسائل النور لمواجهة الخطر الذي كان يتهدد الإيمان في العصر الحديث، فشغل نفسه بمهمة رئيسة عرفت بـ"إثبات الحقائق الإيمانية"، وتتكوّن رسائل النور من تسع مجلدات عناوينها على النحو الآتي: الكلمات، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، المثنوي العربي النوري، الملاحق في فقه دعوة النور، صيقل الإسلام، السيرة الذاتية-ترجمة وافية من كلام الأستاذ وتلاميذه- انظر كتابنا بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق).

[2] - توفي رحمه الله في شهر نوفمبر من سنة 2003، وحضر تشييعه إلى مثواه الأخير جمع غفير من المؤمنين.

تمحيصا أو تكييفا، ويفرض هذا السعي في المتعلّم الصبرَ في التحصيل ومثله في التعبير عن المعرفة المحصّلة، إضافة إلى الالتزام بالخط الفكري لأولئك الأعلام وما يترتّب عليه من التزام اجتماعي.

يفرض فهمُ نصوص بديع الزمان حضورا في النص المراد تيسيره أو خدمته، وما يترتّب عن ذلك من مكابدة تفرضها طبيعة النص المقروء –رسائل النور-نص بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله.

ألّف بديع الزمان النورسي رسائل النور المكوّنة من مائة وثلاثين رسالة في فترات متنوّعة ومختلفة إجابة عن أسئلة فرضها الواقع الفكري والحضاري المتحرّك باستمرار، وهي أسئلة على تنوّعها تتمحور حول فكرة مركزية مفادها **"إثبات الحقائق الإيمانية وتثبيتها".**

نجح الأستاذ – بفضل الله - في الحصول على مبتغاه؛ فأسّس لتوجّهٍ جديد قوامه التفكر الإيماني والذكر الإيماني المترجَم في عمل إيماني.

و الله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين

استانبول

29 من جمادى الثانية 1425ه-

16من أغسطس 2004م

µ

رسائل النور موسوعة في المقاصد ومن أجْلِها وضِعت، فبها كانت وبها تستمر ومنها تستمد فاعليتها، إنّها سِفر غني بالحديث عن المقاصد، بحيث لا تخلو صفحة من صفحاته من تناول المقاصد بشكل أو بآخر، والحديث عن المقاصد حديث عن لبّ لباب الرسائل، إنّه حديث في صميم مؤلفات بديع الزمان النورسي.

يطرح بصدد الحديث عن مقاصد رسائل النور صلتها بمقاصد القرآن الكريم، فهل تمثّلُ امتدادا لها؟ أم أنّها تمثّل ثمرة من ثمرات القرآن الكريم؟

ومن مستأنفات ذلك التساؤل نقول: ما هي مصادر المقاصد في رسائل النور؟ وما هي أنواعها؟ وهل المقاصد في المطلق هي ذات المقاصد في الزمان؟ أم أن إلجاءات المكان وظروف الزمان تفرض تناول المسألة بطريقة مخصوصة تستجيب لسؤال الواقع؟ وتبيّن أهمية التكيّف مع المعطيات المتسارعة، تكيّفٌ تلجئ الظروف إلى الأخذ به في وضع الخطة وترتيب الأولويات.

إذا كان لبعض المتقدمين أن ينصحوا المسلمين بالسؤال عن المطلوب تجسيده أكثر من العناية بما يقال أو يروى، فالمطلوب وفق هذا المسلك أن لا نتساءل عن الروايات والأقوال، بل المطلوب أن نتساءل عن تجسيدها. من هذا المنطلق، فإنّ

استيعاب رسائل النور بشكل موضوعي يفرض استيعاب مقاصدها ليتسنى - حين التعامل مع رسائل النور - وضع المطلوب الجزئي في سياقه الكلي من جهة، واكتشاف أثر المعطيات المتسارعة في وضع خطّة التغيير من جهة ثانية، وتمثّلها من جهة ثالثة، كما يسعفنا في ترتيب الأولويات من جهة رابعة، مستفيدين من تجربة بديع الزمان في وضع الخطة وترتب الأولويات.

لهذا فالكلام في مقاصد رسائل النور ليس من قبيل الكلام الزائد، بل هو سعيٌ هادف ليس لغو كلام أو تصرف عبثي، بل يمثّل تأسيسا لقراءة هادفة تسهم في القراءة بالمقاصد والتخطيط بالمقاصد والتحرّك في إطار المساحات التي تتيحها المقاصد الكلية في إطار فترة تاريخية محددة، إنّها درس في نظر مقصدي ودرس في تطبيق مقصدي.

إلاّ أن الطّرقَ الموضوعي للموضوع يفرض وضع الفرضيات الهادية الآتية:

1 – المجموعة الأولى من الفرضيات:

أ - مثّلَ مصطلحُ المقاصد في رسائل النور فكرةً مركزية هادية، يستلهمها بديع الزمان في وضع المقاصد الكلية وفروعها.

ب - المقاصد في فكر بديع الزمان تمثّل ثمرةً من ثمرات القرآن الكريم، تَمثّلَ مضمونَها وحاول النسج على منواله في عرضها، بحيث بدت صورة مستلة منها.

ج - استقى بديع الزمان المقاصد من القرآن الكريم والسنة المطهّرة بما فيها السيرة العطرة للنبي ρ، كما استثمر المصادر الكونية والبشرية في تأكيد تلك المقاصد.

د - وضع بديع الزمان مقاصد جزئية فرعية مندمجة في المقاصد الكلية المستفادة من القرآن الكريم والسنة المطهّرة، وكانت استجابة لمعطيات الزمان وضغوط المكان.

ه- - الفرضيات الآنفة تؤكّد بمجموعها أهمية المقاصد في درس رسائل النور من جهة واكتشاف أبعادها من جهة أخرى، بحيث تغدو بمعزل عنها أشبه بنص يؤسّس للعبثية.

2 – المجموعة الثانية من الفرضيات:

أ - تستبعد أن يكون لمصطلح المقاصد وتوابعه وضعاً مركزيا في رسائل النور، فيعُد حضوره حسب هذا التحليل حضورا اعتباطيا لا تحكمه قاعدة مضبوطة.

ب - تمثّل مقاصد رسائل النور في فكر بديع الزمان مكابدة خاصة لا صلة لها بما ورد في الوحيين، ومن ثمّ فهي تمثّل تجربة خاصة مقطوعة الصلة بالمصادر الإسلامية.

ج - المقاصد الجزئية التي وضعها بديع الزمان غير مندمجة مع المقاصد الكلية، بل تكاد تكون غايات أملتها محاولات التكيّف مع المعطيات التي فرضها الغالب الموقت، فكانت مسعى للخضوع وليس مسعى لتجاوز الضغوط.

د – التسليم بالنسق الثاني من مجموعة الفرضيات يؤكّد أنّ المقاصد ليست شغلا مركزيا في فكر بديع الزمان، وبالتالي ليست هناك أهمية معرفية أو تربوية لدراسة مقاصد رسائل النور.

قبول المجموعة الأولى أو الثانية أو رفضهما أو التأسيس لبديل مركّب منهما بشكل يسمح بالخلوص إلى بيان المقاصد في رسائل النور من حيث الماهية والطبيعة والمصادر إضافة إلى رتبها، يفرض الإحاطة بالعناصر المشار إليها في فرشة البحث.

من منطلق تحقيق القول فيما سبقت الإشارة إليه نفيا أو إثباتا أو تعديلا، سنعرض مجموعة من القضايا المتجانسة فيما بينها متناغمة مع العنوان الرئيس للبحث، وبهذا الصدد سنتناول ما يأتي:

1. المقاصد: المصطلح والأهمية.
2. مصادر مقاصد رسائل النور ومميّزاتها.
3. المقاصد الكبرى في رسائل النور.
4. مقاصد رسائل النور في الزمان.
5. أبعاد أهمية بحث المقاصد ومفسدات فعاليتها في رسائل النور.

ونختم البحث بما انتهينا إليه بعد الاستقصاء والتحليل.

اعتمدتُ في إنجاز هذا البحث على ما أورده الأستاذ بديع الزمان في رسائل النور، ووظّفت للبحث والتحليل منهجا مركّبا

من الاستقراء والتحليل، فأعتمد الأول من أجل تتبّع الجزئيات من أجل الخلوص إلى قاعدة كلية تضبط الجزئيات، واستعملت معه التحليل تيسيرا لفهم النصوص أولا والخلوص إلى نتائج منسجمة مع المضامين(المقدمات) ثانيا، ويحكمنا في كلّ ذلك القراءة الهادفة الهادية إلى مكامن توظيف فكر بديع الزمان في التحليل والتركيب، إضافة إلى الاستفادة من المضمون نفسه.

يُعدّ هذا الكتاب اللبنة الأولى من سلسلة المقاصد في رسائل النور، تلحقها لبنات أخرى تيسّر تتبّعَ المقاصد في رسائل النور من زوايا وأبعاد متنوّعة، فتكون اللبنة الثانية – إن شاء الله - قراءة في وظائف مقاصد رسائل النور، تلحقها دراسات تتّبع مقاصد العقيدة والشريعة والتصوّف والدعوة ومسالكها في رسائل النور...

تلك رغبتنا وذلك هو برنامجنا، أسأل الله تعالى التوفيق إلى تحقيق هذه الغايات والأهداف.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين أجمعين..

الفصل الأول

المقاصد
المصطلح والأهمية

أولا: المصطلح ومتعلّقاته

نستهل الحديث عن المصطلح ومشتقاته ببيان فكرة مجملة عن مختلف المستويات، فركّزنا في البداية على مستوى العبارة الدالة على المصطلح ثم ألحقنا بها ما يفيد تلك المعاني إشارة.

المصطلح في سياق الحديث عن مقاصد رسائل النور يمثّل من حيث العنوان لفظا دقيقا أو مستوى قريب منه للدلالة على معنى مخصوص يستصحب في الغالب الأعم المعنى المعجمي الأصلي، فلفظ المقاصد مثلا تُستلّ دلالته المعجمية من لفظ مقصد وهو بدوره عالة على لفظ قصد، كما أنّ الدلالة الاصطلاحية تعود إلى المعنى نفسه، إذ يراد بالقصد لغة إتيان الشيء، وقصدت قصده، نحوت نحوه[1]، والمقصد في الاصطلاح لا يخرج عن الدلالة المعجمية الأصلية المشار إليها في العبارة الآنفة الذكر، أما ما يستفاد إشارة فيرجع إلى إفادة ذلك المعنى بطريق غير مباشر، وبهذا الصدد يحقّ لنا التساؤل الآتي، هل وظّف النورسي في مستويي العبارة والإشارة تلك المعاني؟هذا ما نحاول عرضه في الفقرة اللاحقة.

1 – مستوى المصطلح وتوابعه:

1 - انظر الصّحاح، تاج اللغة العربية، وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار/دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية 1399هـ-1979م، الجزء الثاني 524

يستعمل بديع الزمان العديد من المصطلحات التي تصبّ في الدلالة العامة للمقصد أو المقاصد، إذ يستشف منها الأهداف المرجوة من رسائل النور، وبطريق الاستقراء، خلصت إلى مجموعة هامة تخدم الغاية المرسومة، منها على سبيل المثال لا الحصر:المقصد والمقاصد، الهدف، الأهداف، العلّة الغائية، النتيجة، الفائدة، والوظيفة...مع شيء من التحقّظ في استعمال المصطلح سواء في دلالاته العامة أو دلالته في أدبيات بديع الزمان سعيد النورسي.

نبدأ العرض بذكر المصطلح المركزي (المقصد والمقاصد) ثم ننتقل إلى بيان سائر المصطلحات مع بيان صلتها بالمصطلحات المركزية في مقاصد رسائل النور.

أ - المقصد والمقاصد

لا خلاف بين قرّاء رسائل النور فضلا عن عشّاقها في أنّ مؤلفها يرمي إلى تحقيق مقصد رئيس ومجموعة من المقاصد الفرعية البحت، التي قد تكون كلّية باعتبار تحقيقها لمراتب متعلّقة بالضروري من الدين، فهي بهذا الوجه كلّية أصلية تعبّر عن مرتبة الضروري أو ما يقرب من معناه، وقسم آخر منه كلّي ولكنّه دونه من جهة الرتبة، فهو أقرب إلى الحاجي منه إلى

الضروري[1]، كتلك التي تتوقف وظيفة التبليغ على تحققها، وقسم من رتبة ثالثة يمكن إلحاقه برتبة التحسيني، بحيث يؤدي فقده إلى عسر المعالجة بشكل إجمالي، فالأول كجعل الشريعة في أصل وضعها مراعية لأوضاع الناس، جالبة لسعادتهم في الدارين (الدنيا والآخرة)، قال الأستاذ عبد الله دراز في تعليقه على كتاب الموافقات للشاطبي" المقصد الأول هو أنّها (الشريعة) وضعت لمصالح العباد في الدارين"[2]، والثانية كمقصد الإفهام من وضع ألفاظ الشريعة وصيغ تبليغها، والثالثة ما يتطلّبه اليسر بجميع أشكاله.

يتوجّه أولها إلى بيان أصل قصد الله في وضع التكاليف الشرعية المستفادة من القرآن الكريم والسنّة الشريفة، وقد عمل بديع الزمان على تجلية ذلك الأصل بالتركيز الكبير على بيان أنّ من أهمّ ما ترمي إليه رسائل النور(المعبّرة عن الشريعة) إثبات ارتباط الشريعة بمفهومها العام بمصالح العباد المعنوية والمادية، فمصالحهم المعنوية والمادية لا تُحقَّق بطريقة إنسانية هادفة واقتصادية إلا بالشريعة الغرّاء التي تعني الانسجام مع عناصر الكون المادية والمعنوية، لهذا كانت الآية المنظورة (الكون) متناغمة مع الآية المسطورة (الوحي)، وكلاهما يعمل في إطار

---

1 - الفكرة مقتبسة من الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان 13-8/2

2 - انظر تعليق الشيح عبد الله دراز على الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي 5/2

نظام شامل ومتكامل يخدم في آخر خلاصة له النظام والانتظام الكوني الشامل، ومن مظاهر ذلك خدمة مصالح الإنسان العاجلة والآجلة، يؤكّد هذا المعنى قوله رحمه الله"إن لمتصرّف هذا العالم حكمةً عامةً عالية(وهي ولاشك مقصد المقاصد)، بشهادات رعاية المصالح والفوائد في كل شيء".

يعرّج بعدها الأستاذ على شواهد وبراهين وحجج رعاية المصالح والفوائد في كلّ شيء، فيذكر دلالات الانتظامات والاهتمامات وحسن الصنعة في جميع المخلوقات، فقد تجلّت فيها الحكمة الحاكمة في سلطنة الربوبية، وما تقتضيه من تلطيف المطيعين الملتجئين إلى جناحها..ليس هذا فحسب، بل يشاهد أنّ له عدالة محضة حقيقية بشهادات وضعه كلّ شيء في الموضع اللائق، وإعطاء كلّ ذي حق حقّه الذي يستعد له، وإسعاف كلّ ذي حاجة حاجته التي يطلبها - لوجوده أو حفظ بقائه - وإجابة كل ذي سؤال سؤاله، وخاصة:إذا سئل بلسان الاستعداد أو بلسان الاحتياج الفطري أو بلسان الاضطرار.. فهذه العدالة تقتضي محافظة حشمة مالكيته، وربوبيته، بمحافظة حقوق عباده في محكمة كبرى، مع أنّ هذه الدار الفانية أقلّ وأحقر وأضيق وأصغر من أن تكون مظهراً لحقيقة تلك العدالة، فلابد حينئذ لهذا الملك العادل والرب الحكيم ذي الجمال الجليل والجلال الجميل

من جنة باقية وجهنم دائمة [1]، وفي كلّ ذلك أظهر مظاهر رعاية المقاصد في الخلق من جهة، والعناية بالمقاصد في رسائل النور.

كما أورد ذلك المعنى في خاتمة تعليقه على دليل من الأدلة العقيدية فيقول: " وزبدة هذا الدليل هي: إتقان الصنع في النظام الأكمل في الكائنات، وما فيها من رعاية المصالح والحكم، إذ النظام المندمج في الكائنات، وما فيه من رعاية المصالح والحكم، يدلّ على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة، وينفي نفياً قاطعاً وهم المصادفة والاتفاق الأعمى"، معللا المسألة بالإتقان الذي لا "يكون دون اختيار. فكل علم من العلوم الكونية شاهد صدق على النظام، ويشير إلى المصالح والثمرات المتدلية كالعناقيد في أغصان الموجودات، ويلوح في الوقت نفسه إلى الحكم والفوائد المستترة في ثنايا انقلاب الأحوال وتغيّر الأطوار."[2]

ولعلّ أوضح شاهد على تأكيد تلك الحقيقة ما ورد عنه في المجلّد الثامن من رسائل النور، حيث قال: " والخلقة مستلزمة لنتيجتها وهي الإنسان.. إنّ الغاية من الخلقة ونتيجتها الحياة وذوو الحياة وأشرفهم الإنسان فهو نتيجة الخلقة."[3]

من منطلق ما سبق بيانه، نخلص إلى التأكيد على أنّ المقصد الأعظم من رسائل النور هو خدمة الإنسان، ولا يخدم الإنسان

---

1 - انظر المثنوي العربي النوري 91

2 - المثنوي العربي النوري 428

3 - صيقل الإسلام 174

نفسه إلا إذا اكتشف وظيفته التي بيّنتها الرسائل بنور القرآن الكريم، فتخاطبه الرسائل قائلة:"أيها الإنسان! المقصد الأسمى من خلق هذا الكون هو قيامك أنت بعبودية كلية تجاه تظاهر الربوبية، وأنّ الغاية القصوى من خلقك أنت هي بلوغ تلك العبودية بالعلوم والكمالات."[1]، ولهذا كان المقصد الأول في سياق آخر، الحقائق الإيمانية[2] تلك التي تمثّل بالنسبة للإنسان أعلى خدمة وأسماها، ذلك أنّها تدفع الخلقة إلى تحقيق التكليف الشرعي الذي تعدّ العبودية مضمونه الرئيس.

تحقيق مسعى أصل مقصد الشارع في التكليف يفرض الاهتمام بلغة التبليغ ومضمونه ومستواه، وهو الأمر الذي دفعه إلى تركيز جهده على تحقيق تفهيم المخاطبين (جمهور رسائل النور) في جو ثقافي وحضاري مخصوص، يلزم المبلّغ استصحابه في صياغة رسائل النور بأسلوب مخصوص، وهو ما ترك آثاره الجلية على صيغة رسائل النور منهجا وموضوعا، إذ الرغبة في تحقيق مقصد الإفهام يوجب مراعاة عقليات المخاطبين واستعداداتهم، زيادة إلى استصحاب المعطيات الثقافية

---

1 - صيقل الإسلام 174

2 - الملاحق 148

والعلمية المؤثرة في صناعة وعيهم وتكوينهم[1]، يشهد لهذا نصوص بديع الزمان النورسي نفسه.

قال رحمه الله: " ونحن هنا سنحاول أن نقرّب إلى الأفهام شيئاً من تلك الحقيقة العالية ببعض الأمثلة، التي تساعد على ذلك، وهي على النحو الآتي: إذ ما نظر إلى هذه الكائنات نظر الحكمة، بدت كأنّها شجرة عظيمة وفي معناها، فكما أنّ الشجرة لها أغصان وأوراق وأزاهير وثمرات، ففي العالم السفلي - الذي هو شقٌّ من شجرة الخلقة - تشاهد أيضاً أنّ العناصر بمثابة أغصانه، والنباتات والأشجار في حكم أوراقه، والحيوانات كأنّها أزاهيره، والأناسي كأنّهم ثمراته، فالقانون الإلهي الجاري على الأشجار يلزم أن يكون جارياً أيضاً على هذه الشجرة العظمى، وذلك بمقتضى اسم الله"الحكيم". "[2]

وقد نسج بديع الزمان وفق مسلك القرآن الكريم في منهج تقرير حقائقه، فجعل الإفهام مقصدا رئيسا من رسائل النور، إذ حسن الإفهام ولطف الإرشاد من الأسس المهمّة في الإعجاز القرآني، وهما نور من هدي القرآن الكريم، يقتضيان أن تُبيَّن الحقائق الكلية والدساتير الغامضة العامة، في صور جزئية مألوفة للعوام الذين يمثلون معظم مخاطبي القرآن، وأن لا تبيّن

---

1 - انظر كتابنا بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية - المنهج والتطبيق - 42 - 48

2 - الكلمات 692

لأولئك البسطاء في تفكيرهم إلاّ طرفاً من تلك الحقائق المعظمة وصوراً بسيطة منها.. [1]

"إنّ بيان القرآن في (الإفهام والتعليم) خارق وذو لطافة وسلاسة، حتى أنّ أبسط شخص عامي يفهم -بتلك البيانات - أعظم حقيقة وأعمقها بيسر وسهولة[2]." ويرجع ذلك المقصد إلى كون"القرآن الكريم خطاباً أزلياً، يخاطب به الله سبحانه وتعالى مختلف طبقات البشرية المصطفّة خلف العصور ويرشدهم جميعاً، فلابد أنه يدرج معاني عدة لتلائم مختلف الأفهام"[3]، ذلك ما حاول بديع الزمان استحضاره حين صياغة رسائل النور.

ويرتبط تحقيق مسعى الإفهام بالعمل على تحقيق مقصد بيان مضمون التكاليف الشرعية والأحوال العارضة للأشخاص حين مباشرة تحقيقها وأثر كل ذلك على التكليف نفسه، وقد عمد النورسي إلى تحقيق القول فيها، منبّها إلى أصول الفكرة وسبل تصوّرها، وذلك ليبقى الإنسان مسئولا أمام التكاليف الشرعية. ومادام في الإنسان لطائف أخرى لا ترضخ لإرادة الإنسان كعدم رضوخها للتكاليف، بل لا تنقاد لتدبير العقل ولا تذعن لأوامر القلب والعقل لا يبقى مسؤولا أمام التكاليف الشرعية ... بشرط ألاّ يصدر عنه شيء ينافي حقائق الشرع وقواعد الإيمان إنكاراً

---

1 - الكلمات 272

2 - الكلمات 449

3 - انظر الكلمات 456، 482، 530، 531

أو تزيّيفاً أو استخفافاً" [1].. "ذلك أنّ تحقيق سعادة الدارين، وجلب لذّة لا يشوبها ألم، وأنس يخالط الشعور بالحقائق اللطيفة، إنّما ينال بالتزام التكاليف الشرعية وتقديرها بوساطة القلب المنتبه بدوام ذكر الله المستغرق الوقت كلّه أوجلّه على الأقل، بحيث تكون الغفلة استثناء وليست قاعدة محكّمة، ويعينه على ذلك المنهج التربوي للطريقة. وبذلك تكون الطاعة والعبادة مثار اشتياق وحب، لا مثار تعب وتكليف.." [2]

وعرّج بديع الزمان على مقاصد فرعية صرف للرسائل، ذكرها رحمه الله في سياقات كثيرة، تتعلّق في الغالب بالتعليق على قضايا ومسائل جزئية يقتضيها السياق أو الغاية التربوية[3]، منها إشارته إلى أهداف ومقاصد جزئية منخرطة في سلك المقاصد الأصلية، كقوله بأنّ " أقدس هدف لأقدس جمعية في العالم هو الاتحاد والأخوّة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله. فالجنود المؤمنون قاطبة يُدعون إلى هذا الهدف.."[4]

تلك المقاصد المشار إليها بقوله:"أقدس هدف لأقدس جمعية في العالم هو الاتحاد والأخوّة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله"

---

1 - انظر المكتوبات 586

2 - انظر المكتوبات

3 - انظر الكلمات 596، 608، 634، 635، 651، 723، 728، 732، 737، ...المكتوبات 44، إشارات الإعجاز 59 ، 60 ،الملاحق 331، صيقل الإسلام 120، 121، 135، 159، 162، ...

4 - سيرة ذاتية 107

تمثّل غايات جزئية مقارنة إلى المقصد الرئيس المعبّر عنه برعاية مصالح العباد[1]

بعد عرض تعبير المقاصد عن نفسها لفظا ومعنى وإشارة واضحة بيّنة، يحسن بنا الانتقال إلى بيان المصطلحات المنخرطة في سلك خدمة تلك الحقيقة، فنبدأ بعرض صلة المقصد بتلك المصطلحات، ومظاهر الدلالة على قصد المقصد في تلك المصطلحات.

ب - الغاية والمقصد:

تستعمل رسائل النور مصطلح الغاية في كثير من الأحيان تعبيرا عن المقاصد المتوخاة من التأليف، وقد انتهى بديع الزمان إلى الاعتداد بها ولكن بشروط، منها؛ أن تكون الغاية واضحة ومعتبرة، معتدّا بها، ومقصودة في الخطاب ومهمّة ومخصوصة، قال رحمه الله:"والغاية فتلزم أن تكون معتدّة ومعتبرة ومقصودة ومهمّة، ومخصوصة[2]، وإذا تعدّرت تلك الشروط لا يلتفت إليها.

كما عبّر عنها في سياقات أخرى بالعلّة الغائية، واشترط فيها كسابقتها مجموعة من المواصفات، مواصفات تجعلها معدّة للتأثير حال أخذها بعين الاعتبار، ورد عنه في سياق التعليق على نظم الآية: (**يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً**)، قوله:" هو : أنّها

---

1 - العبارة واضحة إذ القصد التأكيد على أنّها جزئية مقارنة إلى المقاصد الأصلية، وإن كانت من حيث هي قد تكون كلية أصلية.

2 - صيقل الإسلام 248

جواب عن صورة استفهامهم، فلغاية الإيجاز نـزلت الغايةُ والعاقبةُ منـزلة العلة الغائية كأنهم يسألون ويقولون: لأي شيء كان هكذا؟ ولِمَ لم يكن إعجازه بديهيا؟ ولِمَ لم يكن كونه كلام الله ضرورياً؟ ولِمَ صار معرض الأوهام بسبب هذه الأمثال؟ فأجاب القرآن بقوله: [يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً] أي: لأجل(لقصد أو مقصده كذا...) أنّ من تفكّر فيه بنور الإيمان ازداد نوراً. ومن تفكّر بظلمة الكفر والتنقيد ازداد ظلمة.. وهذا لأجل أنّه نظريّ ليس بديهياً.. وهذا لأجل (بقصد) تفريق الأرواح الصافية العلوية عن الأرواح الكدرة السفلية.. وهذا لأجل (لقصد) تمييز الاستعدادات العالية بالنشوء والنماء عن الاستعدادات الخبيثة.. وهذا لأجل تمييز الفطرة الصحيحة بالتكمل والمجاهدة والاجتهاد عن الفطرة المتفسخّة الفاسدة.. وهذا لأجل أنّ امتحان البشر يستلزمه.. وهذا لأجل أنّ الابتلاء يقتضيه..[1]

تلاحظ أنّه وظّف في المقطع القصير الآنف الذكر لفظ (لأجل) بمعنى المقصد سبع مرات، وقد وظّف في الفقرة السابقة بدلالات مختلفة متنوّعة:

مقصد جزئي متعلّق ببيان تربوي له بُعدٌ عقلي ومنهجي ظاهر، يشهد له التأكيد على أثر التفكر بنور الإيمان في الرؤية الموضوعية لعالم الأشياء، وبيّن في السياق نفسه أثر التفكر

1 - إشارات الإعجاز 206

بظلمة الكفر في تكريس النظرة غير الموضوعية للعوالم نفسها، يشهد له قوله: لأجل(لقصد أو مقصده كذا...) أنّ من تفكّر فيه بنور الإيمان ازداد نوراً. ومن تفكّر بظلمة الكفر والنقد غير الراشد ازداد ظلمة..

مقصد جزئي آخر أكّد فيه أيضا أن المسائل النظرية تحتاج إلى خلفية نظرية صحيحة إضافة إلى مسلك منهجي صحيح وموضوعي، يؤكّده قوله: وهذا لأجل أنّه نظريّ ليس بديهياً..

مقصد جزئي ثالث مفاده إفادة ذلك المسلك في تفريق الأرواح الصافية العلوية عن الأرواح الكدرة السفلية.. وامتدادا له جاء مقصد جزئي رابع غرضه تمييز الاستعدادات العالية بالنشوء والنماء عن الاستعدادات الخبيثة..

تخدم المقاصد الجزئية السابقة مقصدا جزئيا رابعا، تميّزت بموجبه الفطرة الصحيحة بالتكمّل والمجاهدة والاجتهاد عن الفطرة المتفسخّة الفاسدة..

تنتهي المقاصد الجزئية السالفة الذكر إلى خدمة مقصد جزئي خامس مفاده أنّ امتحان البشر يستلزمه.. وهذا بدوره يؤكّد أنها من مقتضيات الابتلاء.

كما اعتبر رحمه الله جملة معيّنة بمثابة فهرس للغايات الأساسية للقرآن الكريم، فقد ذكر في سياق التعليق على ما تضمّنته البسملة تلك المعاني، فقال: "وكذا في "البسملة" جهات: من الاستعانة والتبرك والموضوعية بل الغايتية والفهرستية للنقط

الأساسية في القرآن."[1]، ويوضّح ذلك المعنى بشكل مقنع، إذ بيّن في سياق الحديث عن المقصد بعنوان الغاية، أنّ الخلقة مستلزمة لنتيجتها وهي الإنسان وهذا يدل على أنّ الغاية من الخلقة ونتيجتها الحياة وذوو الحياة وأشرفهم الإنسان فهو نتيجة الخلقة.[2]

وذكر في مقام آخر أنّ العلّة الغائية تعبّر عن الفائدة الجزئية "والعلة الغائية فيها الفائدة الجزئية"[3]، والفائدة الجزئية في حقيقة الأمر مقصد جزئي يندرج في إطار المقاصد الكبرى، كما سنبيّنه لاحقا، إن شاء الله.

الغاية صحيحة والهدف خطأ:

استعمل بديع الزمان الغاية والهدف في بعض نصوص رسائل النور بمعنيين مختلفين، فكانت الغاية معبّرة عن المقصد الأصلي، والهدف معبّرا عن المقصد المرحلي الذي قد يكون صحيحا مناسبا للغاية وقد لا يكون كذلك، وأحسن مثال لبيان هذه المعاني قوله:" لقد أحس "سعيد القديم" ما أحسّه عدد من دهاة السياسة وفطاحل الأدباء، بأنّ استبداداً مريعاً مقبلٌ على الأمة، فتصدّوا له، ولكنّ هذا الإحساس المسبَق كان بحاجة إلى تأويل وتعبير، إذ هاجموا ما رأوه من ظل ضعيف لاستبدادات تأتي بعد

1 - إشارات الإعجاز 40

2 - انظر صيقل الإسلام 174

3 - إشارات الإعجاز 223

مدة مديدة وألقت في نفوسهم الرعب. فحسبوا ظل استبدادٍ - ليس له إلاّ الاسم - استبداداً أصيلاً، فهاجموه، فالغاية صحيحة إلاّ أن الهدف خطأ."[1]

استعمل النورسي الهدف بمعنى المقصد الفرعي أو الجزئي الذي قد يخطئ المرء في تصوّره أو تمثّله، كالذي وقع لدعاة التحرر من المسلمين والأتراك – في العصر الأخير، "فقد أحسوا بالاستبداد - بالحس قبل الوقوع - فصوّبوا له سهامهم وهاجموه بشدة، إلا أنّهم انخدعوا انخداعاً كلياً، و أخطأوا الهدف، إذ هاجموا في غير موقع الجبهة"[2].

أشار رحمه الله إلى التمييز بين الغاية والهدف، فقد تكون الغاية كمقصد كلي نبيلة، إلا أن الخلوص إلى تحقيق ذلك المقصد يقتضي في إطار إلجاءات الزمان والمكان مواجهته في سياق ظهوره العيني المحدد، إلاّ أنّ الناس قد يخطئون في مواجهة ما كان سببا في تعطيل القصد، فيهاجمون ما يعتقدونه معطّلا إلا أنّهم يخطئون الهدف مع صحة المقصد، أي يقرّ الأستاذ بصحة القصد ونبالته، ولكن الهدف غير صحيح، كأنّه يشير إلى أنّ صحة القصد لا تغني عن وجوب العمل العلمي الدقيق المحدد للهدف الموافق للمقصد وفق ما يصادفه الباحث أو المبلّغ من ضغوط المكان والزمان.

---

1 - الملاحق126 سيرة ذاتية 76

2 - الشعاعات 123

من مقتضيات بيان الصلة بين المقصد والهدف عرض العلاقة بينهما، من هنا سنتناول في النقطة اللاحقة الصلة بينهما.

ج - الهدف والمقصد :

استعمل بديع الزمان الهدف بمعاني مختلفة، فجعله في مقام بمعنى القصد[1]، ويُرى أيضا ذلك الاستعمال في سياق التعليق على بعض الأحداث حيث يقول:" عندما نادى من كانوا يجودون بأرواحهم للإسلام من أصحاب الهمم بالدعوة إلى المشروطية[2]، والذين كانوا يعتقدون أنّ نعمة المشروطية غاية المنى وجوهر الحياة، وجدّوا في تطبيق تفرعاتها وفق الشريعة مرشدين المسؤولين في الدولة وموجّهين لهم للتوجه إلى القبلة في صلاة العدالة طالبين إعلاء الشريعة المقدسة حقاً بقوة المشروطية، وإبقاء المشروطية بقوة الشريعة، محمّلين مخالفة الشريعة السيئات السابقة جميعَها، فما أن نادى هؤلاء بهذا النداء وقاموا بتطبيق بعض الأمور الفرعية إذا ببعض مَن لا يميّز يمينه عن شماله يبرز أمامهم ويجابهونهم ظناً منهم أنّ الشريعة تشدّ أزر الاستبداد - حاشاها - فقلّدوا كالببغاء منادين: "بأنّا نطالب بالشريعة " فاختفى الهدف ولم يعد يُفهم القصد الحقيقي، وانجر الوضع إلى ما رأيتم. ومعلوم أنّ الخطط قد مُهّدت وحيكت من قبل. فلما آل الأمر إلى هذا هجم بعض من يتقنع كذباً بالحمية على

---

1 - صيقل الإسلام 27

2 - النظام الدستوري.

ذلك الاسم السامي، واعترضوا متعدين عليه. فدونكم نقطة سوداء مظلمة جديرة بالاعتبار "[1].

يلاحظ في هذا السياق توظيف الهدف بمعنى القصد الحقيقي، كأنّه يجعل للمصطلحين حقيقة واحدة، ووظّف في مقام آخر بمعنى الهدف الجزئي الذي يعدّ شرطا رئيسا في تحقيق الهدف الكلي أو الأصلي، يستشف هذا المعنى من قوله:"إنّ أسمى جمعية وأقدسها في الوقت الحاضر، هي جمعية الجنود المؤمنين، فجميع الذين انخرطوا في سلك الجندية المؤمنة المضحية ابتداءً من الجندي إلى القائد هم داخلون في هذه الجمعية. إذ إن أقدس هدف لأقدس جمعية في العالم هو الإتحاد والأخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله. فالجنود المؤمنون قاطبة يدعون إلى هذا الهدف. ألاّ أن الجنود هم المراكز، فعلى الأمة والجمعيات أن ينتسبوا إلى الجنود. إذ الجمعيات الأخرى ما هي إلاّ لجعل الأمة جنوداً في المحبة والأخوة. أما الإتحاد المحمدي الذي هو شامل لجميع المؤمنين فهو ليس جمعية ولا حزباً، إذ مركزه وصفّه الأول المجاهدون والشهداء والعلماء والمرشدون."[2]

د - النتيجة والمقصد:

تمثّل النتيجة باعتبار المآل مقصدا جزئيا، ولكنّه يمكن أن يكون مقصدا كليا، إلاّ أنّ الخلوص إلى النتيجة الصحيحة يقتضي

1 - صيقل الإسلام 406

2 - سيرة ذاتية 107

وجود مقدّمات من وزنها وقيمتها، بشرط أن تكون المقدمات أوضح من النتيجة نفسها، وتكون صلتها بها واضحة جلية، وإلاّ امتنع أن تكون دالة عليها.

وبهذا الصدد ترى أنّ رسائل النور استعملت النظر في الموجودات مقصدا جزئيا لنيل جلّ المقاصد الأصلية(التوحيد، النبوة، الحشر، العدالة)، وقد استفادت الرسائل ذلك التوظيف من استعمالات القرآن الكريم، منها تأكيد بديع الزمان على أنّ القرآن الكريم يبحث في الكائنات استطرادا (وهذا مقصد فرعي وليس مقصدا أصليا) للاستدلال على ذات الله وصفاته وأسمائه الحسنى (مقصد أصلي)... وعلى هذا يستخدم الموجودات دليلاً وبرهاناً، ومن شرط الدليل أن يكون ظاهراً وأظهرَ من النتيجة أمام نظر الجمهور[1].

والنتيجة باعتبارها مقصد مآل التصرّف والاختيار، اعتبر بديع الزمان التنبيه إليها من الوسائل المقنعة بجدوى التصرّفات المختارة أو عدم جدواها، لهذا يمكن اعتباره تنبيها بالمقصد المعبّر عنه في هذا السياق بالنتيجة، كأنّه يقول ناصحا المسلم، إذا أردت اكتشاف جدوى أفعالك فتساءل عن النتيجة المنتظرة منها، فإن وجدتها طيّبة حسنة أقبلت، وإن وجدت غير ذلك أدبرت، يقول بديع الزمان سعيد النورسي:" إذا أردت أن تنبّه المخاطب

---

1 - انظر الكلمات 266، المكتوبات 269

على عدم الفائدة في فعل نفسه بوجه لطيف مقنع لابد أن تستفهم ليتوجه ذهنُه إلى فعله فينتقل منه إلى النتيجة فيطمئن.. "[1]، وقد عبّر عنها في مقام آخر بالربط بين النتيجة والمقدّمة[2].

ونظرا للصلة الموضوعية بين المقدّمة والنتيجة، نبّه النورسي إلى ذلك في قوله: "وجود الثمرة قطعي ويقين كقطعية ويقين وجود الغصن.. ووجود النتيجة يقين كيقين وجود السلسلة.. ووجود المخزن يقين كيقين وجود المحاصيل.. ووجود الحوض يقين كيقين وجود النهر.. ووجود موضع التجلي يقين كيقين وجود الرحمة والقهر."[3]، إنّها علاقة لزوم المقدّمة للنتيجة.

حتى غدت العلاقة بين النتيجة والمقدّمة مترابطة لا تقع اعتباطا، ولم تحدث لغير ما مغزى، ويتيقّن بأنّ كل شيء حدث له وكأنّه كان ينبغي أن يحدث على الشكل الذي حدث به وبالطريقة عينها التي حدث بها، وأنّه النتيجة المتوقعة لسلسلة من المقدمات التي سبقته فلا تقبل نتيجة سواها، فالأحداث أو الأقدار - تأنيساً لبني البشر - لا تأتي مغايرة لمن تقع لهم، بل تأتي شبيهة بهم وبأعمالهم، وبما ينطوي عليه كيانهم البشري من أصول البطولة أو الخسّة، ومن جذور النقاء أو الدنس. وصدق الله العظيم حيث

---

1 - إشارات الإعجاز 76

2 - إشارات الإعجاز 228

3 - المكتوبات 12

يقول: [قُلْ كُلٌ يَعْمَلُ عَلى شَاكِلَتِهِ] (الإسراء: 84) فعلى شاكلة هذه الأعمال، وبسببها وعلى قدْرها يقع القدر، وينفذ القضاء."[1]

يستشف مما سلف تقريره أن النتيجة في سياقات كثيرة من رسائل النور ترد بمعنى المقصد، فعبّرت أحيانا عن المقصد الكلي ولكنّها في الغالب تعبّر عن المقاصد الفرعية أو الجزئية، إلا أنّها في الغالب تكون من طبيعة تربوية منهجية بالدرجة الأولى، أكثر مما تتناول بالعرض تفاصيل متعلّقة بمسألة اجتماعية معيّنة، أي يركّز عرضها على الجوانب المنهجية ذات البعد التربوي أكثر من عرض قضايا اجتماعية فرعية، وإن عرضها أحيانا في مثل تلك السياقات فهي استثناء وليست قاعدة عامة.

عرض المقصد الكلي[2]بعنوان النتيجة في مثل قوله:" إنّ الحقائق الاثنتي عشرة السابقة يؤيّد بعضها البعض الآخر، وتكمل إحداها الأخرى وتسندها وتدعمها، فتتبيّن النتيجة من مجموعها واتحادها معاً. فأيّ وَهْم يمكنه أن ينفذ من هذه الأسوار الاثني عشر الحديد، بل الألماس المنيعة ليزعزع الإيمان بالحشر المحصّن بالحصن الحصين"[3].

---

1 - المثنوي العربي النوري 21

2- كلي بحكم اندراج جزئيات فرعية خلص إلى تقعيدها باستقراء وتتبّع الجزئيات في سياق ظهورها.

3 - الكلمات 98

هـ - الحكمة والمقصد:

يذكر النورسي أنّه يتراءى من الحكمة القصد، كأنّها قصد المقصد، "نعم، إنّ حُلّة "الحكمة" التي يتراءى منها القصد والشعور والإرادة قد أسبغت على الكون كلّه وجُلّلت كل جوانبه. وخُلِعَتْ على حلة الحكمة هذه حلّةُ "العناية" التي تشف عن اللّطف والتزيين والتحسين والإحسان، وعلى هذه الحلة القشيبة للعناية ألقيت حلّةُ "الرحمة" التي يتألق منها بريق التودّد والتعرف والإنعام والإكرام وهي تغمر الكون كلّه وتضمه. وصفَّت على هذه الحلّة المنوّرة للرحمة العامة"[1].

ووُظّفت الحكمة في رسائل النور بوصفها طريقا إلى اكتشاف المقاصد" نعم، إنّ هذه الموجودات، ابتداءً من الذرات إلى الشموس، سواءً أكانت أفراداً أم أنواعاً وسواءً أكانت صغيرة أم كبيرة، قد ألبست ثوباً رائعاً جداً، نُسج هذا الثوب من قماش "الحكمة" المزيّن بنقوش الثمرات والنتائج والغايات والفوائد والمصالح.. وأكسيت بحلّةِ "العناية" المطرزة بأزاهير اللطف والإحسان قدّت وفصلت حسب قامة كلّ شيء ومقاس كل موجود.. وعلى حلّة العناية هذه قُلّدت شارات "الرحمة" الساطعة ببريق التودّد والتكرّم والتحنّن، والمتلألئة بلمعات الإنعام والأفضال... وعلى تلك الشارات المرصّعة المنوّرة نُصبت مائدةُ

1 - الكلمات 338

"الرزق" العام على امتداد سطح الأرض بما يكفي جميع طوائف ذوي الحياة وبما يفي سد جميع حاجاتهم."[1]، فكان القصد من رؤية الحكمة اكتشاف قصد واضعها في أصل وضعها.

وقد استعملت الحكمة دليلا على قصد الحكيم وهي برهان ساطع على أصول المقاصد وفروعها، بحسب زاوية النظر، "فالنظر في الكون يشير إشارة واضحة إلى حكيم مطلق الحكمة، وكريم مطلق الكرم، ورحيم مطلق الرحمة، ورزاق مطلق الرزق."[2] وما أسماء الله الحسنى إلا تعبيراً عن قصود في الأسماء والأفعال المتجلية عنها في حياة الإنسان المادية والمعنوية.

يعبّر عن بعض المقاصد الجزئية بالحكمة المتجلية في بعض مظاهر تجليات الأسماء الحسنى، كالتجليات المستفادة من اسم"الجواد"، " ففي تعدد الغايات هذا يكمن سر التوفيق بين "الحكمة والجود" أي بين " الاقتصاد والسخاء المطلقين" اللذين يبدوان كالضدين والنقيضين. وتوضيح ذلك:إذا لوحظت غاية بمفردها فإنّ الجود والسخاء يسودان آنذاك، ويتجلى اسم "الجواد"، فالثمار والحبوب حسب تلك الغاية المفردة الملحوظة لا تعد ولا تحصى. أي أنّها تفيد جوداً مطلقاً وسخاء لا حصر له. أما إذا لوحظت الغايات كلّها فإنّ الحكمة هي التي تظهر وتهيمن،

---

1 - الكلمات 339

2 - الكلمات 339

ويتجلى اسم "الحكيم". فتكون الحِكَم والغايات المتوخاة من ثمرة لشجرة واحدة بعدد ثمار تلك الشجرة، فتتوزع هذه الغايات على الأقسام الثلاثة التي سبق ذكرها، فهذه الغايات(المقاصد) العامة تشير إلى حكمة غير نهائية، واقتصاد غير محدد، فتجتمع الحكمة المطلقة مع الجود المطلق اللذان يبدوان كالضدين"[1].

كما تُعبّر أحيانا عن المقاصد الخفية المستفادة بطريق التأمّل، مثال ذلك:"إن إحدى الغايات من الجيش هي المحافظة على الأمن والنظام، فإذا نظرت إلى الجيش بهذا المنظار فسترى أنّ هناك عدداً فوق المطلوب منه. أمّا إذا نظرنا إليه مع أخذنا الغايات الأخرى بنظر الاعتبار كحفظ الحدود، ومجاهدة الأعداء وغيرها، عند ذلك نرى أنّ العدد يكاد يفي بالحد المطلوب.. فهو إذن توازن دقيق بميزان الحكمة. إذ تجتمع "حكمة" الحكومة مع "عظمتها". وهكذا يمكن القول في هذه الحالة: أنّ الجيش ليس فوق الحد المطلوب"[2]

ولو نظر إلى الحكمة من زاوية الوظيفة التربوية العامة لكانت مقصودة في سياق آثارها المتجلية في الأفعال الإلهية في الكون، ولكانت بهذه الصفة مقصدا أساسيا من مقاصد الله في أفعاله الكونية، يرى هذا المعنى في تأكيد بديع الزمان على مقتضيات الحكمة الإلهية في الكون، من نحو قوله:"إنّ الحكمة الإلهية

---

1 - الكلمات 79

2 - الكلمات 79

وحاكميتها، التي لا تهمل أصغر مخلوق دون أجر، أو دون كمال، أو دون مقام، لما يقوم به من وظيفة، كيف تهمل مأموريها ومستخدميها الكثيرين جداً، الذرات.. دون نور، أو دون أجر."[1]، كما يتجلّى المعنى ذاته في قوله:" ولأجل تدريس مثل هذا الكتاب وتعليمه تعليماً كلياً وشاملاً جميع حقائقه، تقتضي الحكمة سيراً وسلوكاً في غاية السمو والرفعة."[2]

و - الفائدة والمقصد:

استعملت رسائل النور الفائدة بمعنى المقصد في كثير من الأحيان، واستعملتها أيضا بمعنى الغاية المرحلية التي يتوخّى بلوغها بأعمال منجزة من طبيعة خاصة أو نوع خاص، كأنّها تكوّن دافع التوجّه إلى الفعل، وهي بهذه الصفة بمثابة مقاصد مرحلية تمثّل قوّة دفع لإنجاز عمل مخصوص متعلّق بها تعلّقا مباشرا، يتّضح الأمر بالمثال الآتي: "رأيت عدداً من الأشخاص - من أهل التقوى - يرغبون في الدين ويحبون أن يقيموا أوامره كي يوفقوا في حياتهم الدنيوية ويفلحوا في أعمالهم. حتى أنّ منهم من يطلب الطريقة الصوفية لأجل ما فيها من كرامات وكشفيات. بمعنى أنّه يجعل رغبته في الآخرة وثمارها تكئة ومرتبة سلّم للوصول إلى أمور دنيوية، ولا يعلم هذا أنّ الحقائق الدينية التي هي أساس السعادة الدنيوية كما هي أساس السعادة الأخروية، لا

1 - انظر الكلمات661 663، 684

2 - الكلمات 688

تكون فوائدها الدنيوية إلاّ مرجّحة ومشوّقة(أي تكوّن دافعا جزئيا ومقصدا مرحليا) إلا أنّها لو ارتقت تلك الفائدة إلى مرتبة العلة لعمل البر، فإنها تبطله، وفي الأقل يفسد إخلاصه، ويذهب ثوابه. وقد ثبت بالتجربة أنّ أفضل منقذ من ظلم هذا العصر المريض الغادر المشئوم ومن ظلماته الدامسة، هو النور الذي تشعه رسائل النور بموازينها الدقيقة وموازناتها السديدة.يشهد على صدق هذا أربعون ألف شاهد."[1].

لهذا يجب أن تنـزل تلك المقاصد (العرضية) الجزئية المعبّر عنها بالفوائد منـزلتها الحقيقية، وأن لا نجاوز بها طورها، لأنّنا إن تجاوزنا بها ذلك، أفضت إلى تعطيل نتائجها السننية، بل ونسف المقاصد الأصلية، مما سيؤثر على تلك المقاصد الجزئية(الفوائد) في قابل الأيام.

2 - رتب المقاصد وطرق التعبير عنها في رسائل النور

تعدّدت وتنوّعت رتب مقاصد رسائل النور، وينظر إليها باعتبارات مختلفة، فهي باعتبار المضمون كلية وفرعية (جزئية) أو ما يدور في فلكهما كالأصلية والمقصد العالي، ومقصد المقاصد والمقصد الحقيقي ...كما يطلق مقابلها على مقاصد جزئية متعلّقة بقضايا ومسائل جزئية تفهم في سياقها الذي ذكرت فيه، وهي باعتبار المقصد في المخاطب، ظاهرية أو باطنية أو

---

1 - سيرة ذاتية 309

جامعة بينهما، وإضافة إلى ما سلف يمكن أن ينظر إليها - من زاوية وظيفية صرف - باعتبار مصدرها والأصل في وضعها، فيقال مقاصد إلهية ذلك أنّها إلهية في أصل وضعها، إلا أنّ الضرورات المنهجية تنبّه إلى المقاصد الإنسانية والمقاصد في عالم النبات وعالم الجماد ...بل وفي كلّ شيء في الكون، والتنبيه إليها لا باعتبارها مناقضة أو مزاحمة للمقاصد الإلهية بل باعتبارها وجها من وجوه بيان مقاصد الله في الإنسان، فهي أشبه بالتوضيح للمقاصد الإلهية المتجلية في الإنسان.

أ - مختلف مستويات المقاصد:

استعمل بديع الزمان النورسي في التعبير عن المقاصد أساليب مختلفة، تعبّر بمجموعها عن رتب المقاصد في رسائل النور، نقتصر في هذا المقام على ما صرّح به في الرسائل.

- المقاصد الإلهية:

استعمل بديع الزمان مصطلح المقاصد الإلهية تعبيرا عما لاح له من تجليات الغايات الربانية من خلق الكون في عناصره المادية والمعنوية، استتشف ذلك الأمر من القرآن الكريم أهم مصدر للحقائق الإيمانية والكونية، تلك الحقائق التي يخلص إلى اكتشاف حقيقتها كل عاقل، بل جميع أرباب العقول، بما يلقّنه القرآن الكريم من دروس مقدسة سامية وإرشادات حكيمة.. وليبيّن بأجمل صورة وأجلاها المقاصد الإلهية بالقرآن العظيم، حيث بيّن أنّ للصانع "الحَكَم الحكيم".. وليستقبل بأكمل مقابلة

وأتمها مظاهر الحكمة البالغة والجمال والجلال المتجلية في الآفاق. فإنسانٌ هذه مهمته، إنسان ضروري وجوده (أي يمثّل مقصدا أساسيا في الكون)، بل يستلزمه هذا الكون، كضرورة الشمس ولزومها له".[1]

وفي سياق الحديث عن تلك المقاصد اعتبر الإنسان أعظم مقصد من المقاصد الإلهية في الكون، "وقد جعله الخالق الحكيم مؤهّلا لإدراك الخطاب الرباني، واختاره سبحانه من بين مخلوقاته، واصطفى من بين الإنسان المكرّم مَن هو أكمل وأفضل وأعظم إنسان بأعماله وآثاره الكاملة، ليكون موضع خطابه الجليل باسم النوع الإنساني كافة، بل باسم الكائنات جميعاً".[2]

ووظّف العنوان نفسه في سياقات مختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر قوله: "إنّ هذا الكون مثلما يدلّ على صانعه، وكاتبه، ومصوّره الذي أوجده، والذي يديره، ويرتبه، ويتصرّف فيه بالتصوير والتقدير والتدبير كأنّه قصر باذخ، أو كأنّه كتاب كبير، أو كأنّه معرض بديع، أو كأنّه مشهر عظيم، فهو كذلك يستدعي لا محالة وجود مَن يعبّر عما في هذا الكتاب الكبير من معانٍ، ويعلم ويعلِم المقاصد الإلهية من وراء خلق الكون، ويعلّم الحكم الربانية في تحولاته وتبدلاته، ويدرّس نتائج حركاته

1 - اللمعات 537

2 - اللمعات 555

الوظيفية، ويعلن قيمة ماهيته وكمالات ما فيه من الموجودات، أي يقتضي داعياً عظيماً، ومنادياً صادقاً، وأستاذاً محققاً، ومعلماً بارعاً. ... فالكون - من حيث هذا الاقتضاء - يدل ويشهد على صدق هذا النبي ρ.[1]

ويظهر أنّ بديع الزمان عبّر عن الرتب بأساليب وألفاظ متنوّعة، تحمل في عباراتها الدليل على مستويات مختلفة من المقاصد، منها على سبيل المثال لا الحصر، المقصد الحقيقي، مقصد المقاصد، المقاصد الكلية ومقابلها المقاصد الجزئية ....

- المقصد الحقيقي:

استعمل بديع الزمان رتبة المقصد الحقيقي بمعنى مقصد المقاصد، صرّح بهذا المعنى في سياق تعليقه على الشرور والقبائح الجزئية المبثوثة في الكون، فيقول:"وأمثال هذه الشرور والقبائح الجزئية خُلقت في الكون لتكون وسيلة لإظهار أنواع الخير والجمال الكلّيين، وهكذا يثبت بالاستقراء التام أن المقصد الحقيقي في الكون والغاية الأساسية في الخلق إنّما هو :الخير والحسن والكمال، لذا فالإنسان الذي لوّث وجه الأرض بكفره الظالم وعصيانه الله لا يمكن أن يفلت من العقاب، ويذهب إلى العدم من دون أن يحق عليه المقصود الحقيقي في الكون. بل سيدخل سجن جهنم" [2]

---

1 - المكتوبات 284

2 - صيقل الإسلام 502

يؤكّد مضمون المصطلح "المقصد الحقيقي" البُعد الإنساني لرسائل النور، إذ لخّص الأستاذ المقصد الحقيقي في الكون والغاية الأساسية في الخلق بأسلوب واضح بيّن، أكّده حصرا في الخير والحسن والكمال، سواء تعلّق الأمر بتذكير المؤمن تحبيبا أو ترهيب الكافر تنفيرا له عما هو عليه من تصوّرات خ□طئة وتصرّفات طائشة.

- مقصد المقاصد:

استعمل في سياق آخر ما يقرب من المعنى السابق، وسماه مقصد المقاصد مبيّنا فيها الغايات النهائية والمقاصد الكبرى، يشهد لهذا الاستعمال قوله:" إنّ الذي يعطي الكلام عظمة وسعة هو :أنّ المقاصد القادمة من أبعد هدف وأعلاه - وهو مقصد المقاصد - يرتبط بعضها ببعض، ويكمل أحدها نقصان الآخر، ويؤدي الواحد منها حق جاره، حتى كأنّ وضع هذا في موضعه يمكّن الآخر في مكانه، ويقرّ الآخر في مستقره.. وهكذا كلٌ يأخذ محله الملائم له، فتنصب تلك المقاصد في قصر الكلام المشيد بملاحظة نسب يمين هذا وشماله وكل جهاته. وكأن المتكلم استعار عقولاً إلى عقله للتعاون، وغدا كل مقصد من تلك المقاصد جزءاً تشترك فيه التصاوير المتداخلة، بمثل ما إذا وضع رسام نقطة سوداء في صور متداخلة، فإنها تكون عين هذا

ومنخر ذاك وفم هذا وشامة ذلك.. وهكذا ففي الكلام الرفيع نقاط أمثال هذه ..[1]

- المقصد العالي:

أورد الأستاذ في مقام آخر استعمالا مميّزا يكاد يكون فريدا في السياق العام لرسائل النور، فقد استعمل مصطلح المقصد العالي، ومن مضامين ذلك المقصد النبيل التأكيد على أنّ أفضل خصالنا ومقتضى ديننا هو أن نقول بروحنا وجسدنا ووجداننا وفكرنا وبكل قوانا: "إن متنا، فأمتنا الإسلامية حية، وهي باقية خالدة فلتحيا أمتنا ولتسلم، وحسبنا الثواب الأخروي، فإنّ حياتنا المعنوية التي في حياة الأمة تحيينا وتعيّشنا، وتجعلنا في نشوة ولذة في العالم العلوي، فينبغي أن نجعل الدساتير النورانية للنور والحميّة لنا دستوراً ..

يتطلّب هذا المسلك أن نحفر بالفكر الديني الإسلامي في جوف الأمة حوضاً للمعرفة والمحبّة - كحوض الكوثر – ونسدّ بالمعارف والعلوم ثغرات تحتها يسيل منها الماء، ونفتح بالفضيلة الإسلامية المسائل التي تصب الماء فيه. هناك نبع كبير ضائع أسيء استعماله إلى يومنا هذا فجرى في الأرض السبخة الرملية فما أدّى إلاّ إلى ترعرع متسوّلين عجزة.. فشيّدوا مجرىً جميلاً

---

1 - صيقل الإسلام110

له وصُبوا الماء بالمساعي الشرعية إلى ذلك الحوض ثم سقوا بستان كمالاتكم به، فهذا نبعٌ لا ينضب ولا ينفد أبداً"[1].

يفرض تبني المقصد العالي التركيز على خدمة الأمّة لا الأفراد، فينبغي التأكيد على أنّ الإحسان إنّما يكون إحساناً حقاً إن كان للأسرة الإنسانية أي للنوع أو للمحتاج أو الفقير، وعنده يكون السخاء سخاءً حقاً، وإذا كان السخاء لأجل الأمة، أو للفرد الذي تعد خدمته خدمة الأمة، فهو سخاء جميل، ولكن إن كان لغير المحتاج يعوّده الكسل والتسوّل والخلاصة: إن الأمة باقية، بينما الفرد فانٍ.

خدمة الأمّة إذاً مقصد أعلى من خدمة الأفراد، من ثمّ كانت خدمة الأمة خدمة للأفراد ولا عكس، لهذا ختم الأستاذ كلامه، بالتأكيد على أنّ هذا الزمان أكّد بدوره وكشف بما لا يدع مجالا للشك احتياج الملّية وفتح الباب لهذا المقصد العالي.[2]

وتعبّر مصطلحات المقصد العالي والمقصد الأصلي والمقصد الكلي عن وجه من وجوه مقاصد القرآن الكريم، والتي سمّاها بديع الزمان بالمقاصد الأساسية للقرآن الكريم.

ب - المقاصد الكلية والجزئية

أول مظاهر تبويب النورسي للمقاصد تقسيمها إلى مقاصد كلية ومقاصد جزئية، وقد ذكرها في أكثر من موضع، عرضها

---

1 - انظر صيقل الإسلام 416

2- انظر صيقل الإسلام 415 - 420

في مقام بيان المقاصد الكلية في القرآن الكريم، يشهد لهذا الاستعمال قوله:" اعلم أنّ في ختم الآيات في الأغلب بفذلكات متضمّنة للأسماء الحسنى، أو بعينها، أو متضمنة للأمر بالتفكّر والحوالة على العقل، أو متضمنة لأمر كلي من المقاصد القرآنية، شرارات من نور حكمته العلوية ورشّات من ماء هدايته الإلهية، إذ القرآن الحكيم ببيانه الإعجازي، يبسط الآثار وأفعال الصانع للنظر، ثم يستخرج منها الأسماء، أو ثبوت الحشر، أو التوحيد"[1]

ويصرّح في سياق آخر بهذه المعاني، فيتّخذ من الإنسان مثالا لتوضيحها، إذ في الإنسان من المطالب الدقيقة الجزئية والخفية جداً تخص راحة قلبه وسلامته، وله أيضاً من المقاصد الكلية المحيطة ما هو مدار لبقاء روحه وسعادتها، بحيث لا يمكن أن يحققها له إلاّ من يبصر ما لا يُرى من أرق حجب القلب ويهتم بها ويسمع ما لا يُسمع من أخفى الأصوات ويستجيب لها، ومن له القدرة على تسخير السموات والأرض في وظائف جليلة كتسخير الجندي المنقاد للأوامر. وكذا فإنّ جميع أجهزة الإنسان ومشاعره تأخذ مكانة رفيعة بسر التوحيد، في حين تسقط إلى هاوية سحيقة بالكفر والشرك.[2]

---

1 - المثنوي العربي النوري 458

2 - انظر الشعاعات19

جليّ مما سبق بيانه أنّ الأستاذ يوظّف المصطلحين، فيذكر مقاصد كلية تندرج فيها مقاصد جزئية، تتعلّق بمسائل تندرج في الإطار الكلي المشار إليه أعلاه.

ج - المقصد الأصلي والمقصد التبعي

ويقسّم المقاصد في سياق آخر إلى مقاصد أصلية ومقاصد فرعية، يربطهما رباط التكاتف تحقيقا للغايات الجزئية والكلية، وقد ذكر ذلك التقسيم حين الحديث عن مقاصد القرآن الكريم، يشهد لهذا الاستعمال قوله رحمه الله:" اعلم! أنّ المقصد الأصليّ في القرآن الكريم إرشادُ الجمهور إلى أربعة أساسات هي: إثبات الصانع الواحد، والنبوّة، والحشر، والعدالة.. فذكرُ الكائنات في القرآن الكريم إنّما هو تبعيّ واستطراديّ للاستدلال، إذ ما نـزل القرآن لدرس الجغرافيا والقوزموغرافيا، بل إنّما ذكرَ الكائنات للاستدلال بالصنعة الإلهية والنظام البديع على النظّام الحقيقي جلّ جلاله. والحال أنّ أثر الصنعة والعمد والنظام يتراءى في كل شيء. وكيف كان التشكل فلا علينا، إذ لا يتعلق بالمقصد الأصلي، فحينئذ مادام أنّه يبحث عنها للاستدلال، ومادام أنّه يجب كونه معلوما قبل المدعى، ومادام أنّه يستحسن وضوح الدليل.. كيف لا يقتضي الإرشادُ والبلاغةُ تأنيسَ معتقداتهم الحسية، ومماشاة معلوماتهم الأدبية بإمالة بعض ظواهر النصوص، إليها،

لا ليدلّ عليها بل من قبيل الكنايات أو مستتبعات التراكيب مع وضع قرائن وأمارات تشير إلى الحقيقة لأهل التحقيق."[1]

واستعمل مصطلح المقصد الأصلي في سياق آخر، أشار فيه إلى أنّ ذكر الكائنات في القرآن الكريم تبعي واستطرادي بمعنى ليس مقصدا أصليا بل مقصدا تبعيا، يؤكّد هذا المعني قوله:" إنّ المقصد الأصلي للشارع الحكيم من إرشاد الجمهور محصور في إثبات الصانع الواحد والنبوة والحشر والعدالة. لذا فذكر الكائنات في القرآن إنّما هو تبعي واستطرادي، للاستدلال.أي الاستدلال بالنّظام البديع في الصنعة - الظاهرة لإفهام الجمهور - على المنظّم الحقيقي جلّ جلاله. والحال أنّ أثر الصنعة ونظامها يتراءى في كل شيء. وكيف كان التشكّل فلا علينا إذ لا يتعلق بالمقصد الأصلي."[2]

وقد عبّر عن المقصد الأصلي في سياق آخر بالغرض الأصلي، كإشارته إلى الغرض الأصلي المستفاد من تحديد المقصد[3].

ويقابل المقصد الأصلي في الاستعمال المقصد التبعي، وفق ما صرّح به الأستاذ في النص المذكور سابقا، ومعلوم أنّ المقاصد التبعية تخدم المقاصد الأصلية وتنخرط في سلك خدمتها توضيحا

1 - إشارات الإعجاز 77
2 - صيقل الإسلام 155
3 - صيقل الإسلام 101

وتحقيقا، إذ لا يتصوّر تحقق المقاصد الأصلية بغير تحقق المقاصد التبعية، فالصلة بينهما عضوية.

ثانيا: صيغة عرض المقاصد الكلية والمقاصد الجزئية:

عرضت المقاصد الكلية والجزئية في شكل لافت للانتباه، ويؤكّد ذلك العرض التأسيس المعرفي المنهجي لتلك الكليات وما يندرج فيها من جزئيات، وتتأكّد المزاولة المنهجية في النقاط الآتية:

1 - المقاصد الكلية جواب لأسئلة متكررة متفاوتة:

المقاصد الكلية جواب لأسئلة متكررة متفاوتة، تنتهي إلى التمازج والاتحاد، كأنّها جواب لسؤال واحد، جاءت بياناً لحادثات أحكامٍ متعدّدة متغايرة، مع كمال الانتظام كأنّ الحادثة واحدة..

ويتوافق بهذا الصدد الكتاب المنظور(الكون) مع الكتاب المسطور(الوحي)، فتجد كلا منهما متضمناً لتنـزلات أو أفعال إلهية في أساليب تناسب أفهام المخاطبين، فالكتاب المسطور له تنـزلات تناسب الخلق من جهة الأفهام، ولاسيما، المنـزل عليه " عليه السلام" بحالات في التلقي متنوعة متخالفة، مع غاية التماثل والسلاسة، كأنّ الحالة واحدة.. وجاء متكلماً متوجهاً إلى أصناف مخاطبين متعددة متباعدة، مع سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الإفهام كأنّ المخاطب واحد، بحيث يظنّ كلُ صنف كأنّه المخاطب بالأصالة.. ونـزل مهدياً وموصلاً لغايات إرشادية متدرجة متفاوتة، مع كمال الاستقامة والنظام والموازنة كأن

المقصد واحد، تدور تلك المقاصد والغايات على الأقطاب الأربعة وهي: " التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة ". فبسرّ امتلائه من التوحيد، التأم وامتزج وانتظم واتحد.[1]

يمكن أن نقرر مما سلف أنّه مع تعدد المقاصد الكلية وتنوّع المقاصد الجزئية المندرجة فيها يشمل جميع تساؤلات البشر وحاجاتهم، كأنّها تجيبهم إلى طلبهم من غير طلب منهم، ليس هذا فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى تقرير المطلوب في أنماط متنوّعة تشبع الحاجة إلى معرفة المقاصد الكلية والجزئية وزيادة.

2 – تنوّع صيغ التعبير عن المقاصد:

تذكر المقاصد الكلية بأشكال مختلفة متنوّعة تخدم أهدافا كلية تضبطها المقاصد الكلية، ذلك أنّ القرآن الكريم قد يذكر بعضاً من المقاصد الجزئية، ثم لأجل أن يحوّل تلك الجزئيات إلى قاعدة كلية، يجيلَ الأذهان فيها.

من ذلك مثلا تثبيت وإثبات المقصد الجزئي وتأكيده بالأسماء الحسنى التي هي قاعدة كلية، ولأجل جعل هذا المقصد الجزئي كلياً تفيد الآية بأنّ الذي يسمع أدنى حادثة من المخلوقات ويراها، يلزم أن يكون ذلك الذي يسمع كل شيء ويراه، وهو المنـزه عن الممكنات.والذي يكون رباً للكون لا بدّ أن يرى ما في الكون أجمع من مظالم ويسمع شكوى المظلومين، فالذي لا يرى

---

1 - المثنوي العربي النوري 230

مصائبهم ولا يسمع استغاثاتهم لا يمكن أن يكون رباً لهم، ومن أمثلة ذلك على رأي النورسي، أنّ جملة (إن الله سميع بصير) تبين حقيقتين عظيمتين. كما جعلت المقصد الجزئي أمراً كلياً[1]، أي أنّ الخلوص إلى الإقرار القطعي بالمقصد الجزئي إنّما ثبت بالتكرر المفيد تقرير النتيجة وصحتها وإن كانت جزئية، ذلك أنّ تنوّع وجوه تكرار الجزئيات وتعدّدها يقرر كلية المقصد الجزئي وقطعيته من زاويتي الثبوت أولا والجزئية ثانيا.

3– صيغة التكامل بين المقاصد الجزئية الكلية:

تؤكد الصيغ المشار إليها أعلاه الدور التكاملي بين المقاصد الجزئية والكلية، بحيث يستحيل تصوّر مقصد كلي بغير مقصد جزئي من الناحية النظرية البحت، والمحال نفسه معدوم من الناحية العملية الصرف، لهذا فالمقاصد الجزئية تخدم المقاصد الكلية خدمة مباشرة، وتمثّل فرشتها الضرورية كما أن المقاصد الكلية تمثّل العمد، وهي الأهداف الكبرى التي تتوخى المقاصد الجزئية تحقيقها.

4 – تربوية وتعليمية عرض المقاصد:

يبيّن القرآن الكريم الحقائق النورانية بجميع فروعها وأغصانها وبجميع غاياتها وثمراتها بياناً في منتهى التوافق والانسجام بحيث لا تعيق حقيقةٌ حقيقةً أخرى ولا يفسد حكمُ حقيقةٍ

---

1 - انظر الكلمات496- 497

حُكْماً لأخرى، ولا تستوحش حقيقة من غيرها..وعلى هذه الصورة المتجانسة المتناسقة بيّنَ القرآن الكريم حقائق الأسماء الإلهية والصفات الجليلة والشؤون الربانية والأفعال الحكيمة بياناً معجزاً بحيث جعل جميع أهل الكشف والحقيقة وجميع أولي المعرفة والحكمة الذين يجولون في عالم الملكوت، يصّدقونه قائلين أمام جمال بيانه المعجز والإعجابُ يغمرهم: سبحان الله! ما أصوبَ هذا! وما أكثر انسجامه وتوافقه وتطابقه مع الحقيقة وما أجمله وأليقه.[1]

يمضي القرآن الكريم - بجميع آياته المتوجهة للكون (أي الآيات الكونية) - على هذا الأساس، فيكشف عن حقيقة الدنيا كما هي، ويبيّنها للأنظار. ويصرف نظر الإنسان ببيانه إلى مدى دمامة وجه الدنيا القبيح - بتلك الآيات - ليتوجه إلى الوجه الصبوح الجميل للدنيا الجميلة، ذلك الوجه المتوجه إلى الصانع الجليل. فيوجّه نظر الإنسان إلى هذا الوجه، ملقناً إيّاه الحكمة الصائبة والفلسفة الحقّة بما يعلّمه من معاني كتاب الكون الكبير مع التفاته إلى حروفه ونقوشه، من دون أن يبدّد جهوده فيما لا يعنيه من أمور نقوش الحروف الزائلة كما تفعله الفلسفة الثملة العاشقة للقبح، حيث أنسته النظر إلى المعنى والمغزى.[2]، أي

1 - الكلمات 507

2 - الكلمات511

غفلت عن تحديد مقاصد فضلا عن السعي إلى تحقيق أهداف إنسانية.

ويبين بالإعجاز نفسه " الكون" الذي يراه الغافلون فضاء موحشاً بلا نهاية، وجمادات مضطربة بلا روح تتدحرج في دوامة الفراق والآلام، يبيّنه القرآن: كتاباً بليغاً، كتبه الأحد الصمد، ومدينة منسّقة عمّرها الرحمن الرحيم، ومعرضاً بديعاً أقامه الربّ الكريم لإشهار مصنوعاته، فيبعث بهذا البيان حياة في تلك الجمادات، ويجعل بعضها يسعى لإمداد الآخر، وكل جزء يغيث الآخر ويعينه، كأنّه يحاوره محاورة ودية صميمة، فكلّ شيء مسخّر وكلّ شيء أنيط به وظيفة وواجب... وهكذا يلقي القرآن دروس الحكمة الحقيقية والعلم المنوّر إلى الإنس والجن والملائكة كافة.فلا ريب أنّ هذا القرآن العظيم - الذي له هذا الإعجاز في البيان - قمين بأن يحوز خواص راقية عالية، وميزات مقدسة سامية.[1]

---

1 - الكلمات 527

الفصل الثاني

مصادر مقاصد رسائل النور ومميّزاتها

أولا : مصادر التعريف بمقاصد رسائل النور

تستشف رسائل النور مقاصدها ومضمون تلك المقاصد من المصادر الإسلامية المعتمدة في فنون المعارف الإسلامية عموما، فكانت عناية بديع الزمان بالوحيين (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) جليّة واضحة باعتبارهما مصدرين رئيسين للمعارف الإسلامية عموما والمقاصد على الخصوص، لهذا بوّأ الوحيين الصدارة تأسيسا للمقاصد وبيانها وتمحيصها، واستأنس في تأكيد ذلك الأمر بالواقع الكوني والبشري المستشف من تاريخ العالم والإنسانية.

1 - المصدر الأول: القرآن الكريم:

يعدّ القرآن الكريم كتاب المسلمين الأول، فهو مصدر معارفهم الدينية، يعرّفهم بربّهم ونبيّهم والمعاد والعدالة، وقد عبّر عن تلك الحقائق بالعبارات الواضحة البيّنة، عبارات وألفاظ لا تحتمل التأويل أيّدتها إشارات كثيرة.

أخبر القرآن الكريم بتلك المقاصد بصريح اللفظ و بأبْيَن الأساليب، فهو "مثلما أجرى من بحر علومه، علومَ الشريعة المتعددة الوفيرة، وعلومَ الحقيقة المتنوعة الغزيرة، وعلومَ الطريقةِ المختلفة غير المحدودة، فإنّه أجرى كذلك من ذلك البحر بسخاء وانتظام، الحكمة الحقيقية لدائرة الممكنات، والعلومَ

الحقيقية لدائرة الوجوب والمعارف الغامضة لدائرة الآخرة."[1]، وكل ذلك تعبير عن المقاصد بصريح العبارة، ذلك أنّ بيان علوم الشريعة والحقيقة يكون مشفوعا ببيان مقاصدها التي يشهد لها الانتظام بما ييسّر لها الانخراط في سلك خدمة الإنسان.

يمثّل القرآن الكريم حسب تعبير رسائل النور وجوها متعددة للخدمة المعرفية والعقدية والفكرية والتربوية، فيظهر أنّها متكثّرة ومنسجمة يظهر فيها التكامل والشمول، نلخصها من زاوية وظيفية في المجملات الآتية:

أ – الناحية المعرفية ببعدَيها المعرفي والتربوي الإنساني:

يمثّل القرآن الكريم مصدرا رئيسا لمعارف مخصوصة، معارف لها بعدها المعرفي والإنساني، بحيث يظهر المضمون الإنساني المطلوب في صيغته زيادة إلى مضمونه، ويتجلى فيما يأتي:

- الناحية المعرفية ذات البعد الإنساني:

نحاول في هذا السياق الاقتباس من أقوال الأستاذ النورسي، ونعرضها في شكل بنود مركّزة، وإليك بيان ذلك:

- يمثّل الكتاب الكريم الترجمةَ الأزلية لكتاب الكائنات الكبير..

---

1 - الكلمات 457

- يمثّل الترجمانُ الأبدي لألسنتها المتنوعة التالية للآيات التكوينية..
- يعدّ مفسّر كتاب عالَم الغيب والشهادة..
- إنّه كشّافٌ لمخفيات الكنوز المعنوية للأسماء الإلهية المستترة في صحائف السماوات والأرض..
- الكتاب المسطور مفتاح لحقائق الشؤون المضمَرة في سطور الحادثات..
- إنّه لسان عالَم الغيب في عالم الشهادة..
- خزينةٌ للمخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية الواردة من عالم الغيب المستور وراء حجاب عالم الشهادة.
- القرآن الكريم شمسُ عالم الإسلام المعنوي وأساسُه وهندسته..
- الوحي خريطةٌ مقدسةٌ للعوالم الأخروية..
- إنّه القولُ الشارح والتفسيرُ الواضح والبرهانُ القاطع والترجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه..

- الناحية التربوية ذات البعد الإنساني:

لا يتوقف البعد عند الناحية التربوية، بل يجاوزها إلى الناحية التربوية ذات البعد الإنساني، وتحقق ذلك الأمر بتوزّعها على كل ميادين الفعل الإنساني، ولا يمكن الخلوص إلى تلك النتائج إلاّ إذا استصحب المتعامل معه الميزات الآتية:

- الكتاب الكريم هو المربي لهذا العالم الإنساني..
- يمثّل ماء وضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلام..
- القرآن الكريم ليس مصدر الحكمة فحسب، بل هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر..
- يعد الكتاب الكريم المرشد المهدي إلى ما يسوق الإنسانية إلى السعادة..

ب – الناحية المعرفية والتربوية الخاصة بالإنسان:

يتجاوز القصد مجرد إثبات وتثبيت البعد الإنساني المتجلي في بعديه المعرفي والتربوي، إنّه سعي إلى تقرير تلك الحقائق وتمكينها من قلب الإنسان نفسه، إنّه لا يمكن أن يدفع إلى تحقيق تلك الأبعاد الإنسانية ما لم يكن هو نفسه مشبعا بتلك الميزات، والتشبّع بتلك الميزات يفرض معرفتها وهذا يوجب التعامل مع القرآن الكريم بطريقة مخصوصة، فهو ليس مجرّد كتاب، بل هو كتاب رب العالمين، والتسليم بهذا يفرض الإقرار بالحقائق الآتية:

- يمثّل الكتاب الكريم بالنسبة للإنسان:كتاب شريعةٍ.
- القرآن الكريم هو كتابُ حكمةٍ وليس مجرد مصدر للحكمة.
- القرآن العظيم بيّن من مضمونه وأسمائه أنّه كتابُ دعاءٍ وعبوديةٍ، كتابُ أمرٍ ودعوة، كتابُ ذكرٍ، كتابُ فكرٍ.. إنّه كتاب الصلة بين الإنسان وربه.

- إنّه الكتاب الوحيد المقدس الجامع لكلّ الكتب التي تحقق جميع حاجات الإنسان المعنوية.
- يتميّز القرآن العظيم بموافقته لمختلف المشارب، فأبرز لمشرَب كلِّ واحدٍ من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كلّ واحدٍ من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالةً لائقةً لمذاق ذلك المشرَب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره.
- القرآن الكريم كتاب سماوي أشبهُ ما يكون بمكتبةٍ مقدسةٍ مشحونةٍ بالكتب.[1]

ج - تعبير القرآن الكريم عن المقاصد:

يعبّر القرآن الكريم عن تحقيق مقاصده بأساليب تربوية بديعة، فيعبّر عن مقصد الحشر بأمثلة واقعية جزئية معيشة، فيصرّح "أنّ الذي يبعث أجساد الأحياء قاطبة من غير شيء كأنّها أفراد جيش ضخم بكمال الانتظام وبميزان الحكمة، ويجمع ذرات تلك الأجساد ولطائفها ويحفظها بأمر " كن فيكون "في كل قرن، بل في كل ربيع، على وجه الأرض كافة، ويوجِد مئات الألوف من أمثالها من أنواع ذوي الحياة. إنّ القدير العليم الذي يفعل هذا هل يمكن أن يستبعد منه جمع الذرات الأساسية والأجزاء الأصلية

---

1 - انظر الكلمات 422

المتعارفة تحت نظام الجسد كأنها أفراد جيش منظم ... إن استبعاد هذا من ذلكم القدير العليم لا محالة جنون!"[1].

كما أنّ ذكر القرآن الكريم الأسماء الحسنى تعبير عن المقاصد بأساليب بديعة ذلك أنّ الاسم يدل لفظا على متضمّنات المسمى من الناحية اللغوية المعبّرة عن مقاصد متوخاة من حقيقة تلك الأسماء، فكل اسم من الأسماء الحسنى يمثّل مظهرا من مظاهر تلك المقاصد المعبّرة عن مختلف وظائفها.

كل اسم من الأسماء الحسنى "هو كلام الله بوصفه ربّ العالمين، وهو أمر الله بوصفه إله الموجودات، وهو خطابه بوصفه خالق السموات والأرض، وهو مكالمةٌ سامية بصفة الربوبية المطلقة، وهو خطاب أزلي باسم السلطنة الإلهية الشاملة العظمى، وهو سجل الالتفات والتكريم الرحماني النابع من رحمته الواسعة المحيطة بكلّ شيء، وهو مجموعة رسائل ربانية تبين عظمة الألوهية - إذ في بدايات بعضها رموز وشفرات - وهو الكتاب المقدس الذي ينثر الحكمة، نازلٌ من محيط الاسم الأعظم ينظر إلى ما أحاط به العرش الأعظم. ومن هذا السر أُطلق على القرآن الكريم ويطلق عليه دوماً ما يستحقه من اسم وهو : " كلام الله ". وتأتي بعد القرآن الكريم الكتب المقدسة لسائر الأنبياء عليهم السلام وصحفهم. أما سائر الكلمات الإلهية

---

1 - الكلمات 442

التي لا تنفد، فمنها ما هو مكالمة في صورة إلهامٍ نابع باعتبار خاص، وبعنوان جزئي، وبتجلٍ خاص لاسم خصوصي، وبربوبية خاصة، وسلطان خاص، ورحمة خصوصية. فإلهامات المَلَك والبشر والحيوانات مختلفة جداً من حيث الكلية والخصوصية."[1]

ولوضوح المقاصد في القرآن الكريم استغرب أولئك الذين رموا إلى وضع مقاصد للإنسان أو اكتشافها من خارج الوحيين (الكتاب والسنّة)، ذلك أنّهم لم يوفّقوا على الإطلاق، فأريد صرف جهود الإنسان في أبعاد غير إنسانية حدّدتها تلك المقاصد غير الإنسانية(المقاصد التي وضعها الإنسان لبني جلدته أو...)، فتجاوز الأمر حدود المقاصد المحددة بالوحيين.

والغفلة عن تلك المقاصد في فهم الكون أو التعامل معه لا يختلف عن الغفلة عن مقاصد القرآن الكريم حين التعامل معه، فالبعد عن مقاصده في فهمه أو تفسيره تضييع لمقاصده الإنسانية المطلوبة من جهة وغفلة عن مضمونه من جهة أخرى، من ذلك أنّ بعضهم صرف طاقته في غير المطلوب، فانتهى به الجهد إلى الغفلة عن الميزات.

ولعل من أبيَن أمثلة القضية المشار إليها أعلاه، سعيُ بعض الظاهريين إلى تفسير القرآن الكريم... فطبّقوا منقوله على بعض

---

1 - الكلمات 423

الإسرائيليات، وليس بعيدا عنه جهد أولئك الذين حاولوا التوفيق بين قسم من معقوله والفلسفة، بناء على ما رأوا من شموله على المنقول والمعقول.

فبدلاً من أن يستخرج الفريقان المقاصد من عين الكتاب والسنة، حاولوا تكييف نص القرآن الكريم مع الثقافة الوافدة، فمن ذلك سعيُ طائفة إلى إثبات علاقة بين النقليات الصادقة وبعض الإسرائيليات المحرّفة، ومنه أيضا سعي طائفة ثانية إلى إثبات علاقة بين العقليات[1] الحقيقية - التي دلّت عليها نصوص الوحي - والفلسفة الموهومة المموّهة، ظن الفريقان أنّ هذه المطابقة والمشابهة تفسيرٌ لمعاني الكتاب والسنة وبيان لمقاصدهما[2]، وفي ذلك اقصر طرق التبديل وأسس أساس البدع الشائعة المنتشرة في الخلق.

ويعد العمل السابق مخالفا لما اتّفقت عليه كلمة جميع أهل الاختصاص والشهود وجميع أهل الذوق والكشف من العلماء المدققين والأولياء الصالحين، إذ هم متفقون على أنّ القرآن الكريم زاد طريق أبد الآباد، وذخيرة تلك الرحلة الطويلة المظلمة ونورها وبُراقها ليس إلاّ امتثال أوامر القرآن الكريم واجتناب نواهيه، وإلاّ فلا يغني العلم والفلسفة والمهارة والحكمة

---

1 - العقلية :يراد بها ما كان موافقا لأحكام العقل الفطري السنني، أي لا يراد بها العقلانية، تلك التي تجعل للعقل سلطانا في وضع العقائد.

2 - انظر صيقل الإسلام 35

شيئاً في تلك الرحلة، بل تقف جميعها منطفئة الأضواء عند باب القبر...فالكلام كلامه.هو الحق، وهو الذي يُظهر الحقيقة وينشر آيات نور الحكمة...."[1]من منطلق ما سبق تقريره ظهرت الحكمة في عدم الملل والسأم من القرآن [2]، ليس هذا فحسب، بل جعله الله إضافة إلى ما سلف مصدر وعينا وباعث الحركية في أفعالنا وإليه يعود بعث المضامين الاجتماعية للإيمان، وهو مؤسس مقاصد ذات أبعاد إنسانية، هدفه الإنسان وهو وسيلتها الرئيسة.

2 - المصدر الثاني : السنّة المطهّرة والسيرة الشريفة

يعرّف النبي ρ بالمقاصد، إذ أنّه "أكرم دالّ على جمالٍ في كمال مطلق لخالق العالم وأفضل معرّف لبّى إرادة الله سبحانه في إظهار الجمال والكمال والشمول بوساطة مبعوث كما تقتضيه الحكمة والحقيقة."[3]، وهو "أجلى مرآة وأصفاها لعكس محاسن جمال مالك العالم ولطائف حُسنه المنـزّه - كما تشير إليه آثاره البديعة - وهو أفضل مَن أحبَّه وحببَّه، فلبّى إرادته سبحانه في رؤية ذلك الجمال المقدس وإرادته بمقتضى الحقيقة والحكمة."[4]، "فمثل هذا النبي الكريم ρ الذي يضاف إلى كفّة

---

1 - الكلمات 29 - 30

2 - الكلمات 437

3 - الكلمات 690

4 - الكلمات 690

حسناته في الميزان مثل ما قامت به أمّتُه من حسنات بسر " السبب كالفاعل "... والذي تضاف إلى كمالاته المعنوية الصلوات التي تؤدّيها الأمّة جميعاً.. والذي يُفاض عليه من الرحمة الإلهية ومحبتها ما لا يحدهما حدود فضلاً عما يناله من ثمرات ما أدّاه من مهمة رسالته من ثواب معنوي عظيم.. نعم، فمثل هذا النبي العظيم ρ لا ريب أن ذهابه إلى الجنة، وإلى سدرة المنتهى، وإلى العرش الأعظم، فكان قاب قوسين أو أدنى، أنما هو عين الحق، وذات الحقيقة ومحض الحكمة."[1]، "وأنّه عليه الصلاة والسلام هو كذلك - بالبداهة - أكمل مَن بيّن المقاصد الإلهية بالقرآن الكريم وأحسن مَن وضح السبيل إلى مرضاة رب العالمين، فلبّى إرادته سبحانه في تعريف ما يريده من ذوي الشعور وما يرضاه لهم بوساطة مبعوث، بعدما عرّف نفسه لهم بجميع مصنوعاته البديعة وحببها إليهم بما أسبغ عليهم من نعَمه الغالية."[2]

أ – مميّزات مقاصد القرآن و السنّة المطهّرة

- أعلى مقام الكلمات:

تعبّر المقاصد عن أعلى مقام الكلمات، كما قال بديع الزمان"وهكذا فإن منح القرآنَ الكريم أعلى مقام من بين الكلمات جميعاً، تلك الكلمات التي لا تحدها حدود"، ويرجع ذلك إلى ما يأتي:

---

1 - الكلمات 692

2 - المكتوبات 278

- نـزول القرآن من الاسم الأعظم ومن أعظم مرتبة من مراتب كل اسم من الأسماء الحسنى.
- كلام الله، بوصفه رب العالمين.
- أمره تعالى بوصفه إله الموجودات.
- خطابُه بوصفه خالق السماوات والأرض.
- مكالمة سامية بصفة الربوبية المطلقة.
- خطابُه الأزلي باسم السلطنة الإلهية العظمى.
- سجلُ الالتفات والتكريم الرحماني نابع من رحمته الواسعة المحيطة بكل شيء.
- مجموعة رسائل ربانية تبين عظمة الألوهية، إذ في بدايات بعضها رموز وشفرات.
- الكتاب المقدس الذي ينثر الحكمة.[1]

يستشف مما سلف تميّز كلام الله عن سائر أنواع الكلام دقة ومضمونا، "وشاهد ثروة القرآن الطائلة وغناه الواسع في معرفة الله في ميدان العلم والحكمة.. وإفلاس الفلسفة وفقرها المدقع في دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل."[2]

- التناسب والتسلسل:

يتميّز عرض المقاصد في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة بالتسلسل والتناسب، "فإنّ جميع الآيات القرآنية يتلألأ عليها هذا

1 - الكلمات 147

2 - الكلمات 151

الانتظام والتناسب والحسن، فيظهر في المقصد الواحد كظهوره في مجموع المقاصد نفسها أصولا وفروعا، إلا أنّها قد تتداخل وتتسلسل، وتصبح توابع، كلّ منها مقارنة مع الأخرى دون اختلاط. وهذا يوجب الحذر والانتباه. لأن النظرة العابرة كثيراً ما تزلّ في هذه المواضع."[1]

تداخل وتسلسل وتناسب المقاصد في القرآن الكريم يؤسّس لدستور "التعاون" الجاري الظاهر "ابتداءً من جري الشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار وترادف الشتاء والصيف..إلى إمداد النباتات للحيوانات الجائعة، وإلى سعي الحيوانات لمساعدة الإنسان الضعيف المكرم، بل إلى وصول المواد الغذائية على جناح السرعة لإغاثة الأطفال النحاف، وإمداد الفواكه اللطيفة. بل إلى خِدمة ذرات الطعام لحاجة حجيرات الجسم..كل هذه الحركات الجارية وفق دستور "التعاون" تُري لمن لم يفقد بصيرته كلّياً إنّها تجري بقوةِ مربٍّ واحد كريم مطلق الكرم، وبأمر مدبّر واحد حكيم مطلق الحكمة".[2]

كما يظهر الكون - بجميع مكوّناته المادية والمعنوية - وفق ذلك الانتظام والتسلسل بحيث يستبعد توهّم الإسراف والعبثية في الموجودات، "إن كمال النظام والميزان في إنشاء كل موجودٍ يطرد هذا الوهم إذ النظامُ خيط نُظّم فيه الغايات المترتبة على الأجزاء الجزئية والتفاصيل الفرعية. ومن المحال أن يراعي أحدٌ

1 - صيقل الإسلام 102

2 - الكلمات 338

كلّ غايات تفاصيل قصرٍ - بدلالة انتظام بنائه - ويترك غاية المجموع، التي بها تصير الغايات الجزئية غاياتٍ"[1]، "ويشهد لهذه المعاني إحاطة اللفظ وسعة المعنى واستيعاب الأحكام واستغراق العلم وموازنة الغايات."[2]

ويظهر التناسب في الآيات المنظورة كظهوره في الآيات المسطورة التي منها يظهر التناسب والانتظام والتسلسل في المقاصد نفسها، فلا تضارب بل تكامل وتوافق وتناسب وانتظام، بحيث يظهر أنّ لتلك المقاصد في انتظامها مقاصد تربوية ومنهجية و...زيادة إلى ما سلف بيانه.

- التساند بين المقاصد:

تتساند المقاصد فيما بينها بشكل يخدم حقيقة متكاملة وشاملة، ويشهد هذا التساند، والتعاون، والتجاوب، و...، والانتظام، الجاري بين المقاصد والمتجلي في الكون بمظاهره المادية والمعنوية، "أن مدبّراً واحداً هو الذي يديره، ومربّياً أحداً يسوق الجميع في الكون، زد عليه، فإنّ الحكمة العامة الظاهرة بداهة في خلق الأشياء البديعة وما تتضمنه من عناية تامة وما في هذه العناية من رحمة واسعة وما على هذه الرحمة من أرزاق منثورة تفي بحاجة كل ذي حياة وتعيّشه وفق حاجاته... كلّ ذلك ختم

1 - المثنوي العربي النوري 285

2 - الملاحق 184

عظيم للتوحيد له من الظهور والوضوح ما يفهمه كلّ مَن لم تنطفئ جذوة عقله، ويراه كل من لم يُعمَ بصرُه."[1]

وتظهر تجليات التساند بين المظاهر الكونية، "لبس الكرة الأرضية حلّة قشيبة ملوّنة بألوان زاهية منسوجة بكمال الحكمة بخيوط أنواع النباتات والحيوانات التي تنوف على مائة ألف نوع الشبيهة بنوعنا الإنساني، وتكون بوسعها نسج ذلك البساط البديع المفروش على الأرض من خيوط مئات الألوف من أنواع الكائنات الحية، والتي هي في أبدع نقش وأجمله.. وفضلاً عن خلق هذا البساط الرائع، وتجدّده دوماً وبحكمة تامة؛ فإنّ كانت لديك قدرة محيطة وحكمة شاملة كهذه، بحيث تتصرف في كرة الأرض التي نحن من ثمارها، وتدبّر شؤون العالم الذي نحن بذوره، فترسل بميزان الحكمة لوازم حياتنا إلينا من أقطار العالم كله.. وإن كنت تنطوي - أيها المدعي- على اقتدار يخلق علامات القدرة الإلهية المميزة الموحدة في وجوهنا، وفي أمثالنا من السالفين والآتين."[2]

- رعاية الفطرة والمطابقة:

تتجلى في المقاصد رعاية الفطرة، ذلك أنّها تقصد خدمة الإنسان في أصل وضعها، فقد قصد في المقاصد والغايات، تحقيق الرعاية التامة في الموازنة والاطراد والمطابقة لدساتير

---

1 - الكلمات 338.

2 - انظر الكلمات 712

الفطرة، والاتحاد في المقاصد والغايات، وهذا يوجب المحافظة عليها في شقيها الجزئي والكلي من زاويتي التكامل والشمول، ويحقق هذا المسعى المحافظة على الميزان."[1]، وبذلك تحافظ على المصالح والنتائج والغايات الجليلة [2]

توفّر المقاصد على تلك الميزات يسوقنا إلى الحديث عن مجموعة أخرى من مواصفاتها الأساسية، وخاصة تلك التي تيسّر فهمها واستيعابها وتأثيرها.

- التوزّع على النص القرآني:

ييسّر الفهم والاستيعاب بالتوزّع على النص، وبذلك يجد قرّاء القرآن الكريم مقصوده (الوحي) في قراءة أقصر نصوصه، ذلك أنّه-كما قال النورسي-"لا يمكن لكلِ أحدٍ في كل وقتٍ قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحدٍ في كل وقت. فلهذا أدْرَجَ الحكيمُ الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره، لاسيما الطويلة منها، حتى صارت كلُ سورة قرآناً صغيراً، فسهّل السبيلَ لكل أحدٍ، دون أن يَحْرُمَ أحداً، التعرّف على المقاصد، فيستوعب النص الواحد مقاصد كثيرة فترى فيها التوحيد والحشر وغيرهما".[3]

1 - اللمعات 882

2 - المكتوبات 310

3 - انظر المكتوبات 268، الكلمات 265

وتوزّع المقاصد على النصّ القرآني لا يختلف عن توزّع الغايات والمقاصد على عناصر الحياة المادية والمعنوية، بحيث ترى المقاصد في أقل القليل من مظاهر الكون، "انظر الآن وفي كلّ وقت إلى الينابيع والجداول والأنهار، وتأمل في تفجّرها من الأرض أو الجبال تجد أنّه لا مصادفة فيها ولا عبث قط.إذ تترتّب عليها الفوائد والمصالح التي هي آثار رحمة إلهية واضحة، أما النتائج الحاصلة منها فهي موزونة محسوبة، وكذلك ادخارها وخزنها في الجبال إنما يجري ضمن حساب دقيق، ووفق حاجات الأحياء، ومن بعد ذلك تفجيرها وإرسالها بميزان هو الغاية في الحكمة.. كل ذلك دلالات وشواهد ناطقة أنّ ذلك التسخير والادخار إنّما يتمّ من لدن ربّ حكيم.. وما نراه من شدة فورانها وتفجرها من الأرض إنّما هو تَوقُها العظيم لامتثال الأوامر الربانية حال صدورها."[1]

- تثبيت القاعدة الكلية بأمثلة جزئية:

يتميّز عرض المقاصد في رسائل النور بالسعي الحثيث إلى خدمة هدف عظيم، مؤداه بيان المقاصد والتقعيد لها، وقد اتّخذ لتحقيق ذلك الهدف طريقة تكثير الأمثلة الجزئية تأسيسا وتثبيتا للقاعدة الكلية والمقصد الأصلي، وقد نسج بديع الزمان ذلك بناء على ما ورد في كتاب الله، فقد ورد عن بديع الزمان، "أنّ القرآن

---

1 - الكلمات 806

الكريم قد يذكر بعضاً من المقاصد الجزئية، ثم لأجل أن يحوّل تلك الجزئيات إلى قاعدة كلية، يجيل الأذهان فيها و يثبّت ذلك المقصد الجزئي ويقرّره ويؤكّده بالأسماء الحسنى التي هي قاعدة كلية "[1].

"كما بيّن القرآن الكريم المعجز البيان سبيل سعادة الدارين، ووضّح غايات خلق الكون، وما فيه من المقاصد الربانية موضحاً ما يحمله ذلك المخاطب الكريم من الإيمان السامي الواسع الذي يضمّ الحقائق الإسلامية كلّها عارضاً كل ناحية من نواحي هذا الكون الهائل ومقلّباً إياه كمن يقلب خارطة أو ساعة أمامه، معلّماً الإنسان صانعَه الخالق سبحانه من خلال أطوار الكون وتقلباته. فلا ريب ولابد أنّه لا يمكن الإتيان بمثل هذا القرآن أبداً، ولا يمكن مطلقاً أن تُنال درجة إعجازه."[2]

وقد يسّر القرآن الكريم استيعاب المقاصد الخمسة التي اعتبرها النورسي كالأنهار الجارية تحت هذه الآيات، "حتى يفور هذا بكماله في آية.. وينبع ذاك بتمامه في أخرى.. ويتجلى ذلك بشَرَاشيره في ثالثة. فأدنى ترشّحٍ على السطح يومي بتماس عروق الكلمة بها. وأيضا تتسنبل هذه المعاني في آيات مسوقة لها." [3]

---

1 - الكلمات 496

2 - الكلمات 523

3 - إشارات الإعجاز 61

وتأسيس القاعدة الكلية بالأمثلة الجزئية يتضمّن العناية بجميع المخاطبين، ذلك " أنّ القرآن خطاب ودواء ٌلجميع طبقات البشر من أذكى الأذكياء إلى أغبى الأغبياء، ومن أتقى الأتقياء إلى أشقى الأشقياء، ومن الموفّقين المجدّين الفارغين من الدنيا إلى المخذولين المتهاونين المشغولين بالدنيا، والسورة منه قرآن صغير يتضمّن مقاصده الكلية، فسهّل السَبيل لكل أحدٍ.وينادي مشوّقاً [وَلَقَدْ يَسَّرنْا القرآنَ لِلذّكْرِ فَهَل مِنْ مُدَّكِرٍ]"[1]

ومن مظاهر التأسيس للقاعدة الكلية بالأمثلة الجزئية العناية بجميع المكلّفين، وتتجلى في " تضمين كلِّ سورةٍ من القرآن مجمل ما في كل القرآن وسائر السور من المقاصد وأهم القصص، لأجل أن لا يحرمَ من يقرأ سورة فقط عما أُنـزلَ له التنـزيل، إذ في المكلفين الأمّيُ أو الغبيُّ، ومَن لا يتيسر له إلاّ قراءة سورةٍ قصيرة فقط، فمِن هذه اللمعة الإعجازية تصير السورةُ قرآناً تاماً لمن قرأها.."[2]، "حتى أنّ أغلب السور المطولة والمتوسطة - التي كل منها كأنها قرآن على حدة - لا تكتفي بمقصدين أو ثلاثة من مقاصد القرآن الأربعة (وهي:التوحيد، النبوة، الحشر، العدل مع العبودية) بل كل منها يتضمن ماهية القرآن كلها، والمقاصد الأربعة معاً، أي كل منها:كتاب ذكر وإيمان وفكر، كما أنّه كتاب شريعة وحكمة

1 - انظر المثنوي العربي 70

2 - المثنوي العربي النوري 208

وهداية. فكل سورة من تلك السُوَر تتضمن كُتباً عدة، وترشد إلى دروس مختلفة متنوعة. فتجد أنّ كل مقام - بل حتى الصحيفة الواحدة - يفتح أمام الإنسان أبواباً للإيمان يحقق بها إقرار مقاصد أخرى حيث إنّ القرآن يذكر ما هو مسطور في كتاب الكون الكبير ويبينه بوضوح، فيرسّخ في أعماق المؤمن إحاطة ربوبيته سبحانه بكل شيء، ويريه تجلياتها المهيبة في الآفاق والأنفس. لذا فإنّ ما يبدو من مناسبة ضعيفة، يبنى عليها مقاصد كلية فتتلاحق مناسبات وثيقة وعلاقات قويّة بتلك المناسبة الضعيفة ظاهراً، فيكون الأسلوب مطابقاً تماماً لمقتضى ذلك المقام، فتتعالى مرتبته البلاغية."[1]

- الإجابة عن أسئلة مكررة:

وزيادة إلى ما سلف، فإنّ المقاصد في كلّياتها وجزئياتها إجابة عن أسئلة متكررة، تمثّل الأولى(الكلية)تحديدا لمقاصد أصلية تمثّل الأسس النظرية للحياة الإنسانية، وتمثّل الثانية(الجزئية) بيّنات وتفاصيل تشعّب تلك المقاصد وتجلياتها في الحياة المادية والمعنوية، حتى أنّك تجد الإجابة من غير تطويل مملّ أو تقصير مخلّ، فيكتفى أحيانا بقدر بيان نتيجة حيث تبيّنها رسائل النور بحجج وبراهين[2]، وقد استقى بديع الزمان ذلك المسلك التعليمي الهادف-الإجابة عن الأسئلة المتكررة- من القرآن الكريم الكفيل

1 - الكلمات 533

2 - الشعاعات 279

بالإجابة عن أسئلة الحياة، وأسئلة الحكمة(الفلسفة) من الكائنات: من أين؟ وبأمر مَن تأتون؟ مَن سلطانكم ودليلكم وخطيبكم؟ ما تصنعون؟ وإلى أين تصيرون؟ ولهذا فذِكرُ الكائنات في القرآن الكريم - مما سوى المقاصد - إنما هو ذكر استطرادي لبيان طريق الاستدلال على الصانع الجليل بانتظام الصنعة. نعم! الانتظام يشاهد، بل يُظهر نفسه بكل وضوح. فالصنعة المنتظمة تشهد على وجود الصانع وعلى قصده وإرادته شهادة صادقة قاطعة، إذ تتراءى في كلّ جهة من جهات الكون وتتلألأ من كل جانب.. وتعرض جمال الخلق إلى أنظار الحكمة، حتى لكأنّ كل مصنوع لسان يسبّح بحكمة صانعه، كلّ نوع يشهد مشيراً بإصبعه إلى حكمة الصانع.[1]

وحقق هدف الإجابة بأسلوب غناء الكلام وثروته ووسعته، فعبّر عن أصل الكلام المفيد أصل المقصد، كذلك كيفياته وهيئاته ومستتبعاته تشير وترمز وتلوح إلى لوازم الغرض وتوابعه وفروعه، فكأنّما تتراءى طبقة بعد طبقة ومقاما خلف مقام.

وكما يقال بالمثال يتّضح المقال، انتقل الأستاذ إلى ضرب الأمثلة، فيقول في أسلوب تربوي، "وإن شئت مثالا تأمّل في [وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض]... و [وإذا لقوا الذين آمنوا]...، على الوجه المفسَّر سابقا(المذكور عليها).[2]

---

1 - انظر الكلمات 690، المكتوبات 278، صيقل الإسلام29.

2 - انظر إشارات الإعجاز 122

كما أفاد الإجابة بسلاسة الكلام المنتجة للطافته وحُلوه هو أن تكون المعاني والحسيات المندمجة فيه ممتزجة تتّحد أو مختلفة تنتظم، لئلا تتشرب الجوانب قوّة الإفادة والغرض، بل يجذب المركزُ القوّةَ من الأطراف.. وأيضاً من السلاسة أن يتعيّن المقصد.. وأيضاً منه أن يتظاهر ملتقى الأغراض.[1]، وهكذا كان القرآن الكريم معبّرا عن تلك الأجوبة بأكمل صور البلاغة، فيبرق حسن الكلام تجاوب الهيئات وتداعي القيود وتأخذها على المقصد الأصلي، وإمداد كلٍّ بقدْرِ الطاقة للمقصد، الذي هو كمجمع الأودية أو الحوض المتشرّب من الجوانب، بأن تكون مصداقاً وتمثالاً لما قيل"[2]، وقد عبّر بديع الزمان عن تلك المعاني بإشارات عميقة وعبارات دقيقة، منها تنبيهه الذي يقول فيه: " اعلم ! أنّ في كلّ آية من هذه الآيات التمثيلية طبقاتٍ ومراتبَ وصوراً وأساليبَ متنوعة، كلٌ منها - في كلٍ منها - كفيل وضامن لطائفة من الحقائق. وكما أنّك إذا أخذت قوارير من فضة وزيّنتها بذوب الذهب، ثم نقشتها بجواهرَ، ثم صيّرتها ذوات نور بإدراج "الكتريق"(الكهرباء) ترى فيها طبقات حسن وأنواعَ زينة، كذلك في كل من تلك الآيات من المقصد الأصليّ إلى الأسلوب التمثيليّ قد شرعت إشارات ومُدّت رموز إلى مقامات كأن أصل المقصد تدحرج على المراتب وأخذ من كلٍ لوناً

---

1 - انظر إشارات الإعجاز 124

2 - إشارات الإعجاز 45

وحصة حتى صارت تلك الكلمات من جوامع الكلمات بل من جمع الجوامع."[1]

ويتأكد مسعى تأصيل القاعدة الكلية بالجزئيات بما حواه القرآن الكريم من قصص الأنبياء، إذ يرمي ذلك التكرار إلى تقعيد قواعد ثابتة راسية، تؤسس للمقاصد العظيمة وما يخدمها من مقاصد فرعية، بيّن هذا المعنى قول النورسي:" ومن المكررات القرآنية (قصص الأنبياء) عليهم السلام، فالحكمة في تكرار قصة موسى عليه السلام - مثلاً - التي لها من الحكم والفوائد ما لعصا موسى، وكذا الحكمة في تكرار قصص الأنبياء إنما هي لإثبات الرسالة الأحمدية وذلك بإظهار نبوة الأنبياء جميعهم حجةً على أحقية الرسالة الأحمدية وصدقها، حيث لا يمكن أن ينكرها إلاّ من ينكر نبوتهم جميعاً. فذكرها إذن دليل على الرسالة."[2]، وقد ذكر التكرار لوظيفة تربوية وعلمية واجتماعية جلية، ذلك أنّ " كثيراً من الناس لا يستطيعون كل حين ولا يوفقون إلى تلاوة القرآن الكريم كله، بل يكتفون بما يتيسر لهم منه. ومن هنا تبدو الحكمة واضحة في جعل كل سورة مطولة ومتوسطة بمثابة قرآن مصغر، ومن ثم تكرار القصص فيها بمثل تكرار"[3]

---

1 - إشارات الإعجاز 117

2 - الكلمات 535

3 - الكلمات 535

يفرض الخلوص إلى القاعدة الكلية ووظائفها العامة والخاصة توفّر مجموعة متكاملة من المميّزات، منها الوضوح والبساطة.

- الوضوح والبساطة:

يفرض تحقيق الجزئيات المكررة للقاعدة الكلية الوضوح والبساطة، وهو ما سعى بديع الزمان إلى توخّيه في نصوصه، مستعينا في ذلك بنسج القرآن الكريم، فالقرآن الكريم إنما يبين بهذه الحادثة الجزئية بياناً معجزاً، دستوراً كلياً، ودرساً ضرورياً في الحكمة يحتاجه كل أحد في كل وقت."[1]

ودلالتها على المقصد بوضوح لا يختلف عن دلالة المصنوعات على الصانع"فهذه المصنوعات المنتظمة المتقنة الماثلة أمامنا فوق الأرض، وهذه التدابير الإلهية ذات الحكمة والعناية الجارية عليها هي أيضاً بعينها تجري تحت الأرض بل تتجلى فيها الحكمة الإلهية والعناية الربانية بأعجب منها حكمةً وأغرب منها انتظاماً."[2]، ومنها أيضا "الصخور تهبط من ذرى تلك الجبال، من خشية ظهور تجليات جلالية ورهبتها، فتتناثر أجزاؤها. فقسم منها ينقلب تراباً تنشأ منه النباتات.. وقسم آخر يبقى على هيئة صخور تتدحرج إلى الوديان وتكتسح السهول فيستخدمها أهلُ الأرض في كثير من الأمور النافعة - كبناء المساكن مثلاً - فضلاً عن أمورٍ وحكم مخفية ومنافع شتى، فهي

---

1 - الكلمات 271

2 - الكلمات 273

في سجدة وطاعة للقدرة الإلهية وانقياد تام لدساتير الحكمة الربانية."[1]

لا يمكن الحديث عن مقاصد وغايات غير واضحة جلية، ذلك أنّها تخدم الإنسان، وخدمته لا تتصوّر مع غموض المقاصد أو صعوبة فهمها فضلا عن استحالة تمثّلها، لهذا "لا ريب أنّ مالك هذا الكون وربّه يخلق ما يخلق عن علمٍ ويتصرف في شؤونه عن حكمة، ويدير كل جهة عن رؤية ومشاهدة، ويربي كل شيء عن علم وبصيرة، ويدبّر الأمر قاصداً إظهار الحِكَمَ والغايات والمصالح التي تتراءى من كلّ شيء. [2]

- تيسّر تفسير الحياة والكون:

وييسّر ظهور المقاصد ووضوحها فهم الحياة والكون، لهذا فلمعرفة المقاصد وظيفة معرفية ظاهرة، إذ نلاحظ أنّ الحياة موهوبة من رزق ممنوح ومدام، وممد الحياة والرزق، هو المتكفّل بكلّ ضروراتها وحاجاتها، وهو الذي يهيئ لوازمها ومقوماتها. فالغايات السامية للحياة تعود إليه، والنتائج المهمة لها تتوجه إليه، وتسع وتسعون بالمائة من ثمراتها ونتائجها تقصده وترجع إليه[3]، "فقد وجد العقل انتظام الخلقة، ونقش الحكمة وخزائن أسرار عظيمة في هذه الأصوات اللّطيفة المنبعثة من

---

1 - الكلمات 274

2 - انظر المكتوبات 113

3 - انظر المكتوبات 293

الأشجار والحيوانات معاً، ومن أنداء الشجيرات والنسائم. وسيفهم أنّ كلّ شيء يسبّح للصانع الجليل بجهات شتى."[1]

كما يمثّل القرآن الكريم من زاوية سننية بحت، "الترجمة الأزلية للكائنات والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسّر كتاب العالم.. وكذا هو كشافٌ لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض.. وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المضْمَرة في سطور الحادثات.. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة.. وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية..وكذا هو أساسٌ وهندسةٌ وشمسٌ لهذا العالم المعنوي الإسلامي.. وكذا هو خريطة للعالم الأخروي.. وكذا هو قولٌ شارحٌ وتفسير واضحٌ وبرهان قاطعٌ وترجمان ساطعٌ لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه.. وكذا هو مربٍّ للعالم الإنساني.. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية... وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي إلى ما خُلِقَ البشرُ له.. وكذا هو للإنسان: كما أنه كتاب شريعة كذلك هو كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية، كذلك هو كمنـزل مقدسٍ

1 - الكلمات 244

مشحون بالكتب والرسائل. حتى انه ابرز لمشرب كل واحدٍ من أهل المشارب المختلفة، ولمسلكِ كل واحدٍ من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالةً لائقةً لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل."[1]

ويجلى تلك الترجمة المعبّرة "الحِكمَةُ العَامَّةُ في تَنْظيماتِها.. وَالعِنَايَةُ التَّامَّةُ في تَزيينَاتِها.. وَالرَّحمَةُ الوَاسِعَةُ في تَلطيفاتِها.. وَالأرزَاقُ وَالإعَاشَةُ الشَّامِلَةُ في تَربيَتِها.. والحَيَاةُ العَجيبَةُ الصَّنعَةِ بِمَظْهَرِيَّتِها لِلشُؤونِ الذَّاتِيَّةِ لِفَاطِرِها.. وَالمَحَاسِنُ القَصْدِيَّةُ في تَحْسينَاتِهَا.. وَدَوَامُ تَجَلّي الجَمَالِ المُنْعَكِسِ مَعَ زَوالِهَا.. وَالعِشْقُ الصَّادِقُ في قَلبِها لِمَعبُودِهَا.. وَالانْجِذَابُ الظَّاهِرُ في جَذْبَتِها.. وَاتّفاقُ كُلِّ كُمَّلِهَا عَلى وَحْدَةِ فاطِرِها.. وَالتَصَرُّفُ لِمَصالِحَ في أجزائِها.. وَالتَّدْبيرُ الحَكيمُ لِنَباتاتِها.. وَالتَّربيَةُ الكَريمَةُ لِحَيواناتِهَا.. والانتِظامُ المُكَمَّلُ فِي تَغيُّراتِ أركَانِها.. وَالغاياتُ الجَسيمةُ في انتِظامِ كُلّيَّتِها.. وَالحُدُوثُ دَفْعَة مَعَ غايَةِ كَمَالِ حُسنِ صَنْعَتِها بِلا احتِياجٍ إلى مُدَّةٍ ومَادَّةٍ.. وَالتَّشَخُّصاتُ الحَكيمَةُ مَعَ عَدَمِ تَحْديدِ تَرَدُّدِ إمْكاناتِها.. وَقَضاءُ حاجاتِها عَلى غَايَةِ كَثرَتِها وَتَنَوُّعِها في أوقاتِها اللاَّئِقةِ المُنَاسِبَةِ، مِنْ حَيثُ لا يُحتَسَبُ وَمِنْ حَيثُ لا يُشْعَرُ مَعَ قِصَرِ ايْدِيها مِنْ أصغَرِ مَطالِبِها.. وَالقُوَّةُ المُطلَقَةُ في مَعْدَنِ

1 - الكلمات 264

ضَعْفِهَا.. وَالقُدْرَةُ المُطلَقَةُ في مَنبَع عَجْزِها.. وَالحَياةُ الظَاهِرَةُ في جُمُودِها.. وَالشُعُورُ المُحيطُ في جَهْلِها.. وَالانتِظامُ المُكَمَّلُ في تَغَيُّراتِها المُسْتَلزِمُ لِوُجُودِ المُغَيِّرِ الغَيرِ المُتَغَيِّر.. وَالاتّفاقُ في تَسْبيحَاتِها كَالدوائِرِ المُتَداخِلَةِ المُتَّحِدَةِ المَرْكَز.. وَالمَقبُولِيَّةُ في دَعوَاتِها الثَّلاثِ " بِلسانِ استِعدادها، وبِلسانِ احتِيَاجَاتِها الفِطرِيَّةِ، وبِلسانِ اضطِرارِها ".. وَالمُناجاة وَالشُّهو داتُ وَالفُيُوضاتُ في عِباداتِها.. وَالاِنتظامُ في قَدَرَيها.. وَالاِطْمئنَانُ بِذِكرِ فاطِرِها.."[1]

ومما ييسّر الفهم أيضا "أنّ الصانع القدير باسمه " الحَكَم والحكيم" قد أدرج في هذا العالم ألوف العوالم المنتظمة البديعة، وبوّأ الإنسان - الذي هو أكثر من يمثّل الحِكَم المقصودة في الكون وأفضل مَن يظهرها - موقعَ الصدارة، وجعله بمثابة مركز تلك العوالم ومحورها، إذ يتطلع ما فيها من حِكَم ومصالح إلى الإنسان. وجعل الرزق بمثابة المركز في دائرة حياة الإنسان، فتجد أنّ معظم الحِكَم والغايات وأغلب المصالح والفوائد - ضمن عالم الإنسان - تتوجّه إلى ذلك الرزق وتتضح به، لذا فإنّ تجليات اسم " الحكيم " تبدو واضحة بأبهر صورها وأسطعها من خلال مشاعر الإنسان، ومن تضاعيف مذاقات الرزق، حتى غدا كلّ علم - من مئات العلوم التي توصّل الإنسان إلى كشفها بما يملك

---

1 - اللمعات 480

من شعور- يعرِّف تجلياً واحداً من تجليات اسم " الحَكَم" في نوع من الأنواع."[1]

ويظهر تيسّر الفهم أيضا من التأسيس لرؤية "معاونة الموجودات بعضها للبعض الآخر وتجاوبها فيما بينها، وتساندها في الوظائف والواجبات.. مما يدل على أنّ كلّ المخلوقات تحت تربية ورعاية مُربٍّ واحد أحد. وأن الكل تحت أمر مدبر واحد أحد.. وأنّ الكلّ تحت تصرف واحد أحد.. ذلك لأن" دستور التعاون " بين الموجودات، يجري ابتداءً من الشمس، التي تهيئ بأمر الله لوازم الحياة للأحياء، ومن القمر الذي يعلمنا المواقيت، وانتهاءً إلى إمداد الضوء والهواء والماء والغذاء لذوي الحياة، وإمداد النباتات للحيوانات، وإمداد الحيوانات للإنسان، بل حتى إمداد كل عضو من أعضاء الجسم للآخر، وإمداد ذرات الغذاء لحجيرات الجسم.. فخضوع هذه الموجودات الجامدة الفاقدة للشعور وانقيادها لدستور التعاون وارتباطها معاً ارتباط تفاهم وتجاوب في منتهى الحكمة، وفي منتهى الإيثار والكرم، وجعل كل منها يسعى لإغاثة الآخر وإمداده بلوازم حياته، ويهرع لقضاء حاجياته وإسعافه، تحت ظلّ قانون الكرم وناموس الرأفة، ودستور الرحمة... كلّ ذلك يدلّ بداهة على أنّ جميعها مخلوقات

1 - اللمعات 532

مأمورات ومسخرات عاملات للواحد الأحد، الفرد الصمد، القدير المطلق القدرة، والعليم المطلق العلم، والكريم المطلق الكرم."[1]

ويسعف هذا المسلك في ملاحظة التوافق بين الصورة المادية والدور في الحياة "...فالوجود له صورة معنوية في علم الله تمثل مقدراته الحياتية، وهي تلازم الصورة المادية وتنتقل معها في مراحل نموها، ثم تتبدّل تلك الصورة والمقادير في مسيرة حياته تبدّلاً يلائم الحكمة في خلقه وينسجم كلياً مع المصالح المركبة عليه، مما يدلّ بالبداهة على أنّ صور تلك الأجسام ومقاديرها تُفصَّل وتُقدَّر تقديراً معيناً في دائرة القدر الإلهي، الجليل الحكيم ذي الكمال، وتُنظَّم تلك الصور وتُنسَّق بيد القدرة الإلهية وتمنحها الوجود المعيّن المقدّر."[2]، "تأمّل فيما يحويه جسمك وأعضاؤك أيها الإنسان من حدود متعرجة والتواءات دقيقة.. وتأمّل في فوائدها ونتائج خدماتها وشاهد كمال القدرة في كمال الحكمة."[3]

كما ترى أيضا مظاهر شعور كامل طَي جهل مطبق، كما هو في حركات كل شيء وجريانه - ابتداءً من الذرات إلى المجرات -تلك الحركات المتّسمة بالشعور الكامل والانسجام التام مع نظام الكون كله، والملائمة ملاءمة تامة مع مقتضيات الحياة ومطالب

1 - الكلمات 792

2 - الكلمات 794

3 - الكلمات 794

الحكمة المقصودة من الوجود[1]، "إنّ ما يشاهد على سطح الأرض من انتظام واطّراد في خلق المخلوقات، وتدبير أمورها، وتجديدها باستمرار في كلّ موسم، يدلّ بالبداهة على حكمة عامة تغمر الموجودات. هذه الحكمة العامة تدلّ بالضرورة على حكيم مطلق الحكمة، إذ لا صفة دون موصوف."[2]

وهكذا يكتشف المتعلّم العاقل بالبداهة العناية والقصد في الفعل من أنواع الزينة البديعة التي تؤطر ستار الحكمة العامة الذي يتلفع الوجود به، عناية فائقة عامة، وهذه العناية تدلّ بالضرورة على خالق كريم[3]، وهذا "واضح جلي كوضوح النبات نفسه، وجميل كذلك كجمال النبات نفسه، تلك التسبيحات التي يهمس بها كل نبات في إشراق تبسّمه، عند تفتح زهره، ونضج ثمره، وتسنبل سنبله، لأنّه بالثغر الباسم لكل زهرة، وباللّسان الدقيق للسنبل المنتظم، وبكلمات البذور الموزونة، والحبوب المنسقة، يظهر (النظام) الذي يدلّ على كمال(الحكمة).."[4]، "وجمال الإتقان في الجزئيات والفرعيات، وفي النتائج والفوائد، فإنّ العناصر الكلية، والمخلوقات العظيمة التي تبدو مختلطة

---

1 - انظر الكلمات 796

2 - الكلمات 797

3 - انظر الكلمات 797

4 - الكلمات 803

ومتشابكة، وتوهِمُ أنّها لعبة المصادفة، تتّخذ أيضاً أوضاعاً تتّسم بالحكمة وإتقان، رغم الاختلاط الظاهر عليها"[1]

وللدلالة على المراد - على رأي بديع الزمان – "انظر الآن إلى الينابيع والجداول والأنهار، وتأمّل في تفجرها من الأرض أو الجبال، تجد أنّه لا مصادفة فيها ولا عبث قط. إذ تترتّب عليها الفوائد والمصالح التي هي آثار رحمة إلهية واضحة، أما النتائج الحاصلة منها فهي موزونة محسوبة، وكذلك ادخارها وخزنها في الجبال إنما يجري ضمن حساب دقيق، ووفق حاجات الأحياء، ومن بعد ذلك تفجيرها وإرسالها بميزان هو الغاية في الحكمة.. كل ذلك دلالات وشواهد ناطقة أنّ ذلك التسخير والادخار إنّما يتم من لدن ربّ حكيم.. وما نراه من شدّة فورانها وتفجرها من الأرض إنّما هو تَوقُها العظيم لامتثال الأوامر الربانية حال صدورها."[2]

ويلاحظ رغم سعة الكون وشساعته "أنّ السيارات تجري في أفلاكها سابحة مشدودة الوثاق بالشمس، مرتبطة معها بقانون إلهي، هذا القانون هو الذي يطلق عليه علماء الفلك اسم " الجاذبية " .. فهي تجري بنظام دقيق دون خطأ - ولو بمقدار ثانية واحدة - وتنقاد انقياداً تاماً، وبطاعة مطلقة لهذا القانون، كانقياد المصلين المأمومين لإمامهم.. وهذا دليل وأيّ دليل - بأوسع

---

1 - الكلمات805

2 - انظر الكلمات 806

مقياس وأعظمه - على عظمة القدرة الربانية ووحدانية الربوبية.. فإن استطعت أن تقدّر عظمة هذا الأمر بنفسك فافعل، لترى مدى العظمة والحكمة في جعل تلك الأجرام الجامدة، وتلك الكتل الهائلة وهي بلا شعور تجري في منتهى النظام وكمال الميزان، وفي غاية الحكمة، وعلى صور متباينة، وضمن مسافات مختلفة، وبحركات متنوعة، ومن بعد ذلك تسخيرها جميعاً وِفْقَ نظام بديع رائع!"[1].

ومما يدلّل به النورسي على "أنّ سيارتنا - الأرض - هذه تُسخَّر بأمر ربَّاني، لأجل أن تنهض بخدمات جليلة، ومهامّ جسيمة خلال سيرٍ وتجوال طويل، فتدور حول الشمس لتظهر بجريها ودورانها هذا عظمة الربوبية وكبرياء الألوهية، وكمال الرحمة والحكمة. فكأنّ الأرض سفينة عظيمة لرب العالمين مشحونة بعجائب مخلوقاته سبحانه، أوهي كمسكن متجوّل لذوي الحياة والشعور من عباده، أسكنهم فيها، ويجريهم بها للنـزهة والتفرج في أرجاء الفضاء".[2]

وتدلّ تلك المقاصد بمجموعها على يسر تفسير فهم الكون واستيعاب ما عليه من عناية عامة تتضمّن حكما لا حصر لها، وكلّ من هذه المظاهر واحدة واحدة وبمجموعها تدلّ دلالة عظيمة جداً على الحكيم، الكريم، الرحيم، الرزّاق، وتدلّ على

---

1 - الكلمات 808

2 - الكلمات 809

وجوب وجوده سبحانه وعلى وحدانيته وكمال ربوبيته، إذ إنّ ما في الحكمة من عناية، وما في العناية من رحمة، وما في الرحمة من إعاشة وإرزاق دلالات قاطعة وبمقياس واسع جداً على الواجب الوجود بمثل دلالة الألوان السبعة على ضوء الشمس الذي يملأ النهار نوراً. مما يشهد بقوّة على التربية المكلّلة بالحكمة البالغة الشاملة، والرحمة الواسعة، والرزق الوفير[1]وشاهد البذور المنثورة المدفونة تحت التراب، لو أمعن النظر في تمايزها أثناء نموها وتسنبلها، رغم تشابه تراكيبها. وتأمّل في المواد المختلفة الداخلة في بنية الأشجار، وتحوّلها إلى مختلف الأشكال من الأوراق الرقيقة، والأزهار الزاهية، والثمار اللطيفة. وتأمّل في أنواع الطعام والأغذية المختلفة الداخلة في المعدة، وتمايز بعضها عن البعض، ودخول كل منها إلى العضو الذي يناسبها بل إلى الحجيرة التي تلائمها بتمايز واضح.. شاهد آثار القدرة المطلقة، من خلال الحكمة المطلقة.[2]

وقد اكتسبت رسائل النور بفعل تفاعلها الرائع مع القرآن الكريم مجموعة من الميزات، تلك الميزات التي كان لها حضور كبير في الرسائل النور مضمونا ومنهجا وأبعادا، سنحاول عرضها لاحقا بشيء من التفصيل.

3 - المصدر الثالث: الواقع الكوني والبشري

---

1 - انظر الكلمات 809

2 - انظر الكلمات 800

تؤكّد المصادر السابقة لمقاصد رسائل النور أنّ المنظور من آيات الله الكونية موافق كلّ الموافقة لآيات الله المسطورة، لهذا فالحديث عن المصدر الرابع متضمن فيما ذكرناه عن المصدرين السابقين (الكتاب والسنّة المطهّرة)، ذلك أنّ الواقع الكوني بشقيه (المتعلّق بعالم الأشياء، والمتعلّق بعالم الإنسان) شاهد أساسي في التأسيس للمقاصد المشار إليها، ذلك أنّها تمثّل مسرح النظر في الآفاق والأنفس، من هنا كان الواقع الكوني والبشري مسرح إثبات وتثبيت المقاصد من جهة ومصدرا يستأنس به المؤمن في تثبيت المقاصد وإثباتها من جهة أخرى، كما يمكن أن تكون مصدرا مستقلا لإثبات تلك المقاصد بالنسبة لغير المؤمن.

فكانت الآيات المسطورة تفتح العيون المعصوبة بالتدبّر والتأمّل في الآفاق والأنفس المألوفتين.[1]

يشهد لهذا أنّ أغلب السور المطولة والمتوسطة - التي كل منها كأنها قرآن على حدة – تفتح أمام الإنسان أبوابا للإيمان ولمعرفة الله ومراتب التوحيد يحقق بها إقرار مقاصد عديدة، حيث إنّ القرآن يقرأ ما هو مسطور في كتاب الكون الكبير ويبينه بوضوح، فيرسخ في أعماق المؤمن إحاطة ربوبيته سبحانه بكل شيء، ويريه تجلياتها المهيبة في الآفاق والأنفس، لذا فإنّ ما يبدو ظاهراً من مناسبة ضعيفة، يبنى عليها مقاصد كلية.[2]

---

2 - انظر صيقل الإسلام 63

3 - انظر الشعاعات 310

يشير إلى تلك المعاني أنّ دلائل التوحيد مستمدة أساسا من النظر في الآفاق والأنفس، ذلك أنّ دلائل الوجود قسمان: آفاقي وأنفسي، والأنفسي على قول بديع الزمان نوعان نفسي وأصولي، وكلاهما يرتكز على النظر في الواقع الكوني والبشري، فقد أشار إلى النفسي الأقرب الأوضح بقوله تعالى:[الذي خلقكم] وإلى الأصولي المستفاد من النظر في الواقع البشري بقوله تعالى: [والذين من قبلكم][1]

ولا يتوقف الاعتداد بالواقع الكوني والبشري عند حدّ التأسيس والتأصيل للمقاصد بل يجاوزه إلى توظيفه في دفع كلّ ما من شأنه أن يقوّض تلك المقاصد، من ذلك ما أشار إليه الأستاذ في إبطال الكفر بوصفه أهمّ ملوّثات البيئة الفطرية، إذ عمدته في إنكاره الكفر والكفران الدلائل الأنفسية وهي أطوار البشر، والدلائل الآفاقية..[2]

عمدت رسائل النور إلى النسج على وفق مسلك القرآن الكريم والسنة المطهّرة في جعل النظر في الواقع الكوني والبشري المشار إليه في أدبيات النورسي بـ" الآفاق والأنفس" مسرحا أساسيا في النظر المؤسس لمقاصد الرسائل نفسها.

قصد بديع الزمان برسائل النور "فتح طريق واسع إلى معرفة الله، وذلك بتوجّهها إلى الآفاق الكونية - كالطرق الجهرية -

---

1 - انظر إشارات الإعجاز 157

2 - انظر إشارات الإعجاز 222 ، 50

فضلا عن جهادها في الأنفس، حتى وكأنها عصا موسى - عليه السلام - أينما ضربتْ فجّرت الماء الزلال"[1]، فكانت نورا منبعثا من الآفاق والأنفس عاكسا لشمس معرفة الأزل[2]، مزيلا للظلمات بجميع أشكالها وأنواعها.

أ - الواقع الكوني والبشري معرّفان التوحيد:

يبحث في آيات الله في أجواء الآفاق وفي أوسع الدوائر إذا به يذكّر أصغَر دائرةٍ من دوائر المخلوقات وأدق جزئيةٍ من جزئياتها، إظهاراً لطابع الأحدية بوضوح في كل شيء.[3]

"انظر أوسع الآفاق الكونية فترى أفعال تنظيم وتقدير وتزيين وتنظيف وأمثالها من الأفعال الحكيمة تبين خالقاً واحداً أحداً، بوحدتها النوعية، ليس هذا فحسب، بل حتى أكثر الأسماء الحسنى، بل كل اسم من ألف اسم واسم من الأسماء الحسنى له تجلٍ أعظم في أوسع دائرة من دوائر الكون. فيُظهر الفعلُ الناتج من ذلك التجلي الواحد الأحد ظهوراً جلياً يناسب سعة ذلك الفعل ووضوحه"[4]، فيتجلى في الواقع الكوني البشري بشكل جلي واضح.

ب - حماية التوحيد من جانب العدم:

---

1 - انظر المثنوي العربي النوري 32

2 - انظر المثنوي العربي النوري 135.

3 - انظر اللمعات 151

4 - انظر اللمعات 520، وانظر الشعاعات 50

يعتمد الأستاذ في دفع مضادات التوحيد على النظر في الأنفس إضافة إلى الآفاق كما سبقت الإشارة إليه، كثيرا ما يؤكّد هذا المعنى بلفت النظر إلى النفس، منها قوله رحمه الله:"فإذا تأمّلت في " أنا " بالمعنى الحرفي، صار لك عيناً تفهّمت ورأيت به كل ما في الكون، لأنّه إذا جاءت المعلومات الآفاقية صادفتْ في " أنا "ما يصدقها. فإذا فهمتها انتهت وظيفة " أنا " وربوبيته الموهومة ومالكيته المفروضة، فليرجع " أنا " من السّمكتية إلى الحبابية .. وأما إذا نظرت إلى " أنا " بالمعنى الأسمي واعتقدته مالكاً، وخنت في الأمانة دخلت تحت [وقَدْ خَابَ مَنْ دَسّيها] إذ الأمانة التي تدهشتْ من حملها السماوات والأرض والجبال هي " أنا" من هذه الجهة، إذ منها يتولد الشرك والشرور والضلالات، إذ إذا تستَّر " أنا " عنك غلُظ، حتى صار حبلاً بلع وجودك فصار كلك أنا.ثم استغلظ بأنانية النوع والاستناد به فيصير شيطانا يبارز أمر صانعه. ثم يقيس الناس، ثم الأسباب على نفسه فيقع في شرك عظيم.. ففي هذا الوجه لو أرسلت عينك وفتحت كل الآفاق انغلق في وجهك، برجوع عينك إلى نفسك، إذ ترى كلَّ شيء بلون ما في نفسك من " أنا"، ولونُه في ذاته - في هذا الوجه - الشرك والتعطيل، ولو مُلئت الآفاق آياتٍ باهرةً، وبقي في" أنا" نقطة مظلمة طمَّت على الآيات."[1]

---

1 - المثنوي العربي النوري 328

ج - الواقع الكوني والبشري ودلالته على النبوة:

الدلائل الأنفسية - على تعبير النورسي - تدل على النبوة والرسالة، مثلها مثل الشمس المصدّقة بالدلائل الآفاقية، فاجتمعت أعالي تلك الحجج والأدلة على أنّ النبي ρ يتمتّع بجميع الأخلاق الحميدة في ذاته.. وكذا جمعُ شخصيته المعنوية في وظيفته أفاضل جميع السجايا الغالية[1]

يؤكّد الواقع البشري أنّه " لا بد أن يوجد رائدٌ أكمل، ومعلمٌ أكبر، ليرشد الناس إلى ما في ذلك الكتاب الكبير من حِكم مقدسة حقيقية.. وليعلّم وجود الحِكَم المبثوثة في إرجائه ويدلّ عليها.. وليكون مبعث ظهور المقاصد الربانية في خلق الكون، بل السبب في حصولها.. وليرشد إلى ما يريد الخالق إظهارَه من كمال صنعته البديعة، وجمال أسمائه الحسنى، فيكون كالمرآة الصافية لذلك الكمال البديع والجمال الفائق.. ولينهض بعبودية واسعة - باسم المخلوقات قاطبة - تجاه مظاهر الربوبية الواسعة، مثيراً الشوقَ وناثراً الوجدَ في الآفاق براً وبحراً ملفتاً أنظار الجميع إلى الصانع الجليل بدعوةٍ ودعاء، وتهليل وتسبيح وتقديس، ترنّ به أرجاء السماوات والأرض.. [2]

إنّ الآيات المنظورة والمسطورة تؤكّد أنّ الله تعالى [أعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى] هدانا بإعطاء الحواس الظاهرة

---

1 - انظر المثنوي العربي النوري 56

2 - انظر اللمعات 536

والباطنة، ثم هدانا بنصب الدلائل الآفاقية والأنفسية، ثم هدانا بإرسال الرسل وإنـزال الكتب، ثم هدانا أعظم الهداية بكشف الحجاب عن الحق فظهر الحق حقا والباطل باطلا.[1]، فكان بينها توافق يجلي النظام الإلهي للكون بشقيه المادي والمعنوي.

د - الواقع الكوني والبشري ودلالاته على الحشر:

النظر في الكون يدل على تحقيق المعاد وإزالة الشبه، كأنّهم يقولون: أين للإنسان هذه القيمة؟ وكيف له تلك الأهمية؟ وما موقعه عند الله حتى يقيم القيامة لأجله؟

فكان جواب القرآن الكريم، فقال القرآن بإشارات واضحة:إنّ للإنسان قيمة عالية بدليل أنّ السماوات والأرض مسخّرة لاستفادته، وكذا أنّ له أهمية عظيمة بدليل أنّ الله لم يخلق الإنسان للخلق بل خلق الخلق له، وأنّ له عند خالقه لموقعا بدليل أنّ الله تعالى لم يوجد العالم لذاته بل أوجده للبشر وأوجد البشر لعبادته. فأنتج أن الإنسان مستثنى وممتاز لا كالحيوانات.[2] ذلك "أنّ الإنسان مميّز عن الحيوان بشمول علاقته بالماضي والمستقبل، وكلّية إدراكه بالأنفس والآفاق.. وكشفه لترتب العلل الظاهرية في إنشاء الأشياء الظاهرية، فأعظم وظيفته وأقدمها، وأتمّ جهازاته وألزمها، التسبيحُ والتحميد بالجهاز المخلوق لهما، فيسبّح الإنسان صانعه بلسان الماضي والحال والمستقبل، وبألسنة الأنفس

---

1 - انظر إشارات الإعجاز 31

2 - انظر إشارات الإعجاز 222

والآفاق.. وبسر مشاهدته لتسبيحات المخلوقات وشهادته عليها يثني على صانع الأشياء بقراءة أسمائه المكتوبة بالترتيب والترتب في حكمة صنع الأشياء." [1]

ثانيا: مميزات عرض مقاصد رسائل النور

فرشة التناثر المحكم للمقاصد في النص النوري

تتميّز المقاصد بتكررها في رسائل النور وتوزّعها على نصوصها، بشكل يخدم حكمة التكرار، بحيث تخلص إلى اكتشافها بقراءة أيّ نص من نصوص الرسائل، ذلك التناثر المحكم الذي يدلّ بنفسه على نفي العبثية وتأكيد شهادة الحكمة، وعدم الإهمال...ونظرا للتكرر المستفيض كانت النتيجة الحاصلة يقينية لورودها بالاستقراء التام[2].

ولتلك الميزات حكم كثيرة متناثرة على نص رسائل النور، يمكن أن نجملها في نوعين، الحكمة المعرفية والحكمة النفسية.

أولا : الحكمة المعرفية :

1 – استناد الأشياء الكثيرة والمتكثرة إلى الواحد الأحد:

يدلّ الاستقراء على استناد الأشياء كلّها إلى واحد أحد، وبذلك تحصل سهولة ويسر بدرجة الوجوب في فهم الكون في شقيه المادي والمعنوي، فيكون التناثر المحكم للمقاصد على النص حجّة قوية قطعية على الحكمة، وبهذا يستبعد استناد الانتظام

---

1 - المثنوي العربي النوري 338

2 - انظر صيقل الإسلام 140

المحكم إلى أسباب عدة وصنّاع كثيرين، ذلك أنّ تبني هذا الرأي يظهر مشاكل وعوائق وصعوبات بدرجة الامتناع، لأن شخصاً واحداً وليكن ضابطاً أو بنّاءً، يحصل على النتيجة التي يريدها، ويعطي الوضع المطلوب، لكثرة من الجنود، أو كثرة من الأحجار ولوازم البناء، بحركة واحدة وبسهولة تامة، بحيث لو أحيل ذلك الأمر إلى أفراد الجيش أو إلى أحجار البناء لتعسّر استحصال تلك النتائج بل لا يمكن قطعاً إلاّ بصعوبة عظيمة.[1]

لو استصحبت مسلك عدم الإقرار باستناد الكل إلى الواحد الأحد، لأفضى إلى إنكار وجود مقاصد كلية وجزئية حال وجودها المتجلي في عناصر الكون جملة وتفصيلا، وفي ذلك أشنع أنواع إنكار الموجود حال الوجود، يصل حدّ التناقض الصارخ، لا يميل إلى القول به إلاّ ملحد منكر ، ذلك أنّ المقاصد في نفسها وتجلياتها تدلّ على استنادها إلى الواحد الأحد في وجودها ثم بقائها.

2 – الدلالة على التناغم والتوازن:

يظهر توزّع المقاصد على النصوص بشكل متوازن ومتناغم مع الغايات النهائية والجزئية، نرى ذلك في الجزء الواحد كما نراه في الكلّ، "نعم، كما أنّنا نرى أنّ كلّ فرد بحاجة إلى رزق يديم حياته، كذلك جميع موجودات العالم - ولا سيما الأحياء -

1 - انظر المكتوبات 21

الكلّي منها والجزئي، أو الكلّ والجزء، لها في كيانها، وفي بقائها، وفي حياتها وإدامتها، مطاليب كثيرة، وضروريات عديدة، مادةً ومعنىً، ومع أنّها مفتقرةٌ ومحتاجة إلى أشياء كثيرة ممّا لا يمكن أن تصل يدُها إلى أدناها، بل لا تكفي قوّةُ ذلك الشيء وقدرتُه للحصول على أصغر مطاليبه، نشاهد أنّ جميع تلك المطالب والأرزاق المادية والمعنوية تُسلَّم إلى يديه من حيث لا يحتسب وبانتظام كامل وفي الوقت المناسب تسليماً موافقاً لحياته متّسماً بالحكمة الكاملة."[1] ولا يخلص إلى تقرير تلك الحقيقة ما لم نسلّم بوجود المقاصد.

3 - النظر إلى الأشياء من زاوية الوظائف المتكاملة:

تقرر الملاحظة الآنفة الذكر بأنّ لوجود كل شيء غايات، ولحياته أهداف ونتائج، فهي ليست بمنحصرة – كما يتوهّم أهل الضلالة – على الغايات والمقاصد التي تتوجه إلى الدنيا أو التي تنحصر في الموجود نفسه، حتى يمكن أن يتسلّل إليها العبث وعدم القصد. بل إنّ غايات وجود كل شيء ومقاصد حياته متنوّعة اختصرها بديع الزمان في ثلاثة أقسام:

أ - القسم الأول: القسم الأعلى والأسمى والمتوجّه إلى الله عزّ وجلّ:

1 - الكلمات 339

يعد هذا القسم أسماها وهو المتوجه إلى صانعه سبحانه وتعالى... أي: "عرض دقائق صنع كل شيء وبديع تركيبه أمام أنظار الشاهد الأزلي سبحانه - بما يشبه الاستعراض الرسمي - حيث تكفي لذلك النظر حياة الشيء ولو للحظة واحدة. بل قد يكفيه استعداده لإبراز قواه الكامنة - الشبيهة بنيّته - ولمّا يبرز إلى الوجود . ومثاله : المخلوقات اللطيفة التي تزول بسرعة، والبذور التي لم يتسن لها إعطاء ثمارها وأزاهيرها، تفيد هذه الغاية وتعبّر عنها تماماً، فلا يطرأ عليها عبث ولا انتفاء النفع البتة. أي أنّ أولى غايات كل شيء هو : إعلانه وإظهاره - بحياته ووجوده - معجزات قدرة صانعه، وآثار صنعته، أمام أنظار عناية مليكه ذي الجلال".

ب - القسم الثاني: المتوجّه إلى الغاية من الوجود والهدف من الحياة في ذوي الشعور

"غاية الوجود وهدف الحياة في هذا المقام هو : التوجه إلى ذوي الشعور أي أنّ كل شيء بمثابة رسالة ربانية زاخرة بالحقائق، وقصيدة تنضح لطفاً ورقةً وكلمة تفصح عن الحكمة، يعرضها الباري عزّ وجلّ أمام أنظار الملائكة والجن والحيوان والإنسان، ويدعوهم إلى التأمّل، أي أنّ كلّ شيء هو محل مطالعة وتأمّل وعبرة لكل من ينظر إليه من ذوي الشعور".

ج - القسم الثالث:المتوجّه إلى الغاية من الوجود والحياة في الإنسان نفسه

"غاية الوجود وهدف الحياة في هذا السياق هو : التوجه إلى ذات نفسه:كالتمتّع والتلذّذ وقضاء الحياة والبقاء فيها بهناء، وغيرها من المقاصد الجزئية. فمثلاً:إنّ نتيجة عمل الملاّح في سفينة السلطان العظيمة تعود فائدتها إليه وهي أجرته، وهي بنسبة واحد في المائة، بينما تسع وتسعين بالمائة من نتائج السفينة تعود إلى السلطان الذي يملكها.. وهكذا إن كانت الغاية المتوجهة إلى كلّ شيء بذاته وإلى دنياه واحدة، فالغاية المتوجهة إلى بارئه سبحانه هي تسع وتسعون.

ففي تعدد الغايات هذا يكمن سرّ التوفيق بين "الحكمة والجود" أي بين " الاقتصاد والسخاء المطلقين" اللذين يبدوان كالضدين والنقيضين. وتوضيح ذلك:

إذا لوحظت غاية بمفردها فإنّ الجود والسخاء يسودان آنذاك، ويتجلى اسم "الجواد"، فالثمار والحبوب حسب تلك الغاية المفردة الملحوظة لا تعد ولا تحصى. أي أنّها تفيد جوداً مطلقاً وسخاء لا حصر له. أما إذا لوحظت الغايات كلّها فإنّ الحكمة هي التي تظهر وتهيمن، ويتجلى اسم "الحكيم"، فتكون الحِكَم والغايات المتوخاة من ثمرة لشجرة واحدة بعدد ثمار تلك الشجرة، فتتوزّع هذه الغايات على الأقسام الثلاثة التي سبق ذكرها. فهذه الغايات العامة تشير إلى حكمة غير نهائية، واقتصاد غير محدد، فتجتمع الحكمة المطلقة مع الجود المطلق اللذان يبدوان كالضدين.

ومثلاً: إنّ إحدى الغايات من الجيش هي المحافظة على الأمن والنظام، فإذا نظرت إلى الجيش بهذا المنظار فسترى أنّ هناك عدداً فوق المطلوب منه.أمّا إذا نظرنا إليه مع أخذنا الغايات الأخرى بنظر الاعتبار كحفظ الحدود، ومجاهدة الأعداء وغيرها، عند ذلك نرى أنّ العدد يكاد يفي بالحد المطلوب... فهو إذن توازن دقيق بميزان الحكمة.إذ تجتمع "حكمة" الحكومة مع "عظمتها". وهكذا يمكن القول في هذه الحالة: أن الجيش ليس فوق الحد المطلوب".[1]

4 – تعدد الوظائف وشمولها:

يعد توزّع المقاصد على النص النوري مظهرا من مظاهر تعدد الوظائف وشمولها إضافة إلى تكاملها، يمكن اكتشاف ذلك من ملاحظة أنّ القدير الجليل وفق ما حدّده من مقاصد مخصوصة أعطى كلَّ عنصرٍ من العناصر وظائف كثيرة، ويُنشئ على كلٍ من تلك الوظائف نتائج كثيرة.

فلو ظهرت نتيجة واحدة قبيحة - أي شر ومصيبة وبلاء - من عنصر من العناصر في وظيفة من وظائفه الكثيرة، فإنّ سائر النتائج المترتّبة على ذلك العنصر، تجعل هذه النتيجة الوخيمة في حكم الحسن والجميل، لأنّها جميلة وحسنة إذ لو مُنع ذلك العنصر الغاضب على الإنسان من تلك الوظيفة للحيلولة دون مجيء تلك

1 - الكلمات 79

النتيجة الوحيدة البشعة للوجود لتُركت إذن خيرات كثيرة بعدد النتائج الخيرة المترتبة على سائر وظائف ذلك العنصر. أي تحصل شرور كثيرة بعدد تلك النتائج الخيرة، حيث إنّ عدم القيام بخير ضروري، إنّما هو شر كما هو معلوم.كلّ ذلك للحيلولة دون مجيء شر واحد! وما هذا إلاّ منافاةٌ للحكمة. وهو قبح واضح، ومجافاة للحقيقة، وقصور مشين. بينما الحكمة والقدرة والحقيقة منـزّهة عن كلّ نقص وقصور.[1]وبهذا يستبعد خلو الكون من مقاصد ظاهرة جلية.

5 - الأصل الواحد الذي يحكم الكلّ:

تناثر المقاصد على جميع الجزئيات والكليات المكتشفة يدل على الأصل الواحد الذي يحكم الجميع في إطار تكاملي شامل، يحدد لكلّ دوره في إطار مقاصد فرعية وكلية، بحيث إذا أسندت الأشياء كلّها إلى واحد أحد، تحصل سهولة ويسر بدرجة الوجوب، وإن أسندت إلى أسباب عدة وصنّاع كثيرين تظهر مشاكل وعوائق وصعوبات بدرجة الامتناع. لأنّ شخصاً واحداً، وليكن ضابطاً أو بنّاءً، يحصل على النتيجة التي يريدها، ويعطى الوضع المطلوب، لكثرة من الجنود، أو كثرة من الأحجار ولوازم البناء، بحركة واحدة وبسهولة تامة، بحيث لو أحيل ذلك الأمر إلى أفراد الجيش أو إلى أحجار البناء لتعسّر استحصال تلك

---

1 - انظر الكلمات 197

النتائج بل لا يمكن قطعاً إلاّ بصعوبة عظيمة.[1]، فلو أحيلت المهارة في بناء القبة إلى أحجارها، وفوّض ما يخصّ الضابط في إدارة الفوج إلى الجنود أنفسهم، فإما لا تحصل تلك النتيجة ولا تأتي إلى الوجود أصلاً أو يحدث فوضى من عدم الانتظام ومشكلات واختلاط الأمور. بينما إذا أسندت المهارة في بناء القبب إلى صانع ليس من نوع الحجر، وفوّضت إدارة الجنود في الفوج إلى ضابط حاز ماهية الضابط - من حيث الرتبة - فإن الصنعة تسهّل والإدارة تتيسّر، حيث إنّ الأحجار وكذا الجنود يمنع أحدها الآخر.بينما البنّاء والضابط ينظران ويتوجّهان ويديران كلّ نقطة من نقاط البناء أو الجنود دون مانع أو عائق. (ولله المثل الأعلى) إن الماهية المقدّسة لواجب الوجود ليست من جنس ماهية الممكنات. بل جميع حقائق الكائنات ليست إلاّ أشعة لاسم " الحق " الذي هو اسم من الأسماء الحسنى لتلك الماهية.[2]وبتلك الصفة نستشف السير المنضبط للكون وفق مقاصد مخصوصة تقتضيها بعض أشعة اسم"الحق".

6 – دليل أهمية المقاصد في رسائل النور:

توزّع المقاصد على النصوص يدلّ على أهميتها ومركزيتها، بحيث تظهر في الغالب الأعم في كل فقرة من فقرات النص، وبهذا يتأكّد أنّ الشارع الحكيم قصد إظهارها في كلّ النصوص

---

1 - المكتوبات 21

2 - المكتوبات 325

لغاية وظيفية، كي لا يغفل عنها الإنسان، كما أنّ التوزّع على النص وسيلة قوية لفهم الوحدة المتجلية في الكثرة، ذلك أنّ الوحدة المتجلية في الكثرة دليل على المقاصد الموزّعة على النص، كما " أنّ في طريق الوحدة والإيمان سهولة مطلقة بدرجة الوجوب، بينما في طريق الشرك والأسباب والكثرة مشكلات وصعوبات بدرجة الامتناع، لأنّ الواحد يعطي وضعاً معيناً لكثير من الأشياء، ويستحصل منها نتيجة معينة دون عناء، بينما لو أحيل اتّخاذ ذلك الوضع واستحصال تلك النتيجة إلى تلك الأشياء الكثيرة، لما أمكن ذلك إلاّ بتكاليف وصعوبات كثيرة جداً وبحركات كثيرة جداً."[1] بل لعدّ من باب المحال ليس صعبا تصوّره فحسب بل يعد من قبيل التشغيب.

7 – مظهر من مظاهر الحكمة الربانية:

يؤكّد التناثر المحكم للمقاصد في النص النوري، تعدد الغايات الذي تكمن فيه كثير من مظاهر الحكمة الربانية المعبّرة عن بعض وجوه تلك المقاصد الحكيمة، إذ فيها يكمن سر التوفيق بين الحكمة والجود أي بين الاقتصاد والسخاء المطلقين، اللذين يبدوان كالضدين والنقيضين، وتوضيح ذلك إذا لوحظت غاية بمفردها فإنّ الجود والسخاء يسودان آنذاك، ويتجلى اسم "الجواد"، فالثمار والحبوب حسب تلك الغاية المفردة الملحوظة

---

1 - المكتوبات 333

لا تعد ولا تحصى، أي أنّها تفيد جوداً مطلقاً وسخاء لا حصر له، أمّا إذا لوحظت الغايات كلّها، فإنّ الحكمة هي التي تظهر وتهيمن، ويتجلى اسم "الحكيم"، فتكون الحِكَم والغايات المتوخاة من ثمرة لشجرة واحدة بعدد ثمار تلك الشجرة، فتتوزّع هذه الغايات على الأقسام الثلاثة التي سبق ذكرها، فهذه الغايات العامة تشير إلى حكمة غير نهائية، واقتصاد غير محدد، فتجتمع الحكمة المطلقة مع الجود المطلق اللذان يبدوان كالضدين."[1]

8 - استبعاد العبثية:

ويستفاد من تناثر المقاصد على النصوص والكون استبعاد العبثية والإسراف في خلق الموجودات، وأنّ عدمهما يشير إلى السعادة الأبدية والدار الآخرة. والدليل على أنّه ليس في الفطرة إسراف ولا في الخلق عبث، وفي ذلك أجلى صور القصد في الوضع، "ذلك أنّ الخالق سبحانه وتعالى قد اختار لخلق كلّ شيء أقرب طريق، وأدنى جهة، وأرقّ صورة، وأجمل كيفية، فقد يسند إلى شيء واحد مائة وظيفة، وقد يعلّق على شيء دقيق واحد ألفاً من الغايات والنتائج. فما دام ليس هناك إسراف، ولا يمكن أن يكون هناك عبث فلابدّ أن تتحقق تلك الحياة الأخرى الأبدية. وذلك إن لم يكن هناك رجوع إلى الحياة من جديد، فإنّ العدم يحوّل كل شيء إلى عبث، بمعنى أنّ كلّ شيء كان إسرافاً

---

1 - الكلمات 79

وهدراً. إلاّ أنّ عدم الإسراف الثابت حسب علم وظائف الأعضاء في الفطرة جميعها - ومنها الإنسان- ليبيّن لنا أنّه لا يمكن أن تذهب هباءً - فيكون إسرافاً - جميع الاستعدادات المعنوية، والآمال غير النهائية، والأفكار والميول.. حيث إنّ الميل الأصيل إلى التكامل المغروس في أعماق الإنسان يفصح عن وجود كمال معين، وأنّ ميله وتطلّعه إلى السعادة يعلن إعلاناً قاطعاً عن وجود سعادة خالدة وأنّه المرشح لهذه السعادة".[1]

9 – مظهر زينة الكائنات ماديا ومعنويا:

يظهر توزّع المقاصد على النصوص "أنّ الحكيم المطلق قد زيّن هذه الكائنات العظيمة ونظّمها إظهاراً لأمثال هذه المقاصد العظمى والغايات الجليلة.. وأنّ في هذه الموجودات نوعَ الإنسان الذي يستطيع أن يشاهد هذه الربوبية العامة بجميع دقائقها، وهذه الألوهية الجليلة بجميع حقائقها.. فلا ريب أنّ ذلك الحكيم المطلق سيتكلم مع الإنسان وسيُعْلِمُه مقاصدَه".[2] فالتوزّع نفسه زينة مادية ومعنوية تدل على الانتظام والنظام، بحيث لو سيق بعضها قبل المقدّم عنه لفقدت الزينة المشاهدة.

10 - دلالتها على المنظّم:

---

1 - انظر الكلمات 614

2 - انظر الكلمات 678

التوزّع المحكم للمقاصد على العالمَين المادي والمعنوي يستدل به على المنظّم الحكيم الجواد اللطيف بعباده، بل تعد تلك المقاصد في توزّعها بعض تجليات الأسماء الحسنى.

كما أنّ المقاصد المحكمة التوزيع على العالمين المادي والمعنوي تؤكّد وحدة النظام، وبالتالي كان المنظّم واحدا مستقلا عن النظام نفسه أو مكوّناته.

يقول الأستاذ بديع الزمان:"نعم، كما أنّ الإبداع الظاهر على "المسبَّبات"وروعة جمالها قد عَزَلت الأسباب وسلبتها قدرة الخلق، ودلّتنا بلسان حالها على مسبِّب الأسباب، وسلّمتْ الأمور كلّها بيد الله كما جاء في الآية الكريمة:[وَإلَيه يُرْجَعُ الأمْرُ كُلُّهُ] (هود:123) كذلك النتائج التي نيطت بالمسبَّبات، والغايات الناشئة والفوائد الحاصلة منها، تظهر جميعاً بداهة أن وراء حجاب الأسباب ربّاً كريماً، حكيماً، رحيماً، وأن ما نراه من أشياء ليست إلاّ من صنعه وإبداعه سبحانه."[1]

11 - الآثار المتجددة للنظام:

تجاوز توزّع المقاصد الدلالة على النظام،إذ يدلّ أيضا على تجدد النظام، "يستشف ذلك من الآثار المتجدّدة البادية للعيان، تلك التي تملأ الكون، وتدلّ بداهة على أفعال في منتهى الحكمة والكمال، وأنّ عناوين هذه الأفعال الظاهرة من خلال منتهى

---

1 - الكلمات 820

الإتقان وغاية الحكمة تدلّ بالبداهة على فاعل كاملٍ منـزهٍ عن النقص في عناوينه وأسمائه.لأنَّ الأفعال المتقنة والحكيمة معلومٌ بداهةً أنها لا تحصل دونما فاعل. وأنّ العناوين التي هي في منتهى الكمال تدل على الصفات". [1]

ويرى أثر المنظّم على صغير الكون وكبيره، فيرى التناغم الفني والوظيفي و...من ذلك "مثلا أنّ النجم كالمَلَك والسَمَك له أفراد في غاية الصغر وفي غاية الكبر، فكل ما يضيء في وجه السماء فهو نجم، فمن هذا النوع ما يُزَيّن به السماء كالجواهر والأثمار والأسماء، ومنه ما يُرجم به الشياطين كالمنجنيقات المرماة للطرد، أو للإشارة إلى وجود الحارسين المتيقظين المطيعين المجتنبين عن اختلاط العاصين، أو للرمز إلى جريان قانون المبارزة في أوسع الدوائر.. ولله الحجة البالغة والحكمة القاطعة". [2]

"إنّك لو لاحظت ماهية ما هو ظاهر في أغلب الأشياء من تنظيم الحكمة وتزيين العناية وتقدير العدالة ولطافة الرحمة، تبيّن لك أنّه صادرة من يد القدرة لصانع حكيم، كريم، عادل، رحيم، كذلك إذا لوحظت عظمة هذه الصفات الجليلة وقوتها وطلاقتها،

1 - انظر الكلمات801

2 - المثنوي العربي 336

مع قصر حياة هذه الموجودات في هذه الدنيا وزهادتها فان الآخرة تتبين من خلالها".[1]

12- الحكمة الموزّعة على كل مظاهر الكون:

من مقتضيات النظر في التوزّع المحكم للمقاصد على الكونين المنظور والمسطور تأكيد النظام ومشاهدة الحكمة التي تعطي كلّ شيء دوره المنوط به، فتكشف على أنّ المقدّر القدير الحكيم لا يشغله صغير عن كبير، ولا خطير عن حقير. وأنّ المحيط الظاهر الباطن المجرّد عن المادة لا يواري الأكبرُ عنه الصغر.ولا النوعُ الفردَ. وأنّ الصغير مادةً قد يكون كبيراً من جهة الصنعة.وأنّ نوع الصغير، عظيم كثير كبير. وأنّ العظمة المطلقة لا تقبل الشركة أصلا ولا تتحملها.[2]

13 - تقسيم الأعمال وتكاملها:

تناثر المقصد بنفسه دال على تقسيم محكم للأعمال في إطار شامل متكامل وأساس هذه القاعدة هو :"أنّ الامتثال والطاعة لقانون التكامل والرقي للصانع الجليل - الجاري في الكون على وفق تقسيم الأعمال - فرض وواجب، إلاّ أنّ الطاعة لإشارته ورضاه سبحانه الكامنين في ذلك القانون لم يوف حقها. علماً أنّ يد عناية الحكمة الإلهية - التي تقتضي قاعدة تقسيم الأعمال - قد أودعت في ماهية البشر استعدادات وميولاً، لأداء العلوم

---

1 - انظر الكلمات 97

2 - انظر المثنوي العربي 415

والصناعات التي هي في حكم فرض الكفاية لشريعة الخلقة (السنن الكونية)".[1]

ثانيا: الحكمة التربوية

1 - الدعوة للاستغفار قدر العدد اللانهائي من تناثر المقاصد التي لا يكافئ عددها ما لانهاية له من الاستغفار:

فضل الله على البشر لا حصر له عددا، ونعمه تحيط بهم من كل جانب، ففي كلّ مقصد نعمٌ لا يبلغها العد، وإذا كان التوزّع لا حصر له ولا عد، بحيث نجد تجلياته في كل شيء مهما دقّ وفي كلّ نص مهما قصر في الغالب الأعم، فإنّ التعدد مدعاة للتذكّر والاستغفار، ولا يقابل ما لا نهاية له بما له حد، فتكون التجليات التي لا حصر لها سببا في الدفع إلى استغفار لا حصر له، سجّل هذا المعنى قول بديع الزمان:"إنني أقسم بما آتاني الله من قوة بل لو كان لي مالا يعد ولا يحصى من الألسنة لأقسمت بها جميعاً، أقسمت بالذي خلق العالم بهذا النظام الأكمل (وهي مظهر من المظاهر الجلية للتوزّع المحكم للمقاصد على الكون)، وخلق الكون في منتهى الحكمة والانتظام من الذرات إلى السيارات السابحات في أجواز الفضاء(دليل على توزّع حكيم لا حصر له) ومن جناح البعوضة إلى قناديل النجوم المتلألئة في السموات، ذلكم الحكيم ذو الجلال والصانع ذو الجمال، أقسم به سبحانه

1 - صيقل الإسلام43

بألسنة لا تحد أنّه لا يمكن أن يخرج البشر على سنة الله الجارية في الكون ويخالف بقية إخوانه من طوائف المخلوقات بشروره الكلية ويقضي بغلبة الشر على الخير فيهضم تلك المظالم الزقومية على مدى ألوف السنين، فهذا لا يمكن قطعاً."[1]

2 - تناثر المقاصد تذكير دائم في كل المظاهر الكونية:

يفيد تناثر المقاصد تذكيرا مستمرا دائما، بحيث يتذكّر القارئ المتفحّص الغايات الأصلية وتوابعها، وذلك بما يظهر من غايات متعددة وثمرات متنوّعة ووظائف مختلفة، "انظر في نفسك ألا ترى أنّ للسانك وظائف بعدد شعر رأسك؟ فالجود باعتبارٍ غاية بلا حساب وباعتبار وظيفةٍ لا ينافي الحكمة والعدالة في وجوده الناظر إلى مجموع الغايات والوظائف، كالعسكر المستخدم في تعقيب ذي جناية أو في حماية قافلة مثلا، ففي العسكر كثرة وجود بلا حساب بالنسبة إلى أمثال هذه الخدمات الجزئية مع القلّة والمساواة لما يلزم لحفظ الثغور والحدود وسائر الغايات..[2]

وبسبب الغفلة عن التذكّر المستفاد من العدد الذي لا حصر له من المقاصد الموزّعة بإحكام، تحول النفس الأمارة المتتلمذة للشيطان بين الإنسان والنظر المثمر، فتظنّ صغر الجسم سبب صغر الصنعة، فتجوِّز صدورها من أسباب صمٍ عُميٍ، وتدّعي في الكبير المنبسط عدم الكتابة بالحكمة، ووجود العبثية

---

1 - صيقل الإسلام 503

2 - المثنوي العربي النوري 356

والتصادف..[1]إنّها أظهر صور الغفلة عن ذلك الحبك المنظّم للمقاصد على الآيات المنظورة والمسطورة.

3 - الدعوة إلى الحسن والخير والحق والكمال:

يعد من الأبعاد التربوية المطلوبة والمقصودة، النظر إلى توزّع المقاصد على النص النوري من زاوية تربوية، وييسّر ذلك النظر مشاهدة الحسن والخير والحق والكمال الذي يمثّل مقصدا أساسيا في الغالب، وهو المقصد المطلق في خلق العالم، وبشهادة العلوم جميعها، وبتصديق الاستقراء الناشئ من نظر الحكمة، أمّا الشرّ والقبح والباطل، فهي أمور تبعية ومغلوبة ومغمورة، وحتى لو كانت لها الصولة فهي صولة مؤقتة.[2]، "لهذه الحكمة بدأ هذا السلطان بتشييد قصر فخم شامخ جداً، وقسّمه بشكل بارع إلى منازل ودوائر مزيّناً كلَّ قسمٍ بمرصعات خزائنه المتنوعة، وجمّله بما عملت يداه من ألطف آثار إبداعه وأجملها، ونظّمه ونسّقه بأدقّ دقائق فنون علمه وحكمته، فجهزه وحسّنه بالآثار المعجزة لخوارق علمه".[3]

4 - اكتشاف قيمة الإنسان:

---

1 - المثنوي العربي النوري 356

2 - انظر صيقل الإسلام 53

3 - الكلمات129

القراءة النافعة للمقاصد تسهم في اكتشاف الإنسان قيمته، وبذلك تسهم في صناعة وعيه بقوته الكامنه، وتذكّره بوظيفته الأصلية.

إنّ النظر في الكون من زاوية المقاصد يؤكّد أنّه كما أنّ قيمة الإنسان المؤمن قيمةٌ ما فيه من الصنعة العالية، والصبغة الغالية ونقوش جلوات الأسماء، المستفادة من تناثر المقاصد عليه وعلى ما حوله من مظاهر الكون المادية والمعنوية، كما أنّ غفلة الإنسان الكافر عن تلك المقاصد المتناثرة تجعل قيمته قيمة مادته الفانية الساقطة..

تزيد بلا نهاية قيمة هذا العالم إذا نظر إليه من زاوية تناثر المقاصد على كلّياته وجزئياته - إن نظر إليه بالمعنى الحرفي وبحسابه سبحانه - كما علّم القرآن. أمّا إذا غفلنا عن تلك المقاصد المتناثرة تسقط قيمته إلى درجة المادة المتغيّرة الجامدة - إن نظر إليه بالمعنى الإسمي وبحساب الأسباب [1]- كما علَّمَتْه الحكمة الفلسفية.[2]

5 - ظهور قيمة الأشياء مهما صغرت في تناثر المقاصد على الكون:

---

1 - الظن بأنّ قوّته ذاتية وليست من الله تعالى، ويراد بالشق الثاني التعلّق بالأسباب و ربط المصير بها عوض الرجوع إلى جاعل الأسباب وخالقها.

2 - انظر المثنوي العربي النوري 378

الاهتمام بالأنا مفسدة تبعد العناية المعرفية والموضوعية بالأشياء مادية كانت أو معنوية، وخاصة تلك التي لا صلة لها بمصالح الأناني المادية والمعنوية، ويرجع نظر الأناني إلى إهمال المقاصد والغايات في تحقيق النظر الدقيق إلى الأشياء مهما صغرت، فالواحد في هذه المخلوقات والممكنات الاعتيادية - وهي ناقصة فانية –لما فيها من "(النورانية والشفافية والانتظام والامتثال والموازنة) فلابدّ أنّه يتساوى أمام القدير المطلق القليل والكثير، والصغير والكبير، وحشرُ فرد واحد وجميع الناس بصيحة واحدة، وذلك بالتجليات "النورانية" المطلقة لقدرته الذاتية المطلقة وهي في منتهى الكمال، و"الشفافية" و"النورانية" في ملكوتية الأشياء، و"انتظام"الحكمة والقدرة، و"امتثال" الأشياء وطاعتها لأوامره التكوينية امتثالاً كاملاً، وبسر"موازنة" الإمكان الذي هو تساوي الممكنات في الوجود والعدم".[1]

6 - إظهار الوظائف الجزئية للأشياء:

المعرفة الجزئية في إطار المقاصد والغايات تظهر الوظائف الجزئية فضلا عن الوظائف الكلية الكبرى، ذلك أنّ الكلية الكبرى تركيب لمجموعة من الوظائف الجزئية - قد نبلغ عدّها وقد لا نبلغه-، وقد بيّن بديع الزمان ذلك النظر بمثال رائع، قال فيه:"إذا ما شيَّد معماري بارع حكيم قصراً منيفاً، وأودع في كلّ حجر من

1 - الكلمات 99

أحجاره مئات الحِكَم والمصالح والفوائد، فلا يتصوّر مَن له شعور أن لا يبني له سقفاً يحفظه من البلى والفساد، لأنّ هذا يعني تعريض البناء إلى العدم والتلف وضياع تلك الفوائد والحكم التي كان يرعاها ويتولاها، وهذا ما لا يرضى به ذو شعور، أو أنّ حكيماً مطلقاً يُنشئ من درهم من البذور مئات الأطنان من الفوائد والحكم والغايات، ويتعقبها ويديرها، لا يمكن أن يَتَصور مَن له عقل صدور العبث والإسراف المنافيين كلّياً للحكمة المطلقة من ذلك " الحكيم المطلق" فيقلّد الشجرة الضخمة فائدة جزئية، وغاية تافهة وثمرة قليلة، علماً أنّه ينفق لإنشائها وإثمارها الكثير" [1]

والنظر وفق هذه الرؤية المتميّزة يسمح بالتأسيس الجلي للإيمان، لأن إحداث عوالم ذات حياة، وإيجاد كائنات موظّفة في هذه الدنيا، إحداثاً وإيجاداً بكلّ علم وحكمة، وميزان وموازنة، وانتظام ونظام، واستعمالها بقدرة، واستخدامها برحمة في المقاصد الربانية، وفي الغايات الإلهية، وفي الخدمات الرحمانية، تدلّ بالبداهة على وجوب وجود ذاتٍ مقدسة جليلة لا حدّ لقدرتها، ولانهاية لحكمتها، ويظهرها للعقول واضحة كالشمس.[2]

7 - اكتشاف التناغم مع الفطرة:

النظر التمحيصي في المقاصد يبيّن تناغمها مع الفطرة بجميع مظاهرها ومضامينها، ولعلّ من أهم تلك المظاهر تناغمها مع

---

1 - اللمعة الثلاثون 535

2 - انظر الشعاعات183

فطرة الإنسان، إذ يتجلى في المقاصد والغايات الشرعية والكونية المادية والمعنوية الرعاية التامة في الموازنة والاطراد والمطابقة لدساتير الفطرة، بل أبعد من ذلك، فترى الاتحاد في المقاصد والغايات في خدمة ذلك الهدف، لهذا ترى المقاصد محافظة على الميزان الكوني بشكل جلي ظاهر لا يغفل عنه إلاّ مريض ولا ينكره إلاّ متكبّر.[1]

8 - الصلة بين المكوّنات من تناثر المقاصد:

وتظهر صلة المكوّنات المادية والمعنوية ببعضها من تناثر المقاصد وتوزّعها على الكون بمظهريه المسطور(الكتاب)والمنظور(الكون المادي)، خذ مثلا ما اشتهر بين الناس من " حق الحياة " وهو حفظ الحياة مع نوع راحة، فأقلّ وأصغر وأدنى وأحقر من أن يكون جزءاً من ملايين أجزاء " حق الحياة " تلك الحياة التي هي من أعلى وأغلى وأعجب وأغرب وألطف وأشرف معجزات قدرة الحي القيوم الأحد الصمد، بل ما هو إلاّ وسيلة وإنّما يتشرف ما بقي وسيلةً، فإذا ترقى إلى المقصدية، سقط بالزوال هباءً منثوراً.. [2]

ومن أمثلة ذلك أيضا، لمعات إعجاز القرآن كما ذكرت في أكثر من موضع من رسائل النور، "إنّه جمع السلاسة الرائقة والسلامة الفائقة والتساند المتين والتناسب الرصين والتعاون بين

---

1 - اللمعات 882، الملاحق 184

2 - انظر المثنوي العربي النوري 417

الجمل وهيئاتها والتجاوب بين الآيات ومقاصدها بشهادة علم البيان وعلم المعاني، مع أنّه نـزل في عشرين سنة نجما نجما لمواقع الحاجات، نـزولاً متفرّقاً متقاطعاً مع كمال التلاؤم كأنّه نـزل دفعة، ولأسباب نـزول مختلفة متباينة مع كمال التساند كأنّ السبب واحد، وجاء جواباً لأسئلة مكررة متفاوتة مع نهاية الامتزاج والاتحاد كأنّ السؤال واحد.وجاء بيانا لحادثات أحكام متعدّدة متغايرة مع كمال الانتظام كأنّ الحادثة واحدة.ونـزل متضمنا لتنـزلات إلهية في أساليب تناسب أفهام المخاطبين، لاسيما فهم المنـزل بحالات في التلقى متنوعة متخالفة مع حسن التماثل والسلاسة كأنّ الحالة واحدة. وجاء متكلّما متوجها إلى أصناف مخاطبين متعددة متباعدة مع سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الأفهام كأنّ المخاطب واحد بحيث يظن كل صنف أنّه المخاطب بالأصالة.ونـزل مهديا وموصلا لغايات إرشادية متدرجة متفاوتة مع كمال الاستقامة والموازنة والنظام كأن المقصد واحد، فمن كانت له عين سليمة في بصيرته، فلا ريب أنّه يرى في القرآن عيناً ترى كل الكائنات ظاهراً وباطناً كصحيفة مبصرة واضحة يقلّبها كيف يشاء، فيعرِّف معانيها على ما يشاء.." [1]

---

1 - المثنوي العربي النوري 77

وتؤكّد رسائل النور تلك الحقائق بظهور اسم "الجواد" في الجزئيات مهما صغرت، وتظهر اسم "الحكيم" في تناغم الكل وتوافقه، ولاشك أنّ الربط بينها لا يكون إلاّ بانتشار المقاصد وتوزّعها على العوالم المادية والمعنوية، ليس هذا فحسب، بل هي تجليات للمقاصد والغايات، يشهد لهذا المعنى قول بديع الزمان:"إذا لوحظت غاية بمفردها فإنّ الجود والسخاء يسودان آنذاك، ويتجلى اسم"الجواد"، فالثمار والحبوب حسب تلك الغاية المفردة الملحوظة لا تعد ولا تحصى. أي أنّها تفيد جوداً مطلقاً وسخاء لا حصر له. أمّا إذا لوحظت الغايات كلّها فإنّ الحكمة هي التي تظهر وتهيمن، ويتجلى اسم "الحكيم"، فتكون الحِكَم والغايات المتوخاة من ثمرة لشجرة واحدة بعدد ثمار تلك الشجرة، فتتوزع هذه الغايات على الأقسام الثلاثة التي سبق ذكرها. فهذه الغايات العامة تشير إلى حكمة غير نهائية، واقتصاد غير محدد، فتجتمع الحكمة المطلقة مع الجود المطلق اللذان يبدوان كالضدين."[1]

ونلاحظ الشاهد نفسه في تجليات الأسماء الحسنى، ففي الدعاء نحن أيضاً نطلبه، بل مع جميع ما تجلى علينا من أسماء الله الحسنى، نطلب حصول ما يطلب هو .. ثم انظر إلى طوره في طرز تضرعاته كيف يتضرّع بافتقارٍ عظيمٍ في اشتياق شديد

---

1 - الكلمات 79

وبحزن عميق في محبوبية حزينة، بحيث يهيّج بكاء الكائنات فيبكيها فيُشركُها في دعائه.. ثم انظر لأيّ مقصدٍ وغاية يتضرع، ها هو يدعو لمقصدٍ لولا حصول ذاك المقصد لسقط الإنسان بل العالم بل كل المخلوقات إلى أسفل سافلين لا قيمة لها ولا معنى، وبمطلوبه تترقى الموجوداتُ إلى مقامات كمالاتها... ثم انظر كيف يتضرّع باستمدادٍ مديد، في غياث شديد، في استرحام بتودد حزين، بحيث يُسمع العرشَ والسموات، ويهيّج وجدَها، حتى كأنّ يقول العرش والسموات:آمين اللهم آمين.. ثم انظر ممّن يطلب مسئولَه؟ نعم، يطلب من القدير السميع الكريم ومن العليم البصير الرحيم، الذي يسمع أخفى دعاءٍ من أخفى حيوانٍ في أخفى حاجة، إذ يجيبه بقضاء حاجته بالمشاهدة، وكذا يبصر أدنى أملٍ في أدنى ذي حياة في أدنى غاية، إذ يوصله إليها من حيث لا يحتسب بالمشاهدة، ويُكرم ويَرحم بصورة حكيمة، وبطرز منتظم، لا يبقى ريب في أنّ هذه التربية والتدبير من سميع عليم ومن بصير حكيم[1]، فالغايات راجعة إلى المحيي جلّ جلاله بالمظهرية لتجليات أسمائه، وبإظهار ألوان وأنواع جلوات رحمته في جنته في الحياة الأخروية التي هي ثمرات بذور هذه الحياة الدنيوية وهكذا..[2]

---

1 - المثنوي العربي النوري 63

2 - المثنوي العربي النوري 193

وتقرر الحقيقة نفسها في كثير من المواضع في رسائل النور، منها قول النورسي: " إنّ الذي يجعل النتيجة الواحدة تولّد نتائج متعاقبة هو :جمع الأصول المتعددة وذكرها، لأنّ لكلّ أصل من الأصول، وإن لم يكن له ارتباط بالذات وقصدٌ بالنتيجة الرفيعة، ففي الأقل يهزّها ويكشفها إلى حدّ ما. فكأنّ الكلام يشير بتباين الأصول - التي هي مظاهر ومرايا متعددة للمقاصد - وبوحدة النتيجة والمتجلّى، إلى تجرّد المقصد وسموّه"[1]

ويشهد لهذا المعنى تصريحه الذي لا يقبل التأويل، وخاصة في قوله:"ثم إنّ مما يحوِّج إلى التمثيل عمق المعنى ودقته ليتظاهر بالتمثيل، أو تفرّق المقصد وانتشاره ليرتبط به، ومن الأول متشابهات القرآن الكريم، إذ هي عند أهل التحقيق نوع من التمثيلات العالية وأساليب لحقائق محضة ومعقولات صرفة، ولأن العوام لا يتلقون الحقائق في الأغلب إلاّ بصورة متخيّلة، ولا يفهمون المعقولات الصرفة إلاّ بأساليب تمثيلية لم يكن بدّ من المتشابهات كـ (اِسْتوى عَلَى الْعَرْشِ) لتأنيس أذهانهم ومراعاة أفهامهم".[2]

والمتدبّر في كتاب الله يتأمّل مثلا في قوله تعالى: [وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ] المسوقة للتهويل المستفاد من التقليل بسر انعكاس الضد من الضد، أفلا ترى التشكيك في "إن"

1 - صيقل الإسلام 110

2 - إشارات الإعجاز 118

كيف يمد التقليل، والمسّ بدل الإصابة في "مسّت" كيف يشير إلى القلة والتروّح فقط، والمرتّقية والتحقير في جوهر وصيغةِ وتنوين "نفحةٌ" كيف تلوِّح بالقلة، والبعضية في "مِن" كيف تومئ إليها، وتبديل النكال بالـ "عذاب" كيف يرمز إليها، والشفقة المستفادة من الـ "ربّ" كيف تشير إليها، وقس؟!.. فكلٌ يمد المقصد بجهته الخاصة، وقس على هذه الآية أخواتها، وبالخاصة (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) لأن هذه الآية ذُكرت لمدح القرآن وإثبات الكمال له.[1]

وتوزّعت المقاصد على العالمين المادي والمعنوي لغرض وظيفي ظاهر، أشرنا في البداية إلى أهميته في التأسيس لدرس تذكيري دائم، إذ يخلص القارئ إلى المقاصد ومن ثمّ وظائفها بالنظرة العجلى إلى أي جزء من أجزاء الكون المادي والمعنوي، وزيادة إلى ذلك يكتشف الناظر إلى الكون من منظور رسائل النور حصة كلّ جزء في المقاصد من جهة ووظائفها من جهة أخرى، فإذا نظر إلى المقاصد من زاوية تحليلة أو تركيبية تقررت الحقيقة المشارة إليها آنفا، وبهذا الصدد يقول بديع الزمان:"فيا من آنس قيمة التركيب من جانب التحليل، وأدرك فرق الكلّ عن كلٍ، انظر نظرة واحدة إلى تلك القيود والهيئات

1 - إشارات الإعجاز 45

لترى كيف يلقي كلٌ حصته إلى المقصد المشترك مع دليله الخاص، وكيف يفور نورُ البلاغة من الجوانب".[1]

كما يؤكّد توزّع المقاصد الدور الكلي للجزء من المقاصد، بمعنى أن للمقاصد الجزئية دورا فاعلا في الكل، بحيث يؤثّر فقدها في تحقيق المقاصد الكلية لوظائفها، "فإن شئت فانظر إليه وهو في الصلاة الكبرى، التي بعظمة وسعتها صيّرت هذه الجزيرة بل الأرض مصلين بتلك الصلاة الكبرى.. ثم انظر إنّه يصلي تلك الصلاة بهذه الجماعة العظمى، بدرجة كأنّه هو إمامٌ في محراب عصره واصطفَّ خلفَه، مقتدين به جميعُ أفاضل بني آدم، من آدم(عليه السلام) إلى هذا العصر إلى آخر الدنيا في صفوف الإعصار مؤتمين به ومؤمِّنين على دعائه. ثم استمع ما يفعل في تلك الصلاة بتلك الجماعة.. فها هو يدعو لحاجةٍ شديدة عظيمة عامة بحيث تشترك معه في دعائه الأرضُ بل السماء بل كل الموجودات، فيقولون بألسنة الأحوال: نعم يا ربنا تقبّل دعاءه، فنحن أيضاً بل مع جميع ما تجلّى علينا من أسمائك نطلب حصولَ ما يطلب هو .. ثم انظر إلى طوره في طرز تضرعاته كيف يتضرع، بافتقار عظيم، في اشتياق شديد، وبحزن عميق، في محبوبية حزينة، بحيث يهيّج بكاء الكائنات فيبكيها فيُشركها في دعائه. ثم انظر لأي مقصد وغاية يتضرّع؟ ها هو يدعو

---

1 - إشارات الإعجاز47

لمقصد لولا حصول ذاك المقصد لسقط الإنسان، بل العالم، بل كلّ المخلوقات إلى أسفل سافلين لا قيمة لها ولا معنى. وبمطلوبه تترقى الموجودات إلى مقامات كمالاتها.. ثم انظر كيف يتضرع باستمداد مديد، في غياث شديد، في استرحام بتودد حزين، بحيث يُسمع العرش والسموات، ويهيّج وَجْدها، حتى كأنّ العرشَ والسموات يقول:آمين اللّهم آمين.. ثم أنظر ممن يطلب مسؤله، نعم! يطلب من القدير السميع الكريم ومن العليم البصير الرحيم، الذي يَسمَع أخفى دعاء من أخفى حيوان في أخفى حاجة، إذ يجيبه بقضاء حاجته بالمشاهدة، وكذا يبصر أدنى أملٍ في أدنى ذي حياةٍ في أدنى غايةٍ، إذ يوصله إليها من حيث لا يحتسب بالمشاهدة، ويكرم ويرحم بصورة حكيمة، وبطرز منتظم.لا يبقى ريب في أنّ هذه التربية والتدبير من سميع عليم ومن بصير حكيم."[1]

وهكذا يتجلى في مظاهر الكون المادية والمعنوية وظائف توزّع المقاصد عليها، ويكرّس ذلك النظر في الإنسان نفسه:" إن قلت:إنّ الإنسان ذرة بالنسبة إلى أرضه، وأرضه ذرة بالنسبة إلى الكائنات. وكذا فرده ذرة إلى نوعه ونوعه ذرة بالنسبة إلى شركائه في الاستفادة في هذا البيت العالي. وكذا جهة استفادة البشر بالنسبة إلى فوائد وغايات هذا البيت ذرة، والغايات التي

---

1 - الكلمات 261

تحسّ بها العقول ذرة بالنسبة إلى فوائده في الحكمة الأزلية والعلم الإلهي، فكيف جعل العالم مخلوقاً لأجل البشر واستفادته علة غائية". [1]

وتوزّع المقاصد يقرر حقيقة المدد المتكامل والشامل للجزئيات في الإطار الكلي الشامل الكون، والأمثلة على ذلك أكبر من أن تحصى، منها قول بديع الزمان:"إذا كان العذاب شديداً ومؤثراً مع هذه القلة، فكيف يكون هول العقاب الإلهي؟ فتأمل في الجملة لترى كيف تتجاوب الهيئات الصغيرة، فيُعين كلٌ الآخر، فكلٌ يمد المقصد بجهته الخاصة."[2]

---

1 - إشارات الإعجاز162

2 - الكلمات 442719

الفصل الثالث
المقاصد الكبرى في رسائل النور

تمهيد

عبّرت رسائل النور عن المقاصد الكبرى بمقاصد المقاصد، وقد أوردها بديع الزمان في سياقات مختلفة بالعنوان المشار إليها بداية الفقرة، لهذا سنعمل على بيان المراد بمقصد المقاصد أو مقاصد المقاصد من جهة المضمون.

- المقاصد الكبرى ومقاصد المقاصد:

عبّر عن مقاصد المقاصد في قوله:"إنّ الذي يعطي الكلام عظمة وسعة هو : أنّ المقاصد القادمة من أبعد هدف وأعلاه - وهو مقصد المقاصد - يرتبط بعضها ببعض، ويكمل أحدها نقصان الآخر، ويؤدي الواحد منها حق جاره، حتى كأنّ وضع هذا في موضعه يمكّن الآخر في مكانه، ويقرّ الآخر في مستقره.. وهكذا كلٌّ يأخذ محله الملائم له، فتنصبّ تلك المقاصد في قصر الكلام المشيد بملاحظة نسب يمين هذا وشماله وكل جهاته.وكأنّ المتكلّم استعار عقولاً إلى عقله للتعاون، وغدا كل مقصد من تلك المقاصد جزءاً تشترك فيه التصاوير المتداخلة، بمثل ما إذا وضع رسام نقطة سوداء في صور متداخلة، فإنّها تكون عين هذا ومنخر ذاك وفم هذا وشامة ذلك.. وهكذا ففي الكلام الرفيع نقاط أمثال هذه .."[1]

---

1 - صيقل الإسلام 110

كما نجده في سياقات أخرى يذكر المقاصد الفرعية للمقاصد الكبرى مؤقتة تيسيرا لفهمها واستيعابها، وبهذا الصدد يبيّن في سياق تفسير الاسم أنّ "المقصد الأول:إنقاذ ذلك الاسم من التحديد والتخصيص، وليعلن شموله المؤمنين عامة كي لا يقع الخلاف والفرقة ولا ترد الشبهات والأوهام.." ، ينتقل بعدها إلى المقصد الثاني، فيؤكّد أنّه جعل ليكون سداً أمام افتراق الفرق والأحزاب الذي كان سبباً في هذه المصيبة الفائتة العظيمة، وذلك بمحاولة التوحيد بينها، ثم يذكر الأستاذ تأسّفه لعدم إسعاف الزمان له،إذ جاء السيل فأوقعه. [1]

وعبّر عن تلك المقاصد أيضا في سياق الحديث عن المقاصد الإلهية من خلق الكون، وفي ذلك يقول:" الدليل الثامن:إنّ هذا الكون مثلما يدل على صانعه، وكاتبه، ومصوره الذي أوجده، والذي يديره، ويرتبه، ويتصرف فيه بالتصوير والتقدير والتدبير كأنه قصر باذخ، أوكأنه كتاب كبير، أوكأنه معرض بديع، أوكأنه مشهر عظيم، فهو كذلك يستدعي لا محالة وجود مَن يعبّر عما في هذا الكتاب الكبير من معانٍ، ويعلم ويعلِم المقاصد الإلهية من وراء خلق الكون، ويعلّم الحكم الربانية في تحولاته وتبدلاته، ويدرّس نتائج حركاته الوظيفية، ويعلن قيمة ماهيته وكمالات ما فيه من الموجودات.أي يقتضي داعياً عظيماً، ومنادياً صادقاً،

1 - انظر صيقل الإسلام 447 سيرة ذاتية 96

وأستاذاً محققاً، ومعلماً بارعاً. فأدرك السائح: أن الكون - من حيث هذا الاقتضاء - يدل ويشهد على صدق هذا النبي"[1]

كما وظّفها في مقام بيان المقاصد الإلهية، إذ يتّضح لجميع أرباب العقول بما يلقّنه من دروس مقدسة سامية وإرشادات حكيمة من القرآن الحكيم.. وليبين بأجمل صورة وأجلاها بالقرآن العظيم المقاصد الإلهية لذلك الصانع "الحكم الحكيم".. وليستقبل بأكمل مقابلة وأتمها مظاهر الحكمة البالغة والجمال والجلال المتجلية في الآفاق، فإنسانٌ هذه مهمته، إنسان ضروري وجوده، بل يستلزمه هذا الكون، كضرورة الشمس ولزومها له.[2]

واعتبر في الرسائل –رسائل النور- الإنسان أعظم المقاصد الإلهية في الكون، وهو المؤهَّل لإدراك الخطاب الرباني.وقد اختاره سبحانه من بين مخلوقاته، واصطفى من بين الإنسان المكرّم مَن هو أكمل وأفضل وأعظم إنسان بأعماله وآثاره الكاملة، ليكون موضع خطابه الجليل باسم النوع الإنساني كافة، بل باسم الكائنات جميعاً.[3]

حصر النورسي مقاصد المقاصد في خمسة تمثّل الأنهار الجارية تحت هذه الآيات، حتى يفور هذا بكماله في آية.. وينبع ذاك بتمامه في أُخرى.. ويتجلى ذلك بشَرَاشيره في ثالثة، فأدنى

---

1 - المكتوبات 284

2 - اللمعات 537

3 - اللمعات 555

ترشّحٍ على السطح يومي بتماس عروق الكلمة بها. وأيضا تتسنبل هذه المعاني في آيات مسوقة لها. [1]، "حتى إن إشارات القرآن الكريم، ومقتضى اسم الله " الحكيم " والحكمة المندرجة في الكائنات مع شهادات الروايات الكثيرة وأمارات لا حد لها.. تدلّ على أن الحسنات تتمثل بصورة ثمرات الجنة والسيئات تتشكل بصورة زقوم جهنم."[2]

مقصد المقاصد في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة الإنسان ، وقد جعل بديع الزمان هذا المقصد نصب عينه، غاية ينشدها وهدفا أساسيا يسعى إليه سعيا حثيثا، إذ اعتبر الإنسان أعظم المقاصد الإلهية في الكون، وهو المؤهَّل لإدراك الخطاب الرباني.وقد اختاره سبحانه من بين مخلوقاته، واصطفى من بين الإنسان المكرّم مَن هو أكمل وأفضل وأعظم إنسان بأعماله وآثاره الكاملة، ليكون موضع خطابه الجليل باسم النوع الإنساني كافة، بل باسم الكائنات جميعاً.[3]

تفرض خدمة هذا المقصد وتحقيقه واقعيا الإحاطة بالمقاصد الكلية في رسائل النور، تلك المقاصد المستوحاة من الوحي الكريم، ويلاحظ القارئ الفاحص أنّها تصب جميعا في مقصد

1 - إشارات الإعجاز 61

2 - الكلمات 694

3 - اللمعات 555

خدمة الإنسان، وبيّن من عناوينها أنّنا أمام الغايات الكبرى لوجود الإنسان من جهة وآليات ضبطها ومصادر فاعليّتها وتفاعلها الإنساني مع الحياة المادية والمعنوية.

من منطلق ما سبق تقريره ، ننتقل إلى بيان مقاصد القرآن الكريم، كما بيّنها بديع الزمان النورسي في رسائل النور.

المقاصد الكلية للقرآن الكريم وفق بيان النورسي:

المقاصد الأساسية للقرآن الكريم:

ترمي رسائل النور إلى بيان المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، وقد صرّح المؤلف بهذه المعاني في قوله:" اعلم! إن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة مع العبودية. فيصير سائر المسائل وسائل هذه المطالب. ومن القواعد: عدم التعمق في تفصيل الوسائل، لئلا ينتشر البحث بالاشتغال بما لا يعني فيفوت المقصد. فلهذا قد ابهم وقد أهمل وقد أجمل القرآن في بعض المسائل الكونية. وكذا إن الأكثر المطلق من مخاطب القرآن عوام وهم لا يقتدرون على فهم الحقائق الغامضة الإلهية بدون توسيط التمثيل والتقريب بالإجمال، ولا يستعدون في كل وقت لمعرفة مسائل لم يوصل إليها بعدُ القرون الطويلة إلا قليل من الفلاسفة. فلهذا أكثر القرآن من التمثيل، ومن التمثيل بعض المتشابهات فإنها تمثيلات

لحقائق غامضة إلهية. وأجمل فيما كشفه الزمانُ بعد عصور وبعد حصول مقدمات مرتبة.. "[1]

وصرّح في مواضع كثيرة أنّ مقاصد القرآن الكريم الأساسية التي عبّر عنها في بالأقطاب الأربعة، حيث ذكر أنّها أشبه بالجواب عن سؤال واحد، جاءت بياناً لحادثات أحكامٍ متعددة متغايرة، مع كمال الانتظام كأن الحادثة واحدة.. ونـزل متضمناً لتنـزلات إلهية في أساليب تناسب أفهام المخاطبين، لاسيما، المنـزل عليه "عليه السلام" بحالات في التلقي متنوعة متخالفة، مع غاية التماثل والسلاسة، كأن الحالة واحدة.. وجاء متكلماً متوجهاً إلى أصناف مخاطبين متعددة متباعدة، مع سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الأفهام كأن المخاطب واحد، بحيث يظن كلُ صنف كأنه المخاطب بالأصالة.. ونـزل مهدياً وموصلاً لغايات إرشادية متدرجة متفاوتة، مع كمال الاستقامة والنظام والموازنة كأن المقصد واحد، تدور تلك المقاصد والغايات على الأقطاب الأربعة: وهي "التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة". فبسر امتلائه من التوحيد، التأم وامتزج وانتظم واتحد.[2]

وقد حوى القرآن الكريم ذكر الأقطاب بطريقة لم يأت ولن يأتي مثلها ولن يدانيها شيء قط، ذلك لأن القرآن الكريم إنما هو خطاب من رب العوالم جميعاً وكلام من خالقها، وهو مكالمة لا

---

1 - المثنوي العربي النوري 75

2 - انظر المثنوي العربي النوري 230، إشارات الإعجاز 23

يمكن تقليدها - بأي جانب من الجوانب - وليس فيه أمارة تومئ بالتصنع. ثم إنّ المخاطب هو مبعوث باسم البشرية قاطبة، بل باسم المخلوقات جميعاً، وهو أكرم من أصبح مخاطباً وأرفعهم ذكراً، وهو الذي ترشح الإسلام العظيم من قوة إيمانه وسعته، حتى عرّج به إلى قاب قوسين أو أدنى فنـزل مكلّلاً بالمخاطبة الصمدانية. ثم إنّ القرآن الكريم المعجز البيان قد بيّن سبيل سعادة الدارين، ووضّح غايات خلق الكون، وما فيه من المقاصد الربانية موضّحاً ما يحمله ذلك المخاطب الكريم من الإيمان السامي الواسع الذي يضمّ الحقائق الإسلامية كلها عارضاً كل ناحية من نواحي هذا الكون الهائل ومقلباً إيّاه كمن يقلب خارطة أو ساعة أمامه. معلّماً الإنسان صانعه الخالق سبحانه من خلال أطوار الكون وتقلباته، فلاريب ولابد أنّه لا يمكن الإتيان بمثل هذا القرآن أبداً، ولا يمكن مطلقاً أن تنال درجة إعجازه."[1]

وتتميّز تلك الأقطاب الأربعة المعبّر عنها بالمقاصد بورودها في أقل القليل من آي القرآن الكريم، بحيث تتجلى للعاقل المتدبّر في كل سور القرآن الكريم، فكما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كلّه، كذلك قد تتجلى فيه سورةٍ سورة، بل قد يُلْمَح بها في كلامٍ كلام، بل قد يُرْمَز إليها في كلمةٍ كلمة، لأن كل جزء فجزء كالمرآة لكلٍ فكلٍ متصاعداً، كما أنّ الكلّ يتراءى في جزءٍ فجزءٍ

1 - الشعاعات 179

متسلسلا، فترى المقاصد الأربعة في "بسم الله" وفي "الحمد لله".[1]

لهذا فالمقاصد جلية واضحة في كل السور، نرى في السورة الواحدة أحكاما ضمنية:كالإشارة إلى التوحيد والنبوة والحشر والعدل أني المقاصد الأربعة المشهورة، مع أنّ في أكثر السور يكون المقصود بالذات واحداً منها، والباقي استطراديا.فلِمَ لا يجوز أن يكون لجهة أو حُكمٍ أو مقام منها مناسبة مخصوصة لروح السورة وتكون موضوعاً للمقام بل فهرسة إجمالية باعتبار تلك الجهات والمقامات[2]

وقد لخّص بديع الزمان المقاصد الأساسية للقرآن الكريم بأقطاب أربعة هي: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة، وأضاف إليها في بعض السياقات العبودية، وردت كالاستطراد المرتبط بالعدالة أساسا بوصفه مزهرا من مظاهرها.

يرى بديع الزمان أن مقاصد القرآن الكريم تتلخّص في التوحيد والنبوة والحشر والعدالة، وهي بمجموعها كما هو بيّن من عناوينها جعلت لخدمة الإنسان معرفيا واجتماعيا وحتى إنسانيا.

أولا : المقصد الأول : التوحيد

احتفى القرآن الكريم بمقصد التوحيد، واعتنى به عناية فائقة، تشهد لها مستودعات الخالق الكريم في الخلق بمظاهره المادية

---

1 - انظر إشارات الإعجاز 24

2 - إشارات الإعجاز 40

والمعنوية، إذ يظهر التوحيد في كل شيء غاياتٍ كثيرة مهمة من جهة نظره إلى صانعه، ومن تلك الغايات إظهار الشيء لأسماء خالقه، كأنّ الشيء كلمة واحدة جامعة لرموز الأسماء، فتدل عليها[1].

النقطة الأولى:أساليب التعبير عن هذا المقصد في رسائل النور

تعد رسائل النور في مجال بيان مقصد التوحيد امتثالا لما ورد في الوحيين، امتثال له حضوره في مضمون الرسائل ومنهجها زيادة إلى أبعادهما المعرفية والتربوية والحضارية و...

1 – أسلوب التأسيس للتوحيد:

نسج بديع الزمان في التأسيس للمقصد الأول بما ورد في الأصلين وخاصة القرآن الكريم، فترى هذا الأمر في جملة متناغمة تتوزّع على حاجات الإنسان(المخاطب) بالتوحيد.

أ – أسلوب المحاججة العقلية:

يشبع هذا النوع من العرض حاجة الإنسان إلى القناعة العقلية بوصفها من أهمّ وسائل التواصل مع المخالف من جهة وبوصفها معبّرة عن صورة من صور مناط التكليف من جهة أخرى(العقل مناط التكليف).

---

1 - المثنوي العربي النوري 466

رمى بديع الزمان إلى التأسيس للمقصد الأول(التوحيد)بما ورد في كتاب الله وفق استعمالات بعض المهتمين بالنظر في مباحث العقائد الإسلامية،فتراه تارة مستصحبا لما يشبه دليل التمانع عند المتكلّمين، وقد عرض الدليل وفق ما يوافق عقلية ومعارف أهل عصره، وفي هذا السياق يقول - رحمه الله -:" فبمقتضى قوله تعالى: [لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا] إذا ما حلّ مختاران في قرية، وواليان في ولاية وسلطانان في بلد، فالانتظام يختل حتماً والانسجام يفسد نهائياً.والحال أنّ الانتظام الدقيق واضح بدءاً من جناح البعوضة إلى قناديل السماء، فليس للشرك موضع ولو بمقدار جناح بعوضة، فما دام هؤلاء يمرقون من نطاق العقل ويجافون الحكمة والمنطق ويقومون بأعمال منافية كلّياً للشعور والبداهة، فلا يصرفك تكذيبهم لك عن التذكير والإرشاد."[1].

استعمل بديع الزمان أسلوب التوجيه العقلي تيسيرا لاستيعاب المعاني العظيمة المكنونة في التوحيد، حتى ليغدو رفض التوحيد عند المسلمين منافيا لبداهة العقول، وفي ذلك يقول:"اعلم أنّه قد يستعظم المرء النتيجة وهي التوحيد المحض الخالص، ولا يسعها ذهنُه الكاسد، أولا يتحملها خياله الفاسد، فيشرع يردّ براهينها الصحيحة القاطعة، ويتعلّل بأنّ نتيجة بهذه العظمة لا يمكن أن

1 - الكلمات 449

يقبلها ويقيمها هذا البرهان، ولو كان في غاية القوة. فالمسكين لا يعرف أن قيوم النتيجة الإيمان، وما البرهان إلاّ منفذ ينظر إليها.. أو مكنسة يطهّر الأوهام عنها.مع أنّ البرهان ليس واحداً، بل لها براهين عدد رمال الدهناء، وبمقدار حصى البطحاء وقطرات الأمطار وأمواج البحار."[1]، ليس هذا فحسب، بل إنّ مشاهدة براهينه العظيمة من جميع جوانبها تورّث العلم اليقيني أنّ الذي يعلنه واثق كلّ الثقة من نتيجة التوحيد، ومطمئن اطمئناناً لا يشوبه تردد قط، إذ يبني جميع الأمور على هذه النتيجة الرصينة، بل يجعلها حجر الزاوية لكلّ شيء في الوجود.. فمثل هذا الأساس الراسخ لا يمكن أن يكون تكلفاً وتصنّعاً البتة، بل يجعل الإعجاز الباهر على هذا البرهان مستغنياً عن تصديق الآخرين له، فأنباؤه كلها صدق، ثابتة وحق وحقيقة بنفسها.[2]

ب – أسلوب التذكير(مخاطبة الوجدان - القلب -):

التوحيد بالمعنى الوجداني ووفق مسلك بديع الزمان في العرض يورّث معاني عظيمة في قلوب معتقديه، ومخاطبة الوجدان بأسلوب التذكير تكون نتيجته الأخروية المحبّة المشروعة المكللة بالشكر لله، نحو الأطعمة اللذيذة والفواكه الطيّبة في الدنيا، هي تلك الأطعمة والفواكه الطيّبة اللائقة بالجنة الخالدة..كما ينصّ عليه القرآن الكريم، هذه المحبة، محبة ذات

1 - المثنوي العربي النوري 325

2 - انظر المثنوي العربي النوري 427

اشتياق واشتهاء لتلك الجنة وفواكهها، حتى أنّ الفاكهة التي تأكلها في الدنيا وتذكر عليها "الحمد للّه" تتجسّم في الجنة فاكهة خاصة بها وتقدّم إليك طيبة من طيبات الجنة. فأنت تأكل هنا فاكهة، وهناك " الحمد للّه " مجسمة في فاكهة من فواكه الجنة...وحيث أنك تقدم شكراً معنوياً لذيذاً برؤيتك الإنعام الإلهي والالتفات الرباني في الأطعمة والفواكه التي تتناولها هنا، فستسلم إليك هناك في الجنة أطعمة لذيذة وفواكه طيبة، كما هو ثابت في الحديث الشريف وبإشارات القرآن الكريم، وبمقتضى الحكمة الإلهية ورحمتها الواسعة.(1)

ج- التركيب بين مخاطبة العقل والوجدان:

وتأسيسا لمعاني التوحيد في القلوب والعقول اعتنى القرآن الكريم بإبطال أقوال المناوئين للتوحيد من جهة وتنبيها للمؤمنين من جهة أخرى، أشار إلى تلك المعاني في قوله:"إنّ أمثال الآيات الكريمة التالية تبين عظمته سبحانه وتعالى وكبرياءه المطلقين:فابتداءً من قوله تعالى: [وما قدروا الله حقّ قَدرهِ والأرضُ جميعاً قب-ضتُه يومَ القيامة والسمواتُ مطويّاتٌ بيمينه] (الزمر: 67) إلى قوله تعالى: [واعلموا أن الله يحُولُ بين المرء وقلبه] (الأنفال: 24) ومن قوله تعالى: [خالقُ كلّ ش--يءٍ وهو ع-لى كل ش-يء وكي-ل] (الزمر: 62) إلى ق-وله تعالى: [

1 - انظر الكلمات 775

يعلمُ ما يُسرّون وما يُعلنون] (البقرة: 77) ومن قوله تعالى: [خَلَقَ السموات والأرض] (الاعراف:54) إلى قوله تعالى: [خَلَقَكُم وما تَعملون] (الصافات: 96). ومن قوله تعالى: [ما ش-اءَ الله لا قوة إلاّ بالل-ه] (الكهف:39) إلى ق-وله تعالى: [وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله] (الإنسان: 30). هذه الآيات الجليلة تب-يّن إحاطة عظمة ربوبيته سبحانه وكبرياء ألوهيته بكلّ شيء.. هذا السلطان الجليل، سلطان الأزل والأبد يهدّد بشدة ويعنّف ويزجر ويتوعّد هذا الإنسان الذي هو في منتهى العجز ومنتهى الضعف ومنتهى الفقر، والذي لا يملك إلاّ جزءاً ضئيلاً من إرادة اختيارية وكسباً فقط، فلا قدرة له على الإيجاد قطعاً. والسؤال الوارد هو : ما أساس الحكمة التي تبنى عليها تلك الزواجر والتهديدات المرعبة والشكاوى القرآنية الصادرة من عظمته الجليلة تجاه هذا الإنسان الضعيف، وكيف يتم الانسجام والتوفيق بينهما."[1]

استفاد النورسي في التأسيس لمقصد التوحيد بما ورد في القرآن الكريم من عناية بالأسماء الحسنى في وظيفتيها المعرفية والاجتماعية، يشير إلى هذه المعاني في كثير من نصوصه، منها قوله - رحمه الله منبّها ومعلّما -:"اعلم! أنّ الأسماء الحسنى كلٌ منها يتضمن الكلَّ إجمالاً، كتضمن الضياء للألوان السبعة.. وكذا

1 - الكلمات 190

كلٌ منها دليل على كلّ منها، ونتيجةٌ لكلٍ منها، بينها تعاكسٌ كالمرايا.فيمكن ذكرها كالقياس الموصول النتائج متسلسلاً، وكالنتيجة المترتبة الدلائل. إلا أن الاسم الأعظم الواحد يتضمن الكلَّ فوق هذا التضمن العام. فيمكن للبعض الوصول إلى نور الاسم الأعظم بغيره من الأسماء الحسنى. فيتفاوت الاسم الأعظم ُبالنظر إلى الواصلين. والله أعلم بالصواب."[1]

د - عرض من طبيعة مخصوصة:

والتوحيد الذي نظم القرآن عقده ورتّب عناصره ليس عقليا صرفا ولا ذوقيا بحتا، بل إنّ التوحيد وفق نسق القرآن الكريم، كما صوّره الأستاذ النورسي، توحيد ذوقي لا ينحصر في نظر العقل والفكر، إذ أنّ شدة الاستغراق في التوحيد - بعد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية - يُفضي إلى وحدة القدرة، أي: لا مؤثر في الكون إلاّ الله. ثم يؤدي هذا إلى وحدة الإرادة، وهذا يسوق إلى وحدة الشهود ثم إلى وحدة الوجود. ومن بعدها رؤية وجود واحد ثم إلى رؤية موجود واحد.

ونظرا لخطورة ما انتهى إليه أمر التوحيد عند القائلين بوحدة الوجود، استبعد الأستاذ البدع المتسرّبة إلى رحاب التوحيد، من هنا قال معلّقا على الصوفية:" فشطحات علماء الصوفية التي هي من قبيل المتشابهات لا تقام دليلاً على هذا المذهب، فالذي لم

1 - المثنوي العربي النوري 236

تتخلص روحهُ من تأثير الأسباب ولم تتجرد من دائرتها إذا ما تكلم عن وحدة الوجود يتجاوز حدّه، والذين يتكلمون به إنّما حصروا نظرهم في " واجب الوجود " حصراً بحيث تجرّدوا عن الممكنات فأصبحوا لا يرون إلاّ وجوداً واحداً بل موجوداً واحداً.. نعم، إن رؤية النتيجة ضمن الدليل، أي رؤية الصانع الجليل ضمن موجودات العالم شيء ذوقي ولا يمكن بلوغها إلاّ باستغراق ذوقي. فإدراك حقيقة جريان التجليات الإلهية في جداول الأكوان، وسريان الفيوضات الإلهية في ملكوتية الأشياء، ورؤية تجلي الأسماء والصفات في مرايا الموجودات.. أقول: إن إدراك هذه الحقائق أمرٌ ذوقي.إلاّ أن أصحاب مذهب وحدة الوجود لضيق الألفاظ عبّروا عن هذه الحقيقة بالألوهية"(1)

2 – أسلوب إبطال أقوال المناوئين للتوحيد:

قطعا لطريق المكابرة يستبعد الأستاذ المحاججة النقدية الجافة، ويركّز على التذكير المازج بين مسلكي إقناع العقول والتوجّه إلى القلوب، ويقرر تلك الحقيقة بأسلوب تذكري تربوي، فيقول:"اعلم! يا من يستعظم النتيجة ويستضعف دليلها! أنّه ما من دليل يشهد على حقيقةٍ من الحقائق الإيمانية، إلاّ ويزكيّه ويؤيّده ويقوّيه ويمدّه كلُّ ما قام على الصدق؛ فكأنّ كلَّ مالا يعدّ من الشواهد والشهداء والبراهين والأمارات، كل منها يضعُ إمضاءه

---

1 - المثنوي العربي النوري 432

على سند كلٍ من أخواتها، فيختم كلٌّ منها خاتمَ تصديقه على منشور كلِّ واحدٍ ...خلافاً للنافي، إذ للمنافاةِ بين النافي والمثبتِ يُنفى منَ النَّافي ما يُثبِتُ للمُثبتِ.فألفُ نافٍ كفردٍ.. [1]

3 – مميزات أسلوبي التأسيس والإبطال:

أ – البساطة والوضوح:

كان مسلكه واضحا و بسيطا يبتعد عن التقعير والتعقيد، ذلك أنّه موجّه لجمهور الناس، إذ من مقتضيات ذلك مراعاة سير الضعفاء في ميدان البحث والاستدلال، فكانت حججه في الجملة واضحة جلية عبارة ومضمونا وصياغة، ومن مترتّبات هذا السمعى تحلية القلوب والعقول بالتوحيد بيسر ووضوح، فإذا حيل دون ذلك بمشوشات فكرية أو(علمية) عمدت رسائل النور وفق مسلك القرآن الكريم إلى تخلية القلوب من الآراء المناوئة أوالمخالفة، فكان المسلك جامعا بين البناء (الإنشاء) والهدم (النقد) في أسلوب بسيط بيّن.

يشهد لهذا المعنى ما استقاه الأستاذ بديع الزمان من القرآن الكريم في وضوحه وبساطته، فيقول - رحمه الله - :" القرآن إنّما يبحث عن الكائنات استطراداً للاستدلال على ذات الله وصفاته، ومن شرط الدليل أن يكون ظاهراً وأظْهَر من النتيجة، والنتيجة معرفة ذات الله وصفاته وأسمائه.فلو قال على ما يشتهيه أهل

---

1 - انظر المثنوي العربي النوري 192

الفن: " يا أيّها الناس فانظروا إلى الشمس في سكونها، وإلى الأرض في حركتها لتعرفوا عظمة قدرة خالقها "، لصار الدليل أخفى وأغمض من النتيجة وأبعد بمراتب من فهم أكثر البشر في أكثر الأزمان والأعصار، مع أنّ حق الأكثر المطلق أهم في نظر الإرشاد والهداية. فمراعاة فهمهم لا تنافي استفادة المتفلسفين المتعمقين القليلين. ولكن في مراعاة هذا الأقل محرومية الأكثر في أكثر الأوقات."[1]

وبيّن من أسلوبه الذي لا لبس فيه أنّ التوحيد من السهولة والوضوح ما يجعل تصوّر نقيضه في منتهى البعد، إذ النظر بعيني البصر والبصرية في الكون بعناصره المادية والمعنوية يخلص بالباحث إلى التوحيد والوحدة، بوصفها نتيجة موضوعية لتلك المقدّمات التي لا تحصى عدّا، يشهد لهذه المعاني ، قول النورسي:"وَفي الوَحْدَةِ سُهولَةٌ مُطْلَقَةٌ، وَفي الكَثْرَةِ وَالشِّرْكَةِ صُعُوبَةٌ مُنغَلِقَةٌ.إنْ اُسْنِدَ كُلُّ الأشْيَاءِ لِلوَاحِدِ، فَالكَائِنَاتُ كَالنَّخْلَةِ وَالنَّخْلَةُ كَالثَّمَرَةِ سُهولَةً في الابْتِدَاعِ.. وَإنْ اُسْنِدَ لِلكَثْرَةِ فَالنَّخْلَةُ كَالكَائِنَاتِ وَالثَّمَرَةُ كَالشَّجَرَاتِ صُعُوبَةً في الامْتِنَاعِ، إذْ الوَاحِدُ بِالفَعْلِ الوَاحِدِ يُحَصِّلُ نَتِيجَةً ووَضْعيةً للكَثيرِ بِلا كُلفَةٍ ولا مُبَاشَرَةٍ، لَو أحِيلَتْ تِلْكَ الوَضْعِيَّةُ وَالنَّتيجَةُ إلى الكَثْرَةِ لا يُمْكنُ أنْ تَصِلَ إليهَا إلاّ بِتَكَلُّفَاتٍ وَمُبَاشَرَاتٍ وَمُشَاجَرَاتٍ، كَالأمِيرِ مَعَ

---

1 - المثنوي العربي النوري 72

النَّفَرَاتِ وَالبَانِي مَعَ الحَجَراتِ وَالارض مَعَ السَّيَّارَاتِ والفَوَّارَةِ مَعَ القَطَرَاتِ وَنُقطَةِ المَرْكَزِ مَعَ النُّقَطِ في الدَّائِرَةِ"[1]

ب - المحاججة العقلية

لم يكتف بديع الزمان بالبناء(التأسيس)بل جاوزه إلى التمحيص والنقد، فرمى إلى تحرير القلوب والعقول من المعارف المزاحمة، فيذكر محذّرا: " إنّ ما يتوهم بقصور النظر من الاستبعاد والاستغراب والحيرة والكلفة المنجرة إلى الاستنكار في إسناد كلّ شيء إلى الواجب الوجود الواحد الأحد. فتلك الاستبعاد والاستغراب والحيرة والكلفة والمعالجات تنقلب حقيقية عند عدم الإسناد إلى صاحب مرتبة الوجوب والوحدة، بل تتضاعف تلك الأمور عند إسناد الآثار إلى جانب الإمكان والكثرة والأسباب وأنفسِها، عددَ أجزاء الكائنات.. فما يتوهم في إسناد الكل إلى الواجب يتحقق في إسناد جزء واحد إلى غيره تعالى. بل الأولُ أسهل وأيسر، إذ صدور الكثير عن الواحد أقل كلفة من صدور الواحد عن الكثير المتشاكسين العُمي الذين اجتماعهم يُزيدهم عمىً، إذ النحلة لو لم تخرج من يد قدرة الواجب، لزم اشتراك ما في الأرض والسموات في وجودها!.. بل تترقى الكلفة والمعالجة في الجزء الواحد من الذرة بالنسبة إلى الوجوب إلى أمثال الجبال، ومن الشعرة إلى أمثال الحبال، لو أحيل على الأسباب..

---

1 - المثنوي العربي النوري 142

إذ الواحد بالفعل الواحد يحصّل وضعية ومصلحة للكثير، لا يصل إلى عين تلك الوضعية والنتيجة الكثيرُ، إلاّ بفعل كثير، كالأمير بالنسبة إلى نفراته، والفوّارة إلى قطراتها، والمركز إلى نقاط دائرته.فبفعل واحدٍ تصل هذه الثلاثة إلى تحصيل وضعيةٍ للكثير، ونتيجةٍ لاتصل النفرات والقطرات والنقاط لو أحيلت عليها إلاّ بأفعال كثيرة وتكلفات عظيمة. بل الاستغراب والاستبعاد الموهومان في طرف الوجوب، ينقلبان هنا إلى محالات متسلسلة."[1]

ج- التذكير الوجداني

الذكر الذي علّمه الله المسلمين يشهد بحقيقة التوحيد الناصعة، فما كانت تلك المعارف إلا شهودا إضافيين يؤيّدون كلام ربّ العالمين وتوجيهاته المتجلّية في كلّ مظاهره في الكون، "فانظر وقل: الله أكبر.. هو القادر المقيم.. هو البارئ العليم.. هو اللطيف الكريم.. هو الودود الرحيم.. هو الجميل العظيم.. هو نقاش العالم.. إن شئت أن تعرف هذا العالم ما هو كله أجزاؤه، الكائنات ما هي نوعاً وجزئياتٍ، فإنّما هو هي خطوط قضائه.. رسوم قدره.. في تنظيم الذرات.. في تعيين الغايات.. في تقدير الهيئات."[2] نحاول تقريب هذه الحقيقة الدقيقة والعظيمة الواسعة في الوقت نفسه إلى الأذهان بمثال، نصفّيه بمصاف ونحلله

---

1 - المثنوي العربي النوري 112

2 - المثنوي العربي النوري 473

بمحللات مختلفة، ومهما يطل البحث بنا فإنه يعدّ قصيراً، فينبغي عدم السأم."[1]

د – التركيب بين برهان العقل ومخاطبة الوجدان:

يظهر الجمع بين مخاطبة العقول والقلوب في مضمون الشواهد وصيغها، فتتوافق الشواهد الكونية وتتناغم فيما بينها للدلالة على التوحيد، يستشف هذا الأمر في أسماء الله الحسنى، كما أنّ في كل شيء وجوهاً كثيرة جداً متوجهة - كالنوافذ - إلى الله سبحانه وتعالى، بمضمون الآية الكريمة : [وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده] إذ أن حقائق الموجودات وحقيقة الكائنات تستند إلى الأسماء الإلهية الحسنى.

ويذهب الأستاذ إلى أنّ حقيقة كلّ شيء تستند إلى اسم من الأسماء أو إلى كثير من الأسماء، ويتجلى هذا التقرير والبيان فيما يأتي:

- الإتقان الموجود في الأشياء يستند إلى اسم من الأسماء.
- علم الحكمة الحقيقي يستند إلى اسم الله " الحكيم ".
- علم الطب يستند إلى اسم الله " الشافي ".
- علم الهندسة يستند إلى اسم الله " المقدّر " ..

1 - الكلمات 749

وهكذا كل علم من العلوم يستند إلى اسم من الأسماء الحسنى وينتهي إليه، كما أنّ حقيقة جميع العلوم وحقيقة الكمالات البشرية وطبقات الكمّل من البشر، تستند كلها إلى الأسماء الإلهية الحسنى، حتى قال أولياء محققون إن:"الحقائق الحقيقية للأشياء، إنّما هي الأسماء الإلهية الحسنى، أما ماهية الأشياء فهي ظلال تلك الحقائق "، بل يمكن مشاهدة آثار تجلي عشرين اسماً من الأسماء على ظاهر كل ذي حياة فحسب.

ه-- ضرب الأمثلة

دلّت الآيات الكونية المبثوثة في ثنايا عناصر الكون المادية والمعنوية على التوحيد، نبّه الأستاذ إلى هذا في قوله:"فهذا مثالُ آيةٍ واحدة للتوحيد تَظهر على سطح الأرض في فصل الربيع والصيف! فتأمل إذن كيف يظهر ختمُ الواحدية بجلاء على تصريف الأمور في الربيع الهائل على سطح الأرض وهو في منتهى الحكمة والبصر، ذلك لأن هذه الإجراءات المشاهَدة، هي في انتظام مطلق، وخلقة تامة، وصنعة كاملة بديعة، مع أنّها تجري في سعة مطلقة، ومع هذه السعة فهي تتم في سرعة مطلقة، ومع هذه السرعة فهي ترد في سخاء مطلق. ألا يوضح هذا أنه ختمٌ جلّي بحيث لا يمكن أن يمتلكه إلاّ مَن يملك علماً غير متناهٍ وقدرة غير محدودة."[1]

---

1 - الكلمات 337

وتأكيدا لبيان مسألة التوحيد، ينبّه بديع الزمان إلى الفرق بين مدينتي الكفّار والمؤمنين، تأسيسا لمعنى الوظيفة المعرفية والمنهجية للإيمان بالله، فيذكر تلك المعاني في صيغة تربوية تعليمية، يشهد لها مطلع التوجيه، حيث قال رحمه الله:" اعلم! أنّ الفرق بين مدنية الكافرين ومدنية المؤمنين، أنّ الأولى: وحشةٌ مستحالة ظاهرها مزيّن، باطنها مشوّه، صورتها مأنوسة، سيرتها موحشة.. ومدنية المؤمنين باطنها أعلى من ظاهرها، معناها أتمّ من صورتها، في جوفها أنسية وتحبب وتعاون. والسر: أن المؤمن بسر الإيمان والتوحيد يرى أخوةً بين كل الكائنات، وأنسية وتحببا بين أجزائها، لاسيما بين الآدميين ولاسيما بين المؤمنين. ويرى أخوةً في الأصل والمبدأ والماضي، وتلاقياً في المنتهى، والنتيجة في المستقبل. وأما الكافر فبحكم الكفر له أجنبية ومفارقة بل نوعُ عداوةٍ مع كل شيء لا نفع له فيه، حتى مع أخيه، إذ لا يرى الأخوة إلاّ نقطة اتصال بين افتراق أزلي ممتد، وفراق أبدي سرمد، إلاّ أنه بنوع حميةٍ ملّية أو غيرة جنسية تشتد تلك الأخوة في زمان قليل، مع أنّ ذلك الكافر لا يحب في محبة أخيه، إلاّ نفس نفسه.وأما ما يُرى في مدنية الكفار من المحاسن الإنسانية والمعالي الروحية، فمن ترشحات مدنية

الإسلام، وانعكاسات إرشادات القرآن وصيحاته، ومن بقايا لمعات الأديان السماوية."[1]

و – المسعى الهادف وتجاوز العبثية:

لم يكتف في سياق بيان أهمية التوحيد منهجيا ومعرفيا بالبيان المجرّد، بل جاوزه بضرب الأمثلة الواقعية المشاهدة، تؤكّد تلك المعاني المسعى الهادف واستبعاد العبثية، يقرر هذه الحقيقة قوله:"فإن شئت تحقيقه فانظر إلى هذه الموازنة وهي:أن الموجودات إما فاعلها جانبُ الإمكان والكثرة وإما جانبُ الوجوب والوحدة.فما يُتوهم بقصور النظر من الكلفة والاستبعاد، والاستغراب في إسناد كل شيء إلى الواجب الوجود، تصير محققة عند الإسناد إلى الكثرة، لقصور أي سبب كان، وضعفه عن تحمل أي مسبَّب كان، في جانب الكثرة دون الوحدة.فما يُتوهمُ هناك، متحقق هنا، ثم بعد هذا تتضاعف الكلفة والاستبعاد والاستغراب عدد أجزاء الكائنات مع أنّها في الإسناد الأول كانت واحدة موهومة وصارت هنا حقيقة متضاعفة عدد أجزاء الكائنات، إذ في الإسناد إليه تعالى نسبةُ كثيرٍ غير محدود إلى واحدٍ مباين الماهية لها، وفي جانب الكثرة نسبةُ واحدٍ إلى كثير غير محدود متماثلة الماهية، إذ النحلة مثلاً، لو لم تُسند إلى الواجب الواحد، لزمَ اشتراك السماوات والأرض في إيجادها

---

1 - المثنوي العربي النوري 181

لعلاقتها بأركان العالم.مع أنّ صدور الكثير عن الواحد أسهلُ بمراتب من صدور الواحد عن الكثيرين المتشاكسين الصُم العمي الذين لا يزيد اختلاطُهم إلاّ أعميتَهم وأصميتهم. ثم مع ذلك إنّ الكلفة لو كانت في الإسناد الأول مثل ذرة، تترقى في الإسناد الثاني إلى أمثال الجبال، إذ الواحد بالفعل الواحد يحصل وضعية ونتيجة للكثير، لا يتيسر للكثير لو أحيلت عليهم أن يحصلوا تلك الوضعية، أو يصلوا إلى تلك النتيجة إلاّ بأفعال كثيرة وتكّلفات عظيمة، كالأمير مع نفراته، والفوارة مع قطراتها، والمركز مع نقاط دائرته."[1]

النقطة الثانية: أهمية التوحيد اجتماعيا

قصد بديع الزمان التنبيه إلى الأبعاد الوظيفية للحقائق الإيمانية، وبذلك تجاوز مسلك تقرير العقائد بوصفها حقائق عقلية جافة منفصلة عن متطلّبات القلوب والرسالة الاجتماعية للمؤمن، فيبيّن أن التوحيد من حيث كونه رسالة اجتماعية يضع في يد المؤمن الحقيقة الرائعة ما يكون الحديد كالشمع فيها، وهذا ييسّر له تغيير شكله كما شاء خالقه ورازقه، ويستمد منه قوة عظيمة لإرساء أركان خلافته وإدامة دولته وحكمه.فما دام هذا الأمر ممكناً وواقعاً فعلاً، وذا أهمية بالغة في حياتكم الاجتماعية فأنتم يا بني آدم إن أطعتم أوامر الله التكوينية تُوهَب لكم أيضاً تلك

1 - المثنوي العربي النوري 184

الحكمة والصنعة، فيمكنكم بمرور الزمن أن تقتربوا منهما وتبلغوهما. [1]

الظفر بمعرفة الله طريق من رام الحصول على علم الحقيقة والحكمة الحقّة، إذ حقائق الموجودات كلّها، إنّما هي أشعة اسم الله الحق، ومظاهر أسمائه الحسنى، وتجليات صفاته الجليلة.إنّ حقيقة كلّ شيء مادياً كان أو معنوياً وجوهرياً أو عرضياً، وحقيقة الإنسان نفسه إنّما تستند إلى نور من أنوار أسمائه تعالى وترتكز على حقيقته. وإلاّ فهي صورة تافهة لا حقيقة لها. [2]

ثانيا: المقصد الثاني : النبوة

تمهيد :

يصنع وعي المسلم بالحياة الاجتماعية بجميع مضامينها وخلفياتها النظرية (الحضارية، والفكرية، والسياسية ...)تعلّقه بأصول دينه، وتجسيدها برنامجا معيشا، تنصبغ به جميع تصرفاته.

ويعد الانخراط في سلك العبودية، بناء على الأصول الإسلامية الثلاث التوحيد والنبوة والمعاد أهم ما يصنع وعي المسلمين ويكسب حياتهم بُعدا إنسانيا منظورا، ويدفعهم إلى البذل الحضاري المستمر، فكيف السبيل إلى تصوّر ذلك؟

---

1 - انظر الكلمات 282

2 - انظر الكلمات 555

معرفة الله، ليست من قبيل المعارف التي تحشى بها الرؤوس ويُتباهى بها في المجالس وتُطلب بها المغانم والمكاسب والمناصب، بل هي معارف تعيش في الأعماق، تكسب العقل عقلا والقلب انكشافا والسلوك وضوحا ومقصدا إنسانيا ظاهرا، يتجلى - كما يقول الصوفية على تنوّع مشاربهم في عشق مهيمن يطلب بموجبه العاشق هروبا من الفناء وتعلقا بالبقاء[1] بواسطة الارتباط العاطفي والأخلاقي والاجتماعي بالدين.

وما دام الدين مرتبطا بالوحي، ولا طريق إليه إلا النبوة، كانت منـزلتها وستبقى سامقة، لما لها من أهمية في التأسيس للارتباط بالدين والتعرّف على مسالك العبودية، إذ لو تصورنا حبا للعبودية دون مسالك النبوة، لتصوّرنا المحال ولكانت العبودية سببا في الفرقة عوض أن تكون وسيلة توحيد، إذ ليس مستبعدا - مع التفاوت الثقافي والاستعدادات النفسية والعقلية - أن يتولّد الاختلاف ثم التنافر حال الغفلة عنها، بسبب عدم إمكان الاتفاق حول طريقة العبادة، فيكون الرسول ركنا ركينا في وحدة العبادة ومقاصدها الاجتماعية والحضارية.

إن العبودية لله في طريق النبوة تستمد فاعليتها في العقل والقلب - المترجم في موقف اجتماعي - بالتذكّر المستمر للمعاد، قال تعالى: [ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن

---

1 - الخلود في الجنة، والذي يقتضي أن يكون قلبه معلّقا بالباقي.

العالمين] العنكبوت 06، لما له(التذكّر) من قدرة على دفعنا لتنمية قدراتنا الإيمانية وتطوير وسائلنا الاجتماعية وإيجاد فاعليتها الحضارية.

لهذا كان بين الإيمان بالله والإيمان بالنبي والإيمان بالحشر والتصديق بوجود الكائنات تلازماً قطعياً، وارتباطاً تاماً للتلازم في نفس الأمر، بين وجوب الألوهية وثبوت الرسالة، ووجود الآخرة وشهود الكائنات بدون غفلة([1])

ومن مظاهر ذلك الترابط العبودية، فهذا أكمل الخلق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عبد وهو رسول في الوقت نفسه. فيحتاج الى "الصلاة" من حيث العبودية.إذ العبودية تتوجه من الخلق إلى الخالق حتى تنال المحبوبية والرحمة، فـ- "الصلاة" تفيد هذا المعنى.([2])

من منطلق ما سبق بيانه يتأكّد أنّ النبوة في البشرية فذلكة الخير وخلاصة الكمال وأساسه. وأن الدين الحق فهرس السعادة. وأن الإيمان حُسنٌ منـزه وجمال مجرّد. وحيث إنّ حسناً ساطعاً، وفيضاً واسعاً سامياً، وحقاً ظاهراً، وكمالاً فائقاً مشاهَدٌ في هذا العالم، فبالبداهة يكون الحقُ والحقيقة في جانب النبوة، وفي يد

1 - المثنوي العربي النوري 86

2 - انظر الملاحق 67

الأنبياء عليهم السلام، وتكون الضلالة والشر والخسارة في مخالفيهم. ([1])

تولّد العبودية في المؤمن اليقظة الإيمانية، والتبصّر فيما أخبر به كتاب ربه وسنة نبيّه، ولعل من أهم تلك الأوامر، الدعوة إلى الوحدة بوصفها فريضة شرعية، لقوله تعالى: [واعتصموا بحبل جميعا ولا تفرقوا] آل عمران 103 [إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم] الحجرات 10، [وأنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون] الأنبياء 92.

<u>1 - النبوة والنظام الكوني :</u>

أ - النبوة جزء من نظام الكون:

يقتضي سر ناظم الكون ضرورة النبوة للبشرية، ذلك أنّ القدرة الإلهية التي لا تترك النمل من دون أمير، والنحل من دون يعسوب، لا تترك حتماً البشر من دون نبي، من دون شريعة([2])

وتتجاوز ذلك بانسجام النبوة مع جمال الكون الحقيقي ونظامه وتناسقه وكماله([3]).

ب - دلالة الكون على النبوة :

ترتبط النبوة كما مرّ معنا بالألوهية والحشر ارتباطا وثيقا فلا ترى بينها انفصاما لاستحالته، لذلك كانت الحجج على التوحيد

---

1 - انظر اللمعات 194

2 - انظر الكلمات 843

3 - انظر الشعاعات 652

حججا على إثبات النبوات، ذلك أنّ المتكلّم الحي الذي يأمر وينهى بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون ، لابد أن الحياة التي في الكون تدل دلالة قاطعة على "الحي الأزلي "سبحانه وتعالى وعلى وجوب وجوده، كما أن شعاعات الحياة الأزلية كذلك وتجلياتها تنظر وتتوجه إلى مالها ارتباطات وعلاقات معها من أركان الإيمان مثل (إرسال الرسل) و(إنـزال الكتب) وتثبتهما رمزاً، ولا سيما" الرسالة المحمدية" و"الوحي القرآني ."إذ يصحّ القول :**إنّهما ثابتان قاطعان كقطعية ثبوت الحياة، حيث إنّهما بمثابة روح الحياة وعقلها**.([1])

2 - أهمية النبوة في العبادة:

يتجلى مما سلف تقريره أهمية النبوة في طريق العبودية وتحقيق العناصر الإنسانية من جهة والتعالم الإيجابي مع عناصر الكون المادية والمعنوية من جهة أخرى، وتيسيرا لوظيفة النبوّة وهب الباري رسله جميعا وعلى رأسهم النبي الختام عليهم جميعا الصلاة والسلام أكمل الصفات وأيّده بالمعجزات، وجعله خليفة وكرّمه، فوهب للسانه الحكمة وفصل الخطاب، وسلّم إلى يده الصنعة البارعة، وهو يحض البشرية على الاقتداء بما وهب للسانه حضاً صريحاً، فلابد أن هناك إشارة ترغّب وتحضّ على ما في يده من صنعة ومهارة.[(2)]

---

1 - الكلمات 119

2 - انظر الكلمات 282

أ - النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام:

- النبي الخاتم شعور شعور الكون:

يمثّل النبي الخاتم مجمد عليه الصلاة والسلام شعورا لشعور الكون ونور له، ذلك أنّ "الرسالة المحمدية مترشّحة من حسّ الكون وشعورهِ وعقلِه، فهي أصفى خلاصته، بل إنّ حياة محمد صلى الله عليه وسلم - المادية والمعنوية - بشهادة آثارها حياة لحياة الكون، والرسالة المحمدية شعور لشعور الكون ونور له. والوحي القرآني بشهادة حقائقه الحيوية روح لحياة الكون وعقل لشعوره.. أجل ... أجل... أجل."([1])

ب - نعوته عليه الصلاة والسلام وصفاته في رسائل النور:

ذكر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في رسائل النور بنعوت وصفات كثيرة، تدلّ على عناية الأستاذ بمقصد النبوة من جهة والنبي الخاتم من جهة أخرى، فقد ذكر أنّه عليه الصلاة والسلام يمثّل منتهى الكاملات والصفات والوظائف، و من ذلك:أنّه عليه الصلاة والسلام العامل الخاص بأمر اللّه.

خاتم ديوان النبوة.- شمس سماء الرسالة.- القمر المنير لشمس الرسالة.- شمس شموس النبوة - الشخصية المعنوية النورانية.- الآية الكبرى.

---

1 - الكلمات 119

من ذلك قول الأستاذ :- رحمه الله - "هو الآية الكبرى لهذا الكتاب العظيم، وهو خاتم ديوان النبوة صلى الله عليه وسلم "([1])
.

و تؤكّد تلك المعاني باقتران اسم النبي باسم اللّه في ألفاظ الشهادة " أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأشهد أنّ محمدا رسول اللّه"

ج - دلالات حضور اسم النبي في ألفاظ الشهادة:

اعتبر الأستاذ أنّ كلّ كلمة في الشهادة الثانية " أشهد أنّ محمدا رسول اللّه"تومئ إلى كثير من القضايا المهمة إيمانيا من زاوية وظيفية صرف:

- برهان صادق حق من البراهين الحقّة للنبوة المحمدية.
- تشير إلى وظيفة من وظائف النبوة.- تشير إلى مقام من المقامات المحمدية.([2])
- تشير إلى أهمية النبي عليه الصلاة والسلام في الكون إذ يمثّل نورا كليا للكون في جوانبه المادية والمعنوية، لأنّه "ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره، مات الكون وتوفيت الكائنات، وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون، جنّ جنونه وفقدت الكرة الأرضية صوابها، وزلزل عقلها، وظلت بلا شعور، واصطدمت بإحدى سيارات الف-ضاء، وقامت القيامة". ([3])

---

1 - الكلمات 254

2 - انظر اللمعات 497.

3 - الكلمات 119

وفي فلك تلك الزوايا الوظيفة المشار إليها أعلاه، ترى الأستاذ بديع الزمان يعبّر عن فرحة العالم بوجود النبي عليه الصلاة والسلام، ليس هذا فحسب، بل يعلن مباركته وتهانيه الحارة للنبي عليه الصلاة والسلام كلّ جلسة تشهّد في الصلاة يومياً وبملايين الألسنة: "السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته" مقدماً له ولاءه لمهمة النبوة، ومصدقاً إياه في بشراه بالسعادة الأبدية التي أتى بها، فيستقبله بامتنان بالغ وشكر عميم إزاء فتحه طريقاً سوياً إلى الحياة الباقية التي تبحث عنها البشرية بعشق دفين عميق وشوق فطرى عارم وباستعداد قوي جداً، بقوله: "السلام عليك أيّها النبي" معبراً به عن زيارة معنوية له صلى الله عليه وسلم ولقاء معه، ومرحّباً ومهنئاً إياه باسم ثلاثمائة وخمسين مليوناً بل مليارات من المؤمنين.([1])

د - النبي الأسوة الأكمل:

تحقيق الأسوة يستوجب ظهور ما يمكن أن يقتدى به فيه، فأظهر ρ أعلى مراتب العبودية وأسماها بالعبودية العظيمة في دينه تلبية لإرادة الله في ظهور ألوهيته بمقتضى الحكمة.[(2)] وتحقيق مقتضيات القدوة ونتائجها التربوية والاجتماعية يفرض

---

1 - الشعاعات 657 -بتصرف-

2 - انظر الكلمات 690

الإنصات إلى الرسول بشوق ورغبة وتبجيل وإعجاب، وبذلك يوافق العقل والحكمة المنتظرة والمطلوبة من الإقتداء [1]

3 - حجج إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

الحرية والنبوة:

تمهيد:الحرية والنبوة و النبوة والحرية

النبوة في أصل وضعها تأسيس للحرية، إذ تمثّل طريق تحرير الإنسان من العناصر التي تشدّه إلى الأرض، وذلك بما يفرضه المسلك النبوة من تحرّر من عناصر الشد إلى الأرض، ذلك أنّ النبوة مؤسسة للعبودية التي تعدّ أعلى مقامات الحرية، ومن ثمّ كانت العبودية التي وضعت خطتها النبوة محررة للبشر من نوازعهم السلبية من جهة، و واهبة الإنسان إيجابية تسع الحياة كلّها، **لو أردنا أن نختصر الكلام لكفانا القول بأنّ النبوة باب الحرية.**

ويطرح بهذا الصدد الصلة بين النبوة والحرية، فقد يذهب الخيال بالبعض فيظن أنّ النبوة تلغي الحرية؛ فهل لهذا القول سند؟

النبوة والحرية:

درجت عادات الناس على أنّ للحجة والبرهان صلة وثيقة بالإلزام الآيل في بعض التصوّرات إلى الإرغام الذي لا يلتئم مع

1 - انظر الكلمات 697

الحرية، فهل في الحجج المثبتة لنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ما يلغي الاختيار؟

تبنّي الموقف السابق لا يلتئم مع حكمة الله في التكليف، إذ من مقتضيات التكليف حرية الاختيار، أكّد الأستاذ ذلك المعنى في قوله:" إنّ المعجزة تأتي لإثبات دعوى النبوة عن طريق إقناع المنكرين، وليس إرغامهم على الإيمان. لذا يلزم إظهارها للذين سمعوا دعوى النبوة، بما يوصلهم إلى القناعة والاطمئنان إلى صدق النبوة. أما إظهارها في جميع الأماكن، أو إظهارها إظهاراً بديهياً بحيث يضطر الناس إلى القبول والرضوخ فهو منافٍ لحكمة الله الحكيم ذي الجلال، ومخالف أيضاً لسر التكليف الإلهي. ذلك لأن سر التكليف الإلهي يقتضي فتح المجال أمام العقل دون سلب الاختيار منه."([1])

وللتدليل على المسألة يختار الأستاذ أوضح الأمثلة وأبينها، و في هذا المقام يقول:"لو كان الخالق الكريم قد ترك معجزة الانشقاق باقية لساعتين من الزمان، وأظهرها للعالم أجمع ودخلت بطون التاريخ كما يريدها الفلاسفة لكان الكفار يقولون إنّها ظاهرة فلكية معتادة. وما كانت حجة ع-لى صدق النبوة، ولا م-عجزة."([2])

---

1 - الكلمات 703

2 - الكلمات 703

إنّ التكليف يبقي الباب مفتوحا لحرية الاختيار وهو بدوره أكبر تفسير لقبول فكرتي الحساب فضلا عم الثواب والعقاب ومن ثمّ الجنة والنار، إنّنا لو قبلنا ظهور المعجزة إلى جميع الناس في العالم كله فإما إنّها كانت تبرز لهم نتيجة إشارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وإظهاراً لمعجزة نبوية، وعندها تصل إلى البداهة، أي يضطر الناس كلهم إلى التصديق، أي يُسلب منهم الاختيار، فيضيع سر التكليف، ينما الإيمان في أجلى صوره وأبسط دلالاته وأوضحها يحافظ على حرية العقل في الاختيار ولا يسلبها منه.. أو أنها تبرز لهم كحادثة سماوية محضة، وعندها تنقطع صلتها بالرسالة المحمدية ولا تبقى لها مزيّة خاصة.([1])

يبقى الأستاذ بهذا التحليل الباب مفتوحا للمكابرة ومن ثمّ الإنكار، إذ رغم تضافر الحجج والبيّنات والبراهين تجد من ينكر ويجحد بآيات الله في الآفاق والأنفس، فكان تكثير الحجج على النبوة غلقا لباب الاعتذار يوم القيامة، إذ إننا نرى في رسائل النور حججا لا حصر لها عددا ونوعا، ومن ذلك ما نعرضه في الفقرة اللاحقة.

أ ـ القرآن الكريم حجته:

ـ مقصد النبوة في القرآن الكريم:

---

1 ـ الكلمات 705

القرآن الكريم رأس حجج إثبات النبوة إذ يمثّل يحر المعجزات وهو نفسه المعجزة الكبرى ، يثبت نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقيم حججاً ويسوق براهين ويبرز أدلة تغني عن كل برهان آخر.([1])

ترى تلك الحجج والأدلة في مجمل سور القرآن الكريم، حوته السور الطويلة والقصيرة على حد سواء ، كأن كل سورة على حدة تمثّلّ القرآن الكريم ، فلا تكتفي السورة بمقصد النبوة فقط، بل كثيرا ما يذكر معه المقصد والمقصدين([2])

- التوحيد في القرآن الكريم ودلالته على النبوة:

يعلّمنا القرآن الكريم وفق مسلك النورسي في التعامل مع كتاب الله النظر إلى الكون بعناصره المادية والمعنوية، تأسيسا لنظرة إيمانية يسميها الأستاذ التفكّر الإيماني، إذ يستفاد بذلك التفكّر" شهادة الكائنات بغاياتها وبالمقاصد الإلهية فيها على الرسالة المحمدية الجامعة؛ بسبب توقف حصول غايات الكائنات والمقاصد الإلهية منها وتقرر قيمتها ووظائفها وتبارز حسنها وكمالها وتحقق حكم حقائقها على الرسالة الإنسانية لاسيما على الرسالة المحمدية؛ إذ هي المظهرة والمدار الأتمّ لها، ولولاها لصارت هذه الكائنات المكملة والكتاب الكبير ذو المعانى

---

1 - انظر الكلمات 264

2 - انظر الكلمات 533 ، الشعاعات 310

السرمدية هباءً منثوراً متطايرة المعاني متساقطة الكمالات وهو محال من وجوه وجهات.([1])

- قصص الأنبياء حجج إضافية لإثبات النبوة:

يذكر القرآن الكريم قصص الأنبياء بأشكال متنوّعة لحكم كثيرة منها إثبات الرسالة المحمدية وذلك بإظهار نبوة الأنبياء جميعهم حجةً على أحقية الرسالة المحمدية وصدقها؛ حيث لا يمكن أن ينكرها إلاّ من ينكر نبوتهم جميعاً. فذكر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دليل على الرسالة.([2])

- احتفاء القرآن الكريم بسيدنا مجمد صلى الله عليه وسلم:

منح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أعظم مقام وأسماه في القرآن الكريم، وجعل "محمد رسول الله" - الذي يتضمن أربعة من أركان الإيمان - مقروناً ب-"لا اله الاّ الله" دليل - وأيّ دليل - على أن الرسالة المحمدية هي اكبر حقيقة في الكون، وان محمداً صلى الله عليه وسلم لهو اشرف المخلوقات طراً. وان الحقيقة المحمدية التي تمثل الشخصية المعنوية الكلية والمقام السامى والمرتبة الرفيعة لمحمد صلى الله عليه وسلم هي السراج المنير للعالمين كليهما، وانه صلى الله عليه وسلم أهل لهذا المقام

---

1 - انظر الشعاعات 665

2 - انظر الكلمات 553

الخارق، كما قد اثبت ذلك في أجزاء رسائل النور بحجج وبراهين عديدة إثباتا قاطعاً.([1])

القرآن الكريم الحجة الرئيسة للنبوة الخاتمة، نبوة سيدنا مجمد عليه الصلاة والسلام، وحجة خاتم النبوة لا تكون إلاّ خاتمة الحجج، بحيث لا تكون حجة بعدها لانقطاع الوحي، لهذا تضمّنت الحجة الخاتمة "القرآن الكريم المعجزات الباهرة، وتناول كل أنواع التفكير والتشريع؛ فيكون من العسير على إنسان واحد أن يحكم في هذه المواضيع كلّها، وهل من مناص للمرء من الانجذاب إلى معجزة القرآن بعد تمعنه في أميّة نبي الإسلام ووقوفه على أسرار حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.. فقد جعل الله تعالى معجزة القرآن وأمية محمد صلى الله عليه وسلم برهاناً على صدق النبوة وصحة انتساب القرآن له.([2])

و توسعة لدائرة المتلقين يستشهد القرآن الكريم بحجج عقلية تفيد الموالف والمخالف على حد سواء ، و قد استدل بهذا النمط من الدليل قطعا للدور المتصوّر من الدليل النقلي الصرف للزوم الدور على رأي الأستاذ بديع الزمان النورسي.([3])

ب ـ دلالة الأسماء الحسنى على النبي:

---

1 - انظر الشعاعات 313

2 - انظر إشارات الإعجاز 271

3 - انظر إشارات الإعجاز 194

إرسال الرسل وإنـزال الكتب تجل أكمل للأسماء الحسنى، يشير إلى ذلك المعنى قول بديع الزمان:"نعم !فما دام الكون قد خُلق لأجل الحياة وان الحياة هي اعظم تجلٍ وأكمل نقش وأجمل صنعة" للحي القيوم" جلّ جلاله، وما دامت حياته السرمدية الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بإرسال الرسل وإنـزال الكتب، إذ لو لم يكن هناك "رسل" ولا "كتب" لما عُرفت تلك الحياة الأزلية، فكما أنّ تكلم الفرد يبين حيويته وحياته كذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنـزلة عل-يه-م، يبيّنون ويدلّون على ذلك المتكلم الحي الذي يأمر وينهي بكلماته وخط-اباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون. فلابد أنّ الحياة التي في الكون كم-ا أنّها تدلّ - بص-ورة قاطع-ة - ع-لى "الحي الأزلي" سبحانه وتعالى وعلى وجوب وجوده، تدل كذلك على شعاعات تلك الحياة الأزلية وتجلياتها وارتباطاتها وعلاقاتها باركان الإيمان مثل (إرسال الرسل) و(إنـزال الكتب) وتثبتهما رمزاً. ولا سيما "الرسالة المحمدية" و"الوحي القرآني". إذ يصح القول، انهما ثابتان قاطعان كقطعية ثبوت تلك الحياة، حيث انهما بمثابة روح الحياة وعقلها.([1])

و وظّف الأستاذ الاستدلال بالأسماء الحسنى عتلى النبوة في كثير من مواضع منها - إضافة إلى ما سلف- أنّه اعتبر أنّ

---

1 - اللمعات 567

الرسالة المحمدية نمثل مقتضى التجلي لاسم" الحكم والحكيم" في أوسع مداه ، ليس هذا فحسب، بل إنّ أغلب الأسماء الحسنى؛ "الله، الرحمن، الرحيم، الودود، المنعم، الكريم، الجميل، الرب" وأمثالها، تستلزم الرسالة المحمدية في أعظم تجلّياتها وإحاطتها بالكون كله، استلزاماً قاطعاً لا ريب فيه. وهكذا فأغلب الأسماء الحسنى إنّما هي برهان باهر على الرسالة المحمدية.([1])

ج - معجزاته صلى الله عليه وسلم:

القرآن الكريم المعجزة الباقية المستمرة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلّم، ومع ذلك فقد رويت معجزاته الأحرى في كتب الحديث، وبلغت حد التواتر المعنوي(لا اللفظي)، منها :

- انشقاق القمر:

أنّ الله سبحانه وتعالى شقّ القمر المعلق في السماء والمرتبط مع الأرض بإشارة من عبده في الأرض، فأظهر معجزته هذه، إثباتاً لرسالة ذلك العبد الحبيب، حتى اصبح صلى الله عليه وسلم كالفلقين المنيرين للقمر، فعرج إلى أوج الكمالات بجناحَي الولاية والرسالة النورانيين. حتى بلغ قاب قوسين أو أدنى واصبح فخراً لأهل السماوات كما هو فخر لأهل الأرض.([2])

- الإخبار بالغيب:

---

1 - - اللمعات 537

2 - انظر الكلمات 706

إخبار عليه الصلاة والسلام بغيب الحاضر وغيب متعلّق بغيب المستقبل البشري أو بالغيب المطلق كالتعريف ببغض مسائل العقائد(الجنة النار الملائكة، عذاب القبر، ...)تؤكّد بم لا يدع مجالا للشك أنّه مبلغ عن الله سبحانه وتعالى ، فقد رأى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بنظر النبوة الأنيس بالغيب، النافذ إلى المستقبل([1]).

- تعدد معجزاته عليه الصلاة والسلام:

و لو أردنا أن نتوقف عند كل المعجزات لما كفتنا الصفحات الطوال لهذا نشير إليها مجملة، ذلك أنّها دلائل النبوة المحمدية لا تعد ولا تحصى، وقد ذكر قسماً منها في (الكلمة التاسعة عشرة والمكتوب التاسع عشر)، و ذكر في السياق نفسه أنّ مع شهادة "معجزاته" البالغة إلى ألف، ومع شهادة "القرآن" البالغ وجوه إعجازه إلى أربعين، وفق ما أوردها في (الكلمة الخامسة والعشرين) على رسالة محمّد عليه الصلاة والسلام..([2])

---

1 - مثل أنّه بعد نحو ثلاثين أو أربعين سنة ستقع فتن عظيمة في صفوف الصحابة والتابعين، وستراق الدماء الزكية. فشاهد أنّ أبرز من فيها هم الأشخاص الثلاثة الذين سترهم تحت عباءته. فلأجل الإعلان عن تبرئة علي في نظر الأمة.. وتسلية الحسين وعزائه.. وتهنئة الحسن واظهار شرفه ومكانته وعظيم نفعه للأمة برفعه فتنة كبيرة بالصلح.. وطهارة نسل فاطمة وشرافتهم واهليتهم بلقب أهل البيت، ذلك العنوان الشريف الرفيع.. لأجل كل ذلك ستر صلى الله عليه وسلم اولئك الاربعة مع نفسه تحت ذلك العباء واهباً لهم ذلك العنوان المشرف: آل العباء الخمسة.انظر اللمعات 143

2 - انظر المثنوي النوري 66

ذكر الأستاذ بعضها منها على سبيل المثال لا الحصر،

- نبع الماء من أصابعه الخمس المباركة وتدفقه كما يدفق من خمس عيون وارتواء جيش كامل منه وشهادتهم له، المنقول الينا بروايات صحيحة متواترة ، فضلاً عن تكرار هذه الحادثة العجيبة مرتين وفي مواضع أخرى..

- رميه حفنة من تراب بالكف نفسها على جيش العدو المغير ودخول التراب عين كل منهم وانهزامهم أثناء هجومهم كما هو صراحة الآية الكريمة (وما رميتَ إذ رَميت)..

- تسبيح الحصى في الكف نفسه تسبيحاً واضحاً بيناً المروى بروايات صحيحة..

وأمثالها من المعجزات الباهرة التي ظهرت من يده المباركة صلى الله عليه وسلم والمروي قسم منها في كتب السير والتاريخ بروايات متواترة قاطعة وهى تربو على المئات بل تبلغ الألف لدى أهل التحقيق من العلماء.([1])

د - النبي برهان النبوة:

التحرر من قيود المكان والزمان يضفي على النظر إلى سيدنا مجمد أكمل الحجج وأبينها على صدق نوبته، فهو كالشمس قس الدلالة على نغسها([2])، فلو ركبنا سفينة كتب التاريخ والسيرة الشريفة ووصلنا إلى ساحل جزيرة عصر السعادة والنور،

1 - الشعاعات 658

2 - الشعاعات 658

وبلغنا الجزيرة العربية، وحظينا بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يزاول مهمة النبوّة المقدسة، سنخلص وفق ما خلص إليه العقلاء قاطبة ونعلم بيقين أنّ النبي صلى الله عليه وسلم إنّما هو برهان باهر للتوحيد ودليل ساطع عليه بحيث نوّرَ سطح الأرض جميعاً، وأضاء وجهَي الزمان الماضي والمستقبل ومحا ظلمات الكفر والضلالة.([1])

ه- - النبي برهان التوحيد:

رسالة النبي صلى الله عليه وسلّم ثابتة وقاطعة كقطعية ثبوت التوحيد نفسه؛لأنه: لما كان التوحيد هو أعظم حقيقة في عالم الوجود، وأنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم هو الذي تولى تبليغه وتعليمه بجميع حقائقه، فلابد أن جميع البراهين التي تثبت التوحيد، تكون بدورها براهين لإثبات رسالته وأدلة على صدق نبوته وأحقية دعوته صلى الله عليه وسلم، فرسالته العظمى تضم ألوفاً من أمثال هذه الحقائق السامية.([2])

كما أنّه بجهوده المبذولة لبيان التوحيد ومختلف مطالب التكليف تدلّ بنفسها على نفاسة معدنه وصدق دعوته وكمال بيانه للتوحيد مقتضيات التكليف، لهذا كان حجة إضافية لتأكيد

---

1 - الكلمات 321- بتصرف -

2 - انظر اللمعات 553

التوحيد؛"فمَن ذا غير محمد صلى الله عليه وسلم الذي أدىّ الأمانة على افضل وجه وبلّغ الرسالة على اجمل صورة؟."[1]

و- النبوة تجلي الأسماء الحسنى:

تجلت في النبي الكريم عليه الصلاة والسلام الفيوضات الربانية بتلاوته آية واحدة قد تكون مساوية لفيض إلهي كامل على نبي آخر؛إذ هو صلى الله عليه وسلم موضع تجلي الاسم الأعظم. فإذا قيل أنّ العبد الذاكر قد تعرض إلى نفحة من ظل الاسم الأعظم بفضل وراثة النبوة ونال ثواباً بها بمقدار قابليته، بقدر الفيض الإلهي على نبي آخر، فليس في قوله خلاف للحقيقة قط.[2]

و النبي عليه الصلاة والسلام هو الآية الواضحة المفصلة لجميع مراتب الأسماء الحسنى كلّها التي علمها الله سبحانه آدم عليه السلام تعليماً مجملاً.. ذلكم الرسول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم[3]

توافق شهادات الأنبياء في الدلالة على النبوة والنبي الخاتم على الخصوص:

تعد معجزات جميع الأنبياء والرسل معجزة واحدة لتصديق دعوى رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والذي هو فخر

---

1 - اللمعات 554

2 - الكلمات 399

3 - الكلمات 291

العالمين([1])، ويؤكد تلك الحقيقة مكررات "قصص الأنبياء" عليهم السلام، إذ الحكمة من تكرارها إنّما هي لإثبات الرسالة المحمدية وذلك بإظهار نبوة الأنبياء جميعهم حجة على أحقية الرسالة المحمدية وصدقها؛حيث لا يمكن أن ينكرها إلاّ من ينكر نبوتهم جميعا. فذكرها إذن دليل على الرسالة.([2])

ز - شهادة الكائنات:

كمال حسن صنعة العالم لا ينكرها إلاّ مكابر ، وكمالها يدل على الرسالة المحمدية دلالة قطعية؛ لأن جمال هذه المصنوعات المزيّنات يُظهر للناظر حُسنَ صنعةٍ وزينةٍ بالمشاهدة، وأنّ حسن الصنعة وزينة الصورة يدلان بالبداهة على أنّ لصانعها إرادةَ تحسينٍ وطلبَ تزيينٍ في غاية القوة. وأنّ إرادة التحسين وطلبَ التزيين يدلان بالضرورة على أنّ لصانعها محبةً علويةً لصنعته، ورغبةً قدسية لإظهار كمالاتِ صنعته. وأنّ تلك المحبة والرغبة تدلان بالقطع على أنّ الإنسان الذي هو اكمل المصنوعات وأبدعها وأجمل المخلوقات وأجمعها، هو المظهرُ الجامعُ والمدارُ البارعُ لتلك المحبة والرغبة، وهو الذي تتمركزان فيه. وأنّ الإنسان لكونه أجمع وأبدع المصنوعات فهو الثمرة الشعورية لشجرة الخلقة. أي هو لها كثمرةٍ ذات شعور. فلكونه كالثمرة، فهو ما بين أجزاء الكائنات جزء أجمع وأبعد من جميع

---

1 - الكلمات 291

2 - الشعاعات 313

الأجزاء. فلكونه أجمعَ وأبعدَ وذا شعور، فله نظرٌ عام وشعور كلي. فلكون نظره عاماً يرى مجموع شجرة الخلقة، ولكون شعوره كلياً يعرف مقاصد الصانع، فهو المخاطَب([1])**بالرسالة، وهذا يقتضي وجود رسول ييسّر له الرقي في سلّم المحبّة.**

ح - الدليل الأخلاقي والاجتماعي على النبي:

يمثّل رسول الله صلى الله عليه وسلّم معلّم الإنسانية الأخلاق والسعي الاجتماعي الهادف، و قد حكم أبتاعه على مرّ تاريخهم الطويل –من العلماء والصالحين والأولياء، ...- حكماً ملؤه العبودية الخالصة للّه وحده، وقضوا أنّ الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية هي التخلق بالأخلاق الإلهية، أي التحلي بالسجايا السامية والخصال الحميدة - التي يأمر بها الله سبحانه - وأن يعلم الإنسانُ عجزَه فيلتجئ إلى قدرته تعالى، ويرى ضعفَه فيحتمي بقوته تعالى، ويشاهد فقره فيلوذ برحمته تعالى، وينظر إلى حاجته فيستمد من غناه تعالى، ويعرف قصوره فيستغفر ربه تعالى، ويلمس نقصه فيسبّح ويقدّس كماله تعالى.([2])و قد كان الرسول أصدق أنموذج أخلاقي واجتماعي دال على صدق دعواه.

ومن الشواهد الإضافية على الدليل الأخلاقي والاجتماعي أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم قد أبدى رأفة عظيمة تجاه

---

1 - المثنوي العربي النوري 66

2 - الكلمات 642

أمور ومواد جزئية خاصة، ضمن مهمته النبوية العامة الشاملة.([1])

أمّا الأسس التي هي مدار النبوة فهي تظهر بأكمل وجه وأظهره فيه صلى الله عليه وسلم، إذ هو أستاذ أبناء البشر في سن كمال البشر، ومعدن الأخلاق العالية وداعي الصدق دلال النبوة([2])منبع الأخلاق العالية والأنموذج الأكمل في العلاقات الاجتماعية الإنسانية، زيادة إلى كونه عليه الصلاة والسلام مصدر العلوم العالية في مدرسة الكون ومعلّمهما الأوّل بدون منازع.([3])

ط - الإنسان برهان النبوة:

اعتبر النورسي الإنسان دليل الحاجة للنبوة من جهة ودليل وجودها في ذات الوقت، ذلك أنّنا نشاهد النبوة المطلقة التي هي بمثابة معدن نظام البشرية المادي والمعنوي، ومركز انتظام أحوال كثير من الأنواع التي ضمّتها تحت تصرفها قوة العقل.. هذه النبوة المطلقة برهانها: رقي الإنسان على الحيوانية في ثلاث نقط:

النقطة الأولى:قوته العقلية

إدراك الإنسان وكشفه عن الترتيب في الأشياء، الناشئ من

---

1 - اللمعات 29

2 - انظر صيقل الإسلام 142

3 - انظر صيقل الإسلام 141

العلل المترتبة المتسلسلة في الخلقة.. وقابليته العلمية والتركيبية ومعرفته الحاصلة من تحليله مركبات بذور كمالات الإنسانية إلى بسيطات، وإرجاعها إلى أصلها.. وقدرته على محاكاة الطبيعة، ومساوقة نواميس الله الجارية في الكون بصنعته ومهارته، بالسر الكامن في القاعدة: (بداية الفكر نهاية العمل، نهاية الفكر بداية العمل).فالإنسان الذي هذه قابلياته، يدرك قصور نظره في صنعت، وزحمة الأوهام عليه، وافتقاره في جبلته الإنسانية.. مما يدله على حاجته الماسة إلى نبي مرشد، يحافظ على موازنة النظام المتقن في العالم.

النقطة الثانية: استعداده وآماله غير المتناهية

الإنسان استعداداته غير المتناهي، وآماله ورغباته غير محصورة، وأفكاره وتصوراته غير محدودة، وقوّته الشهوية والغضبية غير المحددّة.فتراه يتأسفُ ويتأفف.. وذلك بحكم عدم تناهي تلك الآمال المغروز في استعداده، فكأن عدم الرضا هذا يرمز ويشير إلى أنّ الإنسان مرشح للأبد، ومخلوق للسعادة الأبدية. كي يتمكن من تحويل استعداده غير المحصور من طور القوة إلى طور الفعل في عالم غير متناهٍ وغير محدود بحدود، وأوسع بكثير من عالمه هذا.

إنّ استعداد الإنسان مسدّد نحو الأبد. فإن شئت فتأمل في جوهر الإنسانية، وقيمة ناطقيته، ومقتضى استعداده، ثم انظر إلى الخيال الذي هو اصغر خادم لجوهر الإنسانية

النقطة الثالثة:اعتدال مزاج الإنسان ولطافة طبعه:

اعتدال مزاج الإنسان، ولطافة طبعه، وميله إلى الزينة، أي ميله الفطري إلي العيش اللائق بالإنسانية.

لهذا يخلص الأستاذ إلى نتيجة مفادها التمييز المطلق بين الإنسان والحيوان، ذلك أنّ الإنسان لا يعيش عيش الحيوانات، ولا يسعه ذلك فهو محتاج لتحصيل حاجاته في مأكله وملبسه ومسكنه إلى تلطيفها وإتقانها بصنائع جمة، لا يقتدر هو بانفراده عليها كلها، ولهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه، ليتشاركوا فيتعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم.

ولكن لتجاوز قوى الإنسانية على الآخرين - بسر عدم التحديد - تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي.. ثم لأن عقل كل واحد لا يكفي في درك العدالة، لذلك وغيره:

احتاج النوع إلى وضع قوانين كلية.. ثم لمحافظة تأثيرها ودوامها، لابد من مقنن يجريها.. ثم لإدامة حاكمية ذلك المقنن في الظاهر والباطن يحتاج إلى امتياز وتفوق - مادة ومعنىً - ويحتاج أيضاً إلى دليل على قوة المناسبة بينه وبين مالك الملك صاحب العالم.. ثم لتأسيس إطاعة الأوامر وتأمين اجتناب النواهي يحتاج إلى إدامة تصور عظمة الصانع وصاحب الملك في الأذهان.. ثم لإدامة التصور ورسوخ العقائد يحتاج إلى مذكّر مكرر وعمل متجدد، وما المذكِر المكرّر إلاّ العبادة... وهذه العبادة توجه الأفكار إلى الصانع الحكيم، وهذا التوجه يؤسس

الانقياد. والانقياد هو للإيصال إلى النظام الأكمل والارتباط به. وهذا النظام الأكمل يتولد من سر الحكمة، وسر الحكمة يشهد عليها إتقان الصنع وعدم العبثية.

و إذا علمت هذه الجهات الثلاث من تمايز الإنسان عن سائر الحيوانات خلصت بالضرورة النتيجة الابيّنة الآتية: **إنّ النبوة المطلقة في نوع البشر قطب بل مركز ومحور تدور عليه أحوال البشر،** ينتقل بعدها الأستاذ إلى بيان مسوّغات القول بتلك النتيجة، فيجيل نظره وينصح بتدقيق النظر في النقاط الآتية:

- **دقق النظر في الجهة الأولى**: الإنسان في أشد الحاجة إلى المعلّم المرشد، ذلك أنّه سحل مشاكل الميل الطبيعي للإنسان وسوق إنسانيته، وقصر نظره، واختلاط الأوهام في طريق عقله.. وذلك المرشد هو النبي صلى الله عليه وسلم.

- **تدبر في الجهة الثانية:** عدم تناهي ميول وآمال الإنسان لا يسعها قانون البشر الذي لا ينطبق على قامة استعداده النامية كثمرة لميله إلى الترقي الذي هو غصن من شجرة ميل الاستكمال في العالم.

فعدم كفاية هذا القانون البشرى الحاصل نتيجة تلاحق الأفكار والتجارب التدريجية، لإنماء بذور ثمرة استعدادات الإنسان، احتاج إلى شريعة إلهية حية خالدة تحقق له سعادة الدارين معاً مادةً ومعنىً، وتتوسع حسب قامة استعداداته ونموها...فالذي أتى بالشريعة هو النبي صلى الله عليه وسلم.

- **تفكّر أيضا في الجهة الثالثة:**الحاجة إلى تعديل الأخلاق وحمايتها من الإفراط أو التفريط لا ينكرها إلا مكابر، و ملكة تعديل الأخلاق الموهومة لا تكفي للمحافظة على القوى الثلاثة في الحكمة والعفة والشجاعة، لهذا كان الإنسان وسيبقى بالضرورة محتاجا إلى نبي يمسك بميزان العدالة الإلهية النافذة والمؤثرة في الوجدان والطبائع.([1])

ص - شريعته الخاتمة:

شريعة خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم هي خاتمة الشرائع لهذا كانت شريعته ناطقة بنبوته؛فكانت شريعته العظمى كافية ووافية لكل قوم في كل عصر([2])، و تؤصّل لمصالح الناس في العاجل والآجل(الدنيا والآخرة)، و تقرر أنّ القوة في الحق وليس الحق في القوة، فتقطع بهذا دابر الظلم وتحقق العدل.([3])

4 - مسالك إثبات النبوة عند بديع الزمان النورسي:

زيادة إلى ما سلف من حجج موزّعة على رسائل النور، فقد ذكر الأستاذ جملة من براهين إثبات النبوة ، يمكن أن نختصرها في فرشة ثم نلحق بها بيان مسالكه في إثباتها.

يسجّل في البداية أنّ النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن مترددا

---

1 - صيقل الإسلام 136-139(بتصرف)

2 - انظر الكلمات 568

3 - الكلمات 643

في أي حركة من حركاته، لهذا لم يبال باعتراضات المعترضين، و لم يسجّل عنه خوفا من المخالفين، وفي ذلك أكبر شاهد على صدقه وجديته، و مما زاد تلك الحجج قوّة ورصانة إصابته روح الحقيقة في أوامره، وهذا يدل على أنّه على الحق المبين.

حصر الأستاذ مسالك إثبات النبوة في مسالك خمسة أربعة منها واضحة والخامسة مخفية، و هي كالآتي:

أ - المسلك الأوّل في إثبات النبوة:تظهر من معرفة ذاته وصفاته

إنّ النبي عليه الصلاة والسلام كان على الفطرة في تخلّقه ولم يكن متصنّعا، إذ بلو كان كذلك لأومأت فلتات هيئته العامة إلى التصنّع والتكلف، كما أنّ الاخلاق العالية إنّما تتّصل بأرض الحقيقة بـ "الجدية"، وهي إدامتها محتاجة إلى انتظام مجموعها، ولا طريق لتثبيته بغير" الصدق". ومتى ما انقطعت عرى الصدق والجدية منها صارت كهشيم تذروه الرياح.و قد تحقق له ذلك أنّه ربط ميله بما طلبه الشارع الحكيم، تدل على ذلك آثار محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته المباركة وتاريخ حياته تشهد - مع تسليم أعدائه - بأنّه لعلى خلق عظيم، وأنّه قد اجتمعت فيه الخصال العالية كافة. ومن شأن امتزاج كثرة من تلك الأخلاق وتجمّعها وإحاطتها، توليد عزة النفس، التي تولد شرفاً ووقاراً يترفعان عن سفساف الأمور، كترفع الملائكة وتنـزههم عن الاختلاط بالشياطين، فالأخلاق السامية كذلك لا

تسمح أصلاً بتداخل الحيلة والكذب بينها، بل تتنـزه وتتبرأ وتترفع عنها، بحكمة التضاد فيما بينها، فكان بحق حكم التخلّق بالمعالي حكما للكل وحكمًا لكلٍ في ذات الوقت، فلا ترى في أخلاقه ما يعزب عن الكمال بقدر أنملة.

ب - المسلك الثاني:تاريخ النبي عليه الصلاة والسلام أكبر شاهد على نبوته:

مراجعة صحيفة ماضيه عليه الصلاة والسلام برهان على نبوته، يشهد لهذا البرهان أنّ من يأخذ أساسات علم وفن - أو في القصص - ويعرف روحه والعقد الحياتية فيه ويحسن استعمالها في مواضعها ثم يبني مدّعاه عليها، فان ذلك يدل على مهارته وحذاقته في ذلك العلم.كما أنّك لو كنت عارفاً بطبيعة البشر، لا ترى أحداً يتجاسر بسهولة على مخالفةٍ وكذبٍ ولو حقيراً، في قوم ولو قليلين، في دعوىً ولو حقيرة، بحيثية ولو ضعيفة. فكيف بمن له حيثية في غاية العظمة، وله دعوى في غاية الجلالة، ويعيش بين قوم في غاية الكثرة، ويقابله عناد في غاية الشدة، ومع أنّه أمّي لا يقرأ ولا يكتب، إلاّ أنّه يبحث في أمور لا يستقل فيها العقل وحده، ويظهرها بكمال الجدية، ويعلنها على رؤوس الأشهاد.. أفلا يدل هذا على صدقه؟

كل ما نقل عنه عليه والصلاة والسلام من علوم معارف كانت أبعد عن البادية التي سكن بها وترعرع، وهي حجة إضافية على صدقه، يشهد لها أيضا أنّه لو ناظر أميّ علماء علم، ثم بيّن رأيه

في مسائله مصدقاً في مظان الاتفاق، ومصححاً في مطارح الاختلاف، يدلك ذلك على تفوقه، وأنّ علمه منحة ربانية علم وهبي لا كسبي ناله بطريق التحصيل.

تدل تلك الشواهد الجزئية على أنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع أمّيته، كأنّه بالروح الجوالة الطليقة طوى الزمان والمكان، فدخل في أعماق الماضي، وبيّن كالمشاهد لأحوال الأنبياء عليهم السلام، وشرح أسرارهم على رؤوس العالم، في دعوى عظيمة تجلب إليها أنظار الأذكياء. وقد قص قصصهم بلا مبالاة ولا تردد وفي غاية الثقة والاطمئنان، وأخذ العقد الحياتية فيها وأساساتها، مقدمة لمدّعاه مصدقاً فيما اتفقت عليه الكتب السالفة ومصححاً فيما اختلفت فيه. فثبت أنّ حاله هذه دليل على نبوته.

إنّ مجموع دلائل نبوة الأنبياء عليهم السلام، دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم، وجميع معجزاتهم معجزة معنوية له.

ج - المسلك الثالث:بيان الحال الحاضرة وشهادتها على النبوة

يشهد عصر النبوة على صدق سيدنا محمد في التبليغ عن ربّه من أربعة وجوه، اختصرها فيما يأتي:

- الأمر الخارق أنّك تراه عليه الصلاة والسلام رفع ما تعذّر على الملوك والسلاطين رفعه من عادات حقيرة راسخة ، كما تراه ينتزع ما فشلوا في استئصاله من خصال، بهمة ولو شديدة،

في زمان قصير لا يسع أضعافه أصحاب الجاه والسلطان،

فقد أرسى عليه الصلاة والسلام فجأة بدل سيّئ العادات والأخلاق، عادات وأخلاق تكمّلت دفعة في قلوب قوم في غاية الكثرة ولمألوفاتهم في نهاية التعصب، أفلا يدل ذلك صراحة على أنّ فعله كان خارقا بالفعل؟ فإن لم تصدق بهذا فسأورد اسمك في قائمة السوفسطائيين.

- شكّل محمد صلى الله عليه وسلم حكومة عظيمة، في زمان قصير، دولة غلبت الدول العظمى دفعة، و نشأت بشكل لافت للنظر مخالف لما درج عليه البشر من نمو تدريجي للدول، دولة يحكمها سلطان له سطوة وهيبة ظاهراً وباطناً ومادةً ومعنىً. فإن لم تستطع رؤية هذه الأمور الخارقة، فأنت في طائفة العميان.

- حكم الناس بالقوة والقهر متاح وممكن، ولكن أن تكون الغلبة على الأفكار والتأثير بإلقاء حلاوته في الأرواح والتسلط على الطبائع مع محافظة حاكميته على الوجدان دائماً لا يكون إلاّ من خوارق العادات. وليس إلاّ الخاصة الممتازة للنبوة. فان لم تعرف هذه الحقيقة فأنت غريب عنها.

- نفذ محمد صلى الله عليه وسلّم إلى أعماق القلوب بإرشاده، وهيّج دقائق الحسيات، وكشف أكمام الاستعدادات، وأيقظ السجايا الكامنة، وأظهر الخصال المستورة، وجعل جوهر إنسانيتهم فوارة، وأبرز قيمة ناطقيتهم، لأنّه مقتبس من شعاع الحقيقة ومن الخوارق للعادة.

د - المسلك الرابع مسألة الشريعة التي تمثل صحيفة المستقبل

في مسألة صحيفة **و تظهر حجتها باقتضاب من وجوه** المستقبل، لاسيما مسألة الشريعة. لابد من ملاحظة أربعة:

- إنّ شخصاً لا يكون متخصصاً، وصاحب مَلَكة، في أربعة علوم أو خمسة منها، إلاّ إذا كان خارقاً.

- الرسول كان إنساناً وحيداً لا خبرة سابقة له في أمور الأنظمة والمجتمع، ولم تعنه احوال زمانه وبيئته، الاّ انه اسس نظاماً، وارسى عدالة، تلك هي الشريعة، التي هي كخلاصة جميع قوانين العلوم وكأنها حصيلة تجارب كثيرة، بل لايبلغ ادراكها الذكَاء مهما توسع، تلك الشريعة متوجهة الى الازل، معلنة انها آتية من الكلام الازلي، ومحققة سعادة الدارين.فإن أنصفت تجد ان هذا ليس في طوق بشر، في ذلك الزمان، بل خارج عن طوق النوع البشري قاطبة. الاّ اذا افسدت اوهامٌ سيئة بالتغلغل في الماديات طرف فطرتك المتوجهة نحو هذه الحقائق.

- إنّ الإرشاد إنّما يكون نافعاً إذا كان على درجة استعداد أفكار الجمهور الأكثر، والجمهور باعتبار الكثرة الكاثرة منه عوام والعوام لا يقتدرون على رؤية الحقيقة عريانة، ولا يستأنسون بها إلاّ بلباس خيالهم المألوف. فلهذا صوّرت الشريعة تلك الحقائق بمتشابهات وتشبيهات فأبهمت وأطلقت في مسائل العلوم الكونية، التي يعتقد الجمهور بالحس الظاهري خلاف

الواقع ضرورياً. وذلك لعدم انعقاد المبادي والوسائط.. ولكن مع ذلك أومأت إلى الحقيقة بنصب أمارات.

و انتهى الأستاذ بعد عرض طويل لبراهين النبوة إلى **أنّ الصدق يلمع في كل** فعل وكل حال من أفعاله وأحواله صلى الله عليه وسلم. إلاّ أنّ هذا لا يلزم أن تكون كلّ أفعاله وأحواله خارقة، لأن إظهار الخوارق والمعجزات لتصديق المدّعى إن لم تكن حاجة إليه، يكون الانقياد لقوانين عادات الله بالانسياق للنواميس الجارية العامة.

إنّ الديانة والشريعة الإسلامية المؤسسة على البرهان ملخصة من علوم وفنون تضمنت العقد الحياتية في جميع العلوم الأساسية، منها: فن تهذيب الروح، وعلم رياضة القلب، وعلم تربية الوجدان، وفن تدبير الجسد، وعلم إدارة المنـزل، وفن سياسة المدنية، وعلم أنظمة العالم، وفن الحقوق، وعلم المعاملات، وفن الآداب الاجتماعية، وكذا وكذا...

فالشريعة فسّرت وأوضحت في مواقع اللزوم ومظان الاحتياج، وفيما لا يلزم أو لم تستعد له الأذهان أو لم يساعد له الزمان، أجملتْ بخلاصة ووضعت أساسا، أحالت الاستنباط منه وتفريعه ونشوء نمائه على مشورة العقول. والحال لا يوجد في شخص كل هذه العلوم، ولا ثلثها بعد ثلاثة عشر عصراً، في المواقع المتمدنة، ولا في الأذكياء.

ويخلص بعد تلك الجولة العقلية إلى أنّ " من زيّن وجدانه

بالإنصاف يصدق بأنّ حقيقة هذه الشريعة خارجة عن طاقة البشر دائماً ولاسيما في ذلك الزمان"

ه- - المسلك الخامس: إثبات النبوة بالمعجزات الظاهرة والخوارق المعروفة

العمدة في إثبات هذا المسلك كتب السيرة والتاريخ فإنّها مشحونة بها...إنّ الخوارق الظاهرة وإن كان كل فرد منها غير متواتر، ولكن جنسها، وكثيراً من أنواعها متواتر بالمعنى.

الخوارق والمعجزات على تنوّعها متفقة النتيجة متناغمة في خدمة إثبات النبوة.

- الإرهاصات المتنوعة وكأن ذلك العصر الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم استفاد واستفاض منه فصار حساساً ذا كرامة فبشّر بالارهاصات، بقدوم فخر العالم بحس قبل الوقوع.

- الإخبارات الغيبية الكثيرة حتى لكأنّ روحه المجرد الطيّار صلى الله عليه وسلم مزّق قيد الزمان المعين والمكان المشخص فجال في جوانب الماضي والمستقبل، فقال لنا ماشاهده في كل ناحية منهما وبينه لنا.

- الخوارق الحسية التي أظهرها وقت التحدي والدعوى وقد بلغ هذا النوع الى مايقرب الالف. بمعنى ان مجموع هذا النوع متواتر بالمعنى وان كان افراده آحادياً.

- نبعان الماء من أصابعه المباركة، وكأنه يصور تصويراً حسياً فورانَ زلال الهداية الباعث للارواح من لسانه الذي هو

منبع الهداية بنبعان الماء الباعث على الحياة من يده المباركة التي هي معدن السخاء.

- تكلم الشجر والحجر والحيوان، وكأن الحياة المعنوية في هدايته صلى الله عليه وسلم قد سرت الى الجمادات والحيوانات فانطقتها.

- انشقاق القمر. وكأن القمر الذي يمثل قلب السماء قد انشق اشتياقاً اليه باشارة من اصبعه المبارك علّه يجد علاقة مع قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم.

و أعظم هذه المعجزات وأكبرها وأولاها هو القران الكريم المبرهن إعجازه بجهات كثيرة.

المتأمّل في المسالك الخمسة، بفكر واسع ونظر حاد وبصيرة ذات موازنة وحيدة تامة.ينتهى إلى القول: **إنّ محمدا صلى الله عليه وسلّم هو الدليل الواضح على وجود الإله الذي ندعوا إليه.**([1])

5 - مميزات النبوة الخاتمة:

أ - التناغم مع سائر النبوات من جهة إلهية المصدر:

أجمع الأنبياء عليهم السلام واتّفقوا على الحقائق الإيمانية نفسها ، و هو بنفسه دليل قاطع على وجود الله سبحانه وعلى وحدانيته، وهو إضافة إلى ما سلف شهادة صادقة على صدق

---

1 - انظر صيقل الإسلام 142 - 158،و انظر إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز 165-190

هذا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رسالته، ذلك لأن كل ما يدل على صدق نبوة أولئك الأنبياء عليهم السلام، وكل ما هو مدارٌ لنبوتهم من الصفات القدسية، والمعجزات، والمهام التي اضطلعوا بها توجد مثلها وبأكمل منها فيه صلى الله عليه وسلم، كما هو مصدّقٌ تاريخاً. فأولئك الأنبياء عليهم السلام قد اخبروا بلسان المقال - أي بالتوراة والإنجيل والزبور والصحف التي بين أيديهم - بمجيء هذه الذات المباركة وبشروا الناس بقدومه صلى الله عليه وسلم (حتى أنّ أكثر من عشرين إشارة واضحة ظاهرة من الإشارات المبشرة لتلك الكتب المقدسة قد بُينت بياناً جلياً وأثبتت في رسالة المعجزات المحمدية) فكما أنّهم قد بشروا بمجيئه صلى الله عليه وسلم فإنّهم يصدّقونه صلى الله عليه وسلم بلسان حالهم - أي بنبوتهم وبمعجزاتهم - ويختمون بالتأييد على صدق دعوته إذ هو السابق الأكمل في مهمة النبوة والدعوة إلى الله، إنّهم مثلما يدلّون - أولئك الأنبياء -بلسان المقال وبالإجماع على الوحدانية، فإنّهم يشهدون - بلسان الحال وبالاتفاق كذلك - على صدق هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.([1])

ب - إنسانية الغاية و المقصد:

تظهر إنسانية المسعى من مضامين الرسالة ومقاصدها، فتظهر في وظيفة التبليغ والتبشير المؤسس على بيان دورها في

---

1 - انظر الشعاعات 169

الإفهام وصناعة الفطنة الإيمانية وما تقتضيه من عملية ةتربوية تسع كل مجالات الحياة.

- **التبشير والتبليغ**: كلّف الله النبيّ بالتبليغ وأمره بالتبشير تأميناً لامتثال التكليف الذي فيه مشقة وترك للذائذ الدنيوية. فكمّا أنّه مأمور بالإنذار؛ كذلك مأمور بالتبشير برضاء الله تعالى وتلطيفه وقربيته وبالسعادة الأبدية.([1])، و الإنسان هو وموضوع التبليغ والتبشير والإنذار، فهو عليه الصلاة والسلام وسائر الأنبياء لأجل الإنسان بعثوا، بغرض التأسيس لمستوى الإنسانية المؤمنة مركزها ومحرّكها العبودية للّه تعالى.

- **<u>دور النبوة في الإفهام عن الله:</u>**

بعث الله الأنبياء بغرض تفهيم الإنسان وظيفته ودوره في الكون، ذلك أنّ إفهام جمهور المخاطبين طريق ضروري وأساسي لنيل المقصد الأصلي للشارع الحكيم من إرشاد الجمهور محصور في إثبات الصانع الواحد والنبوة والحشر والعدالة.([2])، فالنبوة رتبة تفهيم وتعليم وفق ما ينسجم والجمهور العريض من المخاطبين، ولكنّها في ذات الوقت لا تهمل الاستجابة لدقيق ما يحتاجه الخاصة وحتى خاصة الخاصة.

- **<u>الوظيفة التربوية للنبوة:</u>**

---

1 - إشارات الإعجاز 197، انظر الشعاعات 168

2 - انظر صيقل الإسلام 155

من مقتضيات التفهيم والتعليم التربية الشاملة، تلك المهمة التي تعد من مشمولات وظيفة النبوة، فكانت بالفعل ميزة مهمّة من ميزاتها، و قد ضرب النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام أروع أمثلة التربية القاصدة، فمنها ما أظهرته تلك الموازين التربوية من آثار عظيمة على أقرب الناس إليه، إذ كانت حصة كل من الصديق والفاروق رضي الله عنهما عظيمة، وكان التوفيق حليفهما في زمن خلافتهما حتى صار كل واحد منهما دليلاً لدى أهل السنة والجماعة، ([1])وذلك بفضل التربية النبوية

ـ النبوة عالمية التوجّه وهي قطب مصالح الإنسانية:

حضور الإنسان كهدف في النبوة أكبر من أن يتوقف عنده طويلا،إذ نقل عن نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم- فخر العالم- "لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك،فهدفها خدمة الإنسان بكل معاني الحدمة،فتوجّهه إلى سعادة الدار الخالدة الدار الآخرة الأبدية.([2])و أرشد الأنبياء وعلى رأسهم النبي الخاتم - عليهم جميعا أزكى الصلاة والسلام – إلى حقوق اللّه وحقوق العباد و ضربوا أروع الأمثلة في ترك منافعهم الشخصية لأجل دعوتهم([3])،مما دفع العقلاء إلى اكتشاف البعد الإنساني في النبوات ورسالات الأنبياء عليهم والسلام

---

1 - انظر اللمعات 36

2 - انظر اِالشعاعات 655

3 - انظر صيقل الإسلام 140

ج - التناغم مع الكون :

النبوة جزء من نظام الكون لأنّها من خالق الكون،ذلك الكون المنظور الذي أرسل الأنبياء بوحي مسطور؛فكان بين المنظور والمسطور توافقا كلّيا،و كانت أصفى خلاصته، أنّ شهادة آثار حياة محمد صلى الله عليه وسلم - المادية والمعنوية –التي تعدّ حياة لحياة الكون، ورسالته شعور لشعور الكون ونور له. والوحي القرآني - بشهادة حقائقه الحيوية - روح لحياة الكون وعقل لشعوره.. أجل.. أجل.. أجل.([1])،لهذا إذا فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره مات الكون وتوفيت الكائنات، وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون، جَنّ جنونه وفَقَدت الكرة الأرضية صوابَها، وزال عقلُها، وظلت دون شعور، واصطدمت بإحدى سيارات الفضاء، وقامت القيامة.([2])

6 - المقاصد المندمجة في مقصد النبوة والرسالة و أسس الحاجة إليها:

أ - المقاصد المندمجة في مقصد النبوة والرسالة

من منطلق ما سبق تقريره يظهر جليا أنّ النبوّة بوصفها مقصدا أساسيا من مقاصد الدين، تندرج فيها مجموعة من المقاصد المتدخلة فيما بينها، فتظهر فيها ومنها:

- إنّ محمداً عليه السلام نبي.

---

1 - انظر اللمعات 568

2 - اللمعات 568

- أكمل الأنبياء.
- خاتم الأنبياء.
- مرسل لكافة الأقوام.
- شريعته ناسخة لجميع الشرائع، وجامعة لمحاسنها.[1]

وإضافة إلى ما سلف فإنّه عليه الصلاة والسلام:

- مربّي أرواح المسلمين ومرشد عقولهم ومحبوب قلوبهم.
- جعله الله مدار المقاصد الربانية.
- محور الغايات الإلهية السامية في الكون.
- سبب لرقي قيمة الموجودات وسمّوها، ومن مظاهر ذلك

أنّه قال في الدقائق الأولى التي تشرّف العالم به " أمّتي.. أمّتي.."[2]

ومن مقتضيات الاهتمام بالأمّة، طلب الاقتداء به، من ثمّ لم يكن ρ في جميع أفعاله خارقاً للعادة، خارجاً عن طور البشر، بل كان بشريا ليتسنّى له أن يكون أسوةً يُقتدى به، ويكون بأفعاله وأحواله وأطواره إماماً للآخرين، لذا ما كان يلجأ إلى إظهار المعجزات إلاّ بين حين وآخر، عند الحاجة، إقراراً لنبوته أمام الكفار المعاندين. ولما كان الابتلاء والاختبار من مقتضيات التكليف الإلهي، فلم تعد المعجزة مُرغِمة على التصديق - أي سواء أراد الإنسان أم لم يرد - لأن سر الامتحان وحكمة التكليف

---

1 - انظر إشارات الإعجاز 59

2 - انظر اللمعات 344

يقتضيان معاً فتح مجال الاختيار أمام العقل من دون سلب الإرادة منه. فلو ظهرت المعجزة ظهوراً بديهياً ملزماً للعقل كما هو شأن البديهيات لما بقي للعقل ثمة اختيار، ولصدَّق أبو جهل كما صدّق أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ولانتفت الفائدة من التكليف والغاية من الامتحان، ولتساوى الفحم الخسيس مع الألماس النفيس![1]

ولا يذهب الخيال بك بعيدا فتوسّع من دائرة البشرية حتى تجعله عليه الصلاة والسلام كأحد من البشر، ذلك أنّه ورغم ذلك، فقد كان الرَّسُول الأكرم ρ - في المُقدمة - مستنداً إلى مئات من معجزاته الباهرة، والقرآن الكريم مستنداً إلى آياته الجازمة، ثم جميع الأنبياء عليهم السلام وهم ذوو الأرواح النيرة، وجميع الأولياء وهم أقطاب ذوي القلوب النورانية، وجميع الأصفياء وهم أرباب العقول المُنورة.. يبشرون الجن والأنس بالسعادة الأبدية وينذرون الضالين بجهنم - وهم يؤمنون بهذا ويشهدون عليه - استناداً إلى ما ذكرته مراراً وتكراراً من الوعد والوعيد في جميع الكتب السماوية والصحف المُقدسة، واعتماداً على صفاتك وشؤونك القُدسية كالقدرة والرحمة والعناية والحكمة والجلال والجمال، ووثوقاً بعزة جلالك وسلطان ربوبيتك،

1 - انظر المكتوبات 118

ويبشرون بكشفياتهم ومشاهداتهم وبعقيدتهم الراسخة بعلم اليقين.[1]

ب - أسس الحاجة إلى النبوة:

يستشف مما سبق تقريره أنّ الحاجة ماسة إلى النبوة بوصفها مقصدا أساسيا من مقاصد الدين، ومن ثمّ كانت الحاجة إلى المعرفة الكاملة عن الذي اختاره الله ليكون أهلا لحملها، ونقصد بهذا الصدد النبي ρ.

1 - التعرّف على التوحيد: النبوة معرفة بالتوحيد ذلك أنّه في أصل وضعها مسلك لتعريف الخلق بالله تعالى وتعليم البشر عبادته.

2 - المعرفة بالنبي ρ: يبدأ بالإقرار بأنّه عليه الصلاة والسلام نبي مختار مصطفى، وأنه أكمل الأنبياء وخاتمهم، أرسله الله إلى الناس كافة...وهي ولا شك ليست معارف مجرّدة بل لها صلة كبيرة بالحياة الاجتماعية والفكرية والتربوية للمؤمن.

2 - معرفة سيرته وشريعته: ورأس ذلك الإقرار بأنّ شريعته ناسخة لجميع الشرائع، وجامعة لمحاسنها، ويقتضي هذا المسلك الأخذ بما جاء به .[2] مربّي أرواح المسلمين ومرشد عقولهم ومحبوب قلوبهم، ذلك أنّ الله جعله مدار المقاصد الربانية، وهو محور الغايات الإلهية السامية في الكون.

---

1 - انظر سيرة ذاتية 323

2 - انظر إشارات الإعجاز 59

3 - الحاجة الإنسانية والكونية لمعرفته:جعل الله الرسول ρ سببا لرقي قيمة الموجودات وسمّوها،ذلك أنّ الرسالة المحمدية شمس معنوية للكون وهي التي نالت عددا من الشهادات الكلية الواسعة من رب العالمين الذي لا يهمل رعاية وتنظيم شئ مهما كان حتى جناح ذبابة وزهيرة صغيرة .([1])

4- التبليغ عن الله والتمرّس بالدعوة:القراءة القلبية والعقلية لتاريخ حياة الأنبياء و لاسيما النبي الخاتم-عليهم جميعا الصلاة والسلام- تؤكّد أن نيل رتبة رسول رسول اللّه تتطلّب استعدادا للتضحية و الفداء من أجل التبليغ،وهو ما يفرض التحلي بالصبر المحفوف بالإخلاص التام الذي بمقدوره استبعاد مرض العصر"الأنانية" من بداية الطريق.

ثالثا: المقصد الثالث: الحشر

مربط فاعلية العبودية في طريق النبوة، الاستحضار العقلي والقلبي للمعاد، فمن فعل خيرا بإخلاص نال خيرا في الدنيا والآخرة، ومن فعل غير ذلك كان جزاؤه من جنس عمله.

قال تعالى:[كل نفس ذائقة الموت وإنما توفّون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور] آل عمران 185.

يقول الشاعر:

---

1 - الشعاعات 668

فلو أنا إذا متنا تركنا   لكان الموت راحة لكل حي
ولك-نا إذا متنا بعثنا   ونس-أل بعده عن كل شي

إن العبودية لله في طريق النبوة تستمد فاعليتها في العقل والقلب- المترجم في موقف اجتماعي- بالتذكّر المستمر للمعاد، قال تعالى: [ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين] العنكبوت 06، لما له(التذكر) من قدرة على دفعنا لتنمية قدراتنا الإيمانية وتطوير وسائلنا الاجتماعية وإيجاد فاعليتها الحضارية.

إنها تولّد في المؤمن اليقظة الإيمانية، والتبصّر فيما أخبر به كتاب ربه وسنة نبيّه، ولعل من أهم تلك الأوامر، الدعوة إلى الوحدة بوصفها فريضة شرعية، لقوله تعالى:[واعتصموا بحبل جميعا ولا تفرقوا] آل عمران 103، [إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم] الحجرات 10، [إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون] الأنبياء 92. وورد في السنة: "ترى المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"[1]

1 - منـزلة الإيمان بالحشر في الإسلام:

أ- أهميته في العبادة:

---

1 - متفق عليه

ونظرا لما للحشر من أهمية في حياة المسلم المادية والمعنوية، كلّف جميع الأنبياء بالحثّ على النظر إليه، خاصة وهم ذوو الأرواح النيّرة وفي مقدمتهم الرسول الأكرم ρ، وجميع الأولياء وهم أقطاب ذوي القلوب المنورة، وجميع الصديقين وهم منابع العقول النافذة النيّرة، كل أولئك يؤمنون إيماناً راسخاً عميقاً به(الحشر) ويشهدون عليه ويبشرون البشرية بالسعادة الأبدية، وينذرون أهل الضلالة بأن مصيرهم النار، ويبشّرون أهل الهداية بأن عاقبتهم الجنة، مستندين إلى مئات المعجزات الباهرة والآيات القاطعة، وإلى ما ذكرتَه أنت يا ربي مراراً وتكراراً في الصحف السماوية والكتب المقدسة كلها من آلاف الوعد والوعيد. ومعتمدين على عزة جلالك وسلطان ربوبيتك، وشؤونك الجليلة، وصفاتك المقدسة كالقدرة والرحمة والعناية والحكمة والجلال والجمال وبناءً على مشاهداتهم وكشفياتهم غير المعدودة التي تنبئ عن آثار الآخرة ورشحاتها. وبناءً على إيمانهم واعتقادهم الجازم الذي هو بدرجة علم اليقين وعين اليقين.[1]

ب – الحشر ضرورة منطقية وعقلية كونية:

الحشر ضرورة منطقية وعقلية تفرضها العدالة الكونية، تلك التي حدّدها خالقها وقدّر موازينها، إذ ليس من الممكن تصوّر أنّ الرب الرحيم ذا القدرة المطلقة والحكمة المحيطة ألاّ يُنشئ

---

1 - انظر الكلمات 109

"النشأة الأخرى"، أو يعجز عنها، وهو الذي له مُلك السموات والأرض وهنّ مطويات بيمينه من الذرات إلى المجرات ويديرها جميعاً ضمن نظام محكم وميزان دقيق... فسبحان الله عما يصفون.[1]

والحشر حقيقة كونية لا مراء فيها لا ينكرها إلا مكابر، إذ الذي يقوم بأعمال في منتهى الإتقان والكمال والانتظام يبدّل هذه العوالم السيارة المنشورة على حبل الزمان، يعقب بعضها بعضاً، كيف يشاء، في إطار يظهر منتهى الحكمة والعناية وفي منتهى القدرة والإتقان، ذلك أنّه قدير مطلق وحكيم مطلق وبصير مطلق وعليم مطلق، لا يمكن بحال من الأحوال أن تبدو منه المصادفة قطعاً، فذلكم الخالق الجليل يقول: [إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كُن فيكون] يس:82 [وما أمرُ الساعةِ إلاّ كلمحِ البصر أو هو أقرب] النحل:77.

يعلن قدرته المطلقة ويبين أنّ الحشر والقيامة بالنسبة لتلك القدرة هي في منتهى السهولة واليسر، وأنّ الأشياء كلّها مسخّرة لأوامره ومنقادة إليها كامل الانقياد، وأنّه يخلق الأشياء دون معالجة ولا مزاولة ولا مباشرة، ولأجل الإفادة عن السهولة المطلقة في إيجاد الأشياء، يقرر القرآن المبين أنّه سبحانه وتعالى يفعل ما يريد بمجرد الأمر.[2]

---

1 - انظر الكلمات 620

2 - انظر الكلمات216

2 - أساليب عرض القرآن الكريم لمسألة الحشر:

عرض القرآن الكريم مسألة الحشر بأساليب مختلفة، تقرر جميعها وبأدلة متضافرة أنّ إنكار الحشر مكابرة ظاهرة، من ذلك مثلا:

أ – بسط المقدّمات المنهجية لحجج قطعية:

بسط القرآن الكريم مقدّمات ليؤكّد للكفار أنّ عدم قبول الحشر مكابرة، لإنكارهم إياه كما ورد في مستهل الآيات، فيقول: أفلا تنظرون إلى السماء فوقكم كيف بنيناها، بناءً مهيباً منتظماً.. أولا ترون كيف زيّناها بالنجوم وبالشمس والقمر دون نقص أو فطور..؟ أولا ترون كيف بسطنا الأرض وفرشناها لكم بالحكمة، وثبّتنا فيها الجبال لتقيها من مّد البحار واستيلائها؟ أولا ترون أنّا خلقنا فيها أزواجاً جميلة متنوعة من كل جنس من الخضراوات والنباتات، وزيّنا بها إرجاء الأرض كافة؟ أولا ترون كيف أرُسلُ ماءً مباركاً من السماء فأُنبتُ به البساتين والزرع والثمرات اللذيذة من تمر ونحوه واجعله رزقاً لعبادي؟ أولا يرون أنّني أحيي الأرض الميتة، بذلك الماء. وآتي ألوفاً من الحشر الدنيوي. فكما أُخرج بقدرتي هذه النباتات من هذه الأرض الميتة، كذلك خروجكم يوم الحشر، إذ تموت الأرض في القيامة وتبعثون انتم أحياء. فأين ما أظهرته الآية في إثبات الحشر من

جزالة البيان - التي ما أشرنا إلا إلى واحدة من الألف منها - وأين الكلمات التي يسردها الناس لدعوى من الدعاوى؟.[1]

و هكذا يظهر جليا أنّ بسط المقدّمات في القرآن الكريم بطريقة واضحة بسيطة تهيّئ النفوس لقبول الحجج القطعية التي ساقها اللّه تعالى في كتابه الكريم،و الخلوص بهم إلى أنّ رفض تلك النتائج القطعية يرجع إلى مرض نفسي أو فكري دفعهم إلى المكابرة.

ب - تنويع الأدلة على الحشر:

إثباتا لحقيقة الحشر نوّع القرآن الكريم الأدلّة عليه، فقد جعلها مرتبة سهلة إلى درجة أنّ لها الملايين من الأمثلة في كل ربيع. إلاّ أن القرآن الكريم لأجل إثبات هذه المرتبة السهلة، يبيّن أحياناً قدرة قادرة على حشر جميع الذرات ونشرها، وأحياناً يبيّن آثار قدرة وحكمة تتمكن من إرسال المخلوقات كافة إلى الفناء والعدم ثم إعادتها من هناك.. ويبين في بعض آياته آثار وتدابير قدرة وحكمة لها من المقدرة على نثر النجوم وشق السماوات وفطرها. وتبيّن آيات أخرى تدابير قدرة وحكمة قادرة على إماتة جميع ذوي الحياة وبعثهم بصيحة واحدة، دفعة واحدة، ويبيّن في أخرى تجلّيات قدرة وحكمة قادرة على حشر ما على الأرض من ذوي الحياة، ونشره كل على انفراد. ويبيّن أحياناً آثار قدرة

---

1 - انظر الكلمات 502

وحكمة قادرة على بعثرة الأرض كلها ونسف الجبال وتبديلها إلى صورة أجمل منها. بمعنى أنّه مما سوى مرتبة الحشر الذي هو مفروض على الجميع الإيمان به ومعرفته، فإنّ كثيراً من مراتبه يمكن أن تتحقق بتلك القدرة والحكمة. فإذا ما اقتضت الحكمة الربانية قيامها، فلابدّ أنّه سيقيمها جميعاً مع حشر الإنسان ونشره، أو سيقيم بعضاً مهماً منها.[1]

ج- ربط فاعلية الإنسان في الحياة بالإيمان بالحشر:

ارتبطت فاعلية الحشر بربطه بعناصر ديمومة الحياة والحفاظ عليها، فقد جعل الشارع الانتفاع بالدنيا في اعتدال وتوسّط متناسبا بدرجة استحضار الحشر في مباشرة التعامل مع الدنيا بمكوّناتها المادية والمعنوية، وذلك بما نلحظه من " المعاني المقدسة المنبعثة من التجلي الأعظم للعدالة الكاملة والحكمة التامة في الحشر الأعظم في الدار الآخرة، "إذ يتجلى أثرها على الأحياء كافة فضلاً عن الجن والإنس.[2]

وتحقيقا لذلك المسعى يؤكّد أن الدنيا دار "الحكمة" والدار الآخرة هي دار "القدرة"، ولهذا فان إيجاد الأشياء في الدنيا صار بشيء من التدريج ومع الزمن. بمقتضى الحكمة الربانية وبموجب أغلب الأسماء الحسنى أمثال "الحكيم، المرتّب، المدبر، المربي". أما في الآخرة فان "القدرة" و"الرحمة"

---

1 - الكلمات735

2 - انظر الكلمات 746

تتظاهران أكثر من "الحكمة" فلا حاجة إلى المادة والمدة والزمن ولا إلى الانتظار. فالأشياء تنشأ هناك نشأة آنية. وما يشير إليه القرآن الكريم ب- [وَمَا أمْرُ السَّاعَةِ إلاّ كَلَمْحِ البَصَرِ أو هو اَقْرَبُ] (النحل:77)، هو أنّ ما ينشأ هنا من الأشياء في يوم واحد وفي سنة واحدة ينشأ في لمحة واحدة كلمح البصر في الآخرة.[1]

3 - تعدد أنواع أدلة إثبات الحشر:

أثبت القرآن الكريم حقيقة الحشر بأدلّة متنوّعة، منها:

أ - خطاب الإنكار على المشاغب والمعاند:

مخاطبة منكري الحشر بأسلوب إنكار، هدفه الإرشاد القوي إلى المطلوب، ورد ذلك عن الأستاذ في قوله:" تنكرون إذن النشأة الأخرى التي هي مثل هذا بل أهون منه؟.. ثم يشير ب- [اَلذى جَعَلَ لكم مِنَ الشَّجَرِ الاَخْ-ضَرِ نَاراً](يس:80) إلى تلك الآلاء وذلك الإحسان والإنعام الذي أنعمه الحق سبحانه على الإنسان، فالذي ينعم عليكم مثل هذه النعم، لن يترككم سدى ولا عبثاً، لتدخلوا القبر وتناموا دون قيام.. ثم إنّه يقول رمزاً:إنّكم ترون إحياء واخضرار الأشجار الميّتة، فكيف تستبعدون اكتساب العظام الشبيهة بالحطب للحياة ولا تقيسون عليها؟.. ثم هل يمكن أن يعجز مَن خلق السماوات والأرض عن إحياء الإنسان وإماتته وهو ثمرة السماوات والأرض، وهل يمكن لمن

1 - انظر الكلمات 122

يدير أمر الشجرة ويرعاها أن يهمل ثمرتها ويتركها للآخرين؟! فهل تظنون أن يُترك للعبث "شجرة الخلقة" التي عجنت جميع أجزائها بالحكمة، ويهمل ثمرتها ونتيجتها؟.. وهكذا فإنّ الذي سيحييكم في الحشر هو مَن بيده مقاليد السموات والأرض، وتخضع له الكائنات خضوع الجنود المطيعين لأمره فيسخرهم بأمر"كن فيكون" تسخيراً كاملاً.. ومَن عنده خلق الربيع يسير وهيّن كخلق زهرة واحدة، وإيجاد جميع الحيوانات سهل على قدرته كإيجاد ذبابة واحدة. فلا ولن يُسأل للتعجيز صاحب هذه القدرة: (مَنْ يُحيْى العِظَامَ)؟"[1]

ب - إثبات الحشر بأدلة النبوة:

تقرير الأستاذ النورسي لحقيقة الحشر المتضمنة في أدلة إثبات نبوة سيدنا محمد ρ، من ذلك قوله رحمه الله:" وهكذا فان الدلائل والحجج التي تثبت صدق القرآن الكريم بل جميع الكتب السماوية، وأنّ المعجزات والبراهين التي تثبت نبوة حبيب الله بل الأنبياء جميعهم، تثبت بدورها أهمّ ما يدعون إليه، وهو تحقق الآخرة وتدلّ عليها. كما أنّ أغلب الأدلّة والحجج الشاهدة على وجوب واجب الوجود ووحدته سبحانه، هي بدورها شاهدة على دار السعادة وعالم البقاء التي هي مدار الربوبية والألوهية وأعظم مظهر لهما، وهي شاهدة على وجود تلك الدار وانفتاح

---

1 - الكلمات124

أبوابها - كما سيُبين في المقامات الآتية - لأنّ وجوده سبحانه وتعالى، وصفاته الجليلة، وأغلب أسمائه الحسنى، وشؤونه الحكيمة، وأوصافه المقدسة أمثال الربوبية والألوهية والرحمة والعناية والحكمة والعدالة تقتضي جميعها الآخرة وتلازمها، بل تستلزم وجود عالم البقاء بدرجة الوجوب وتطلب الحشر والنشور للثواب والعقاب بدرجة الضرورة أيضاً."[1]، "نعم، ما دام الله موجوداً، وهو واحد، أزلي أبدي، فلابدّ أنّ محور سلطان ألوهيته وهو الآخرة، موجود أيضاً.. وما دامت الربوبية المطلقة تتجلى في هذه الكائنات ولاسيما في الأحياء وهي ذات جلال وعظمة وحكمة ورأفة ظاهرة واضحة، فلابد أنّ هناك سعادة أبدية تنفي عن الربوبية المطلقة أيّ ظن بكونها تترك الخلق هملاً دون ثواب، وتبرّئ الحكمة من العبث، وتصون الرأفة من الغدر. أي أنّ تلك الدار موجودة قطعاً ولابد من الدخول فيها."[2]

وقد يعبّر الأستاذ النورسي عن الحشر في رسائل النور بأساليب أخرى منها "الدلائل التي تثبت "الإيمان بالقدر"[3]، فهي بدورها دلائل على الحشر ونشر الصحف وموازنة الأعمال عند الميزان الأكبر، ذلك لأنّ ما نراه أمام أعيننا من تدوين مقدّرات كلّ شيء على ألواح النظام والميزان، وكتابة أحداث الحياة

---

1 - الكلمات 110

2 - الكلمات 110

3 - انظر رسالة القدر في الكلمة السادسة والعشرين

ووقائعها لكلّ ذي حياة في قواه الحافظة، وفي حبوبه ونواه، وفي سائر الألواح المثالية. وتثبيت دفاتر الأعمال لكلّ ذي روح ولاسيما الإنسان، وإقرارها في ألواح محفوظة.. كل هذا القدر من القَدَر المحيط، ومن التقدير الحكيم، ومن التدوين الدقيق، ومن الكتابة الأمينة، لا يمكن أن يكون إلاّ لأجل محكمة كبرى، ولنيل ثواب وعقاب دائمين. وإلاّ فلا يبقى مغزى ولا فائدة أبداً، لذلك التدوين المحيط والكتابة التي تسجل وتحفظ أدقّ الأمور. فيقع إذن ما هو خلاف الحكمة والحقيقة. أي إنْ لم يحدث الحشر فإنّ جميع معاني كتاب الكون الحقة التي كتبت بقلم القَدَر سوف تمسخ وتفسد! وهذا لا يمكن أن يكون مطلقاً، وليس له احتمال أبداً، بل هو محال في محال. كإنكار هذا الكون، بل هو هذيان ليس إلاّ."[1]

ويعدّ الحشر وفق ترتيب النورسي المقصد الرابع من المقاصد المشهورة "مسألة الحشر" وقد استفادها بالإضافة إلى ما سلف من نظم القرآن الكريم لعشرة براهين.

ج - براهين القرآن الكريم على المقصد الرابع"مسألة الحشر":

من خلال النظر في قوله تعالى:(وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يؤسس النورسي لمجموعة من البراهين المستفادة من الآية الكريمة،

---

1 - الكلمات 114.

فيصرّح رحمه الله بأنّه استفاد من نظم القرآن الكريم عشرة براهين، ذكرها في أكثر من موقع[1]

يقرر الأستاذ بديع الزمان في مطلع حديثه أنّ الحشر حق، تؤكّده مجموعة من الشواهد المتضافرة:

- إنّ في الكائنات نظاماً أكمل قصدياً.. وأنّ في الخلقة حكمة تامة.. وأنّ لا عبثية في العالم.. وأن لا إسراف في الفطرة.. والمزكّي لهؤلاء الشواهد الاستقراء التام بجميع الفنون التي كل منها شاهدُ صدق على نظام نوع موضوعه.. وأيضا إن في كثير من الأنواع مثل اليوم والسنة وغيرهما قيامة مكررة نوعية.. وأيضا جوهر استعداد البشر يرمز إلى الحشر.. وأيضا عدم تناهي آمال البشر وميوله يشير إليه.. وأيضا رحمة الصانع الحكيم تلوح به.. وأيضا لسان الرسول الصادق عليه السلام يصرّح به.. وأيضا بيان القرآن المعجز في أمثال[وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً]، [وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ] يشهد له. تلك عشرة كاملة، مفاتيح للسعادة الأبدية وأبواب لتلك الجنة، ينتقل بعدها إلى تفاصيل البراهين.

البرهان الأول: استصعاب فهم نظام العالم:

لو لم تجر الكائنات إلى السعادة الأبدية لصار ذلك النظام الذي أتقن فيه صانعُه إتقاناً حَيَّرَ فيه العقول صورةً ضعيفة خادعة،

---

2 - انظر هذه البراهين في رسالة "لاسيما" من المثنوى العربى النورى، والكلمتين العاشرة والتاسعة والعشرين.

وجميع المعنويات والروابط والنسب في النظام هباء منثوراً.فليس نظام ذلك النظام إلاّ اتصاله بالسعادة، أي أنّ النكت والمعنويات في ذلك النظام إنّما تتسنبل في عالم الآخرة، وإلاّ لانطفأ جميع المعنويات، وتقطّع مجموع الروابط، وتمزّق كل النسب، ويتفتت هذا النظام، مع أن القوّة المندمجة في النظام تنادي بأعلى صوتها: أن ليس من شأنها الانقضاض والانحلال.

البرهان الثاني:نظام الدنيا دليل السعادة الأبدية

تمثّل العناية الأزلية الحكمة التامة، التي هي رعاية المصالح والحِكَم في كل نوع، بل في كل جزئي - بشهادة كل الفنون - يبشر بقدوم السعادة الأبدية. وإلاّ لَزم إنكار هذه الحكم والفوائد التي أجبرتنا البداهةُ على الإقرار بها، إذ حينئذ تكون الفائدة لا فائدة.. والحكمة غير حكمة.. والمصلحة عدم مصلحة. وإن هذا إلاّ سفسطة.

البرهان الثالث:التناغم الجمالي والتوافق في الأدوار

يشهد الفن أيضا أنّ الصانع اختار في كل شيء الطريق الأقصر، والجهة الأقرب، والصورة الأخف والأحسن. فيدلّ على أن لا عبثية. و أنّ الأمر جدّي حقيقي. وما هو إلا بمجيء السعادة الأبدية. وإلاّ لتنـزل هذا الوجود منـزلة العدم الصرف. وتحول كل شيء عبثاً محضاً.. سبحانك ما خلقْتَ هذا عَبَثاً.

البرهان الرابع:التناغم بين المكوّنات في العالمين الصغير(الإنسان)والكبير(الكون)أي التساوق بين الآفاق و الأنفس:

يظهر فيها عدم إسراف في الفطرة بشهادة الفنون.فإنّ تقاصر ذِهْنُك عن إدراك حِكَم الإنسان الأكبر وهو "العالم" فأمعن النظر في العالم الأصغر وهو "الإنسان". فإنّ فن منافع الأعضاء قد شرح وأثبت أنّ في جسد الإنسان تقريبا ستمائة عظم كلّ لمنفعة.. وستة آلاف عصب هي مجارٍ للدم كلّ لفائدة.. ومائة وأربعة وعشرين ألف مسامة وكوّة للحجيرات التي تعمل في كل منها خمس قوى من الجاذبة والدافعة والممسكة والمصوّرة والمولّدة كل منها لمصلحة.وإذا كان العالَمُ الأصغر كذا فكيف يكون الإنسان الأكبر أنقصَ منه؟ وإذا كان الجسد الذي لا أهمية له بالنسبة إلى لبّه بتلك الدرجة من عدم الإسراف فكيف يُتصور إهمال جوهر الروح؟ وإسرافٌ كل آثاره من المعنويات والآمال والأفكار؟ إذ لولا السعادة الأبدية لتقلّصت كل المعنويات وصارت إسرافاً. فبالله عليك أيمكن في العقل أن يكون لك جوهرة قيمتها الدنيا، فتهتم بصدَفها وغلافها حتى لا تخلي أن يصل الغبار إليه، ثمّ تأخذ الجوهرة فتكسّرها شذراً مذراً وتمحو آثارها؟ كلا ثم كلا!

قيل لك: إنّ شخص الإنسان كنوع غيره، إذ نور الفكر أعطى لآمال البشر وروحه وُسْعة وانبساطاً بدرجة وسِعَت الأزمنة

الثلاثة، لو ابتلع الماضي والمستقبل مع الحال لم تمتلئ آماله، لأنّ نور الفكر صيّر ماهيته علوية، وقيمته عمومية، ونظره كلياً، وكماله غير محصور، ولذته دائمية، وألمه مستمراً.أمّا فرد النوع الآخر فماهيته جزئية، وقيمته شخصية، ونظره محدود، وكماله محصور، ولذته آنية، وألمه دفعيّ، فوجود نوع قيامة في الأنواع، كيف لا يشير بالقيامة الشخصية العمومية للإنسان؟

ما تهتم بالغلاف إلاّ لأجل ما فيه.. وأيضا إذا أفهمتك قوةُ البنية في شخص وصحة أعضائه واستعداده، استمرار بقائه وتكمله، أفلا تفهّمك الحقيقةُ الثابتة الجارية في روح الكائنات، والقوةُ الكاملة الموحية بالاستمرار في الانتظام، والكمال المنجر إلى التكمل في النظام: مجيء السعادة الأبدية من باب الحشر الجسماني؟ إذ هي المخلصة للانتظام عن الاختلال، والواسطة للتكمل وانكشاف تلك القوة المؤبدة.

البرهان الخامس: الحدس المرمز إلى القصد

إنّ وجود نوع قيامات مكررة نوعية في كثير من الأنواع يشير إلى القيامة العظمى وإن شئت تمثُّلَ الرمزِ في مثال، فانظر في ساعتك الأسبوعية، فكما أنّ فيها دواليب مختلفة دوارة متحرّكة محرّكة للإبر والأمْيال العادّة واحدة منها للثواني.وهي مقدمة ومخبرة لحركة إبرة الدقائق.وهي مُعدّة ومُعلنة لحركة ميل الساعات. وهي محصلة ومؤذنة لحركة الإبرة التي تعدّ أيام الأسبوع. فإتمام دورة السابقة يشير بأنّ أختها اللاحقة تتم دورها،

كذلك إن لله تعالى ساعة كبرى دواليبُها الأفلاكُ تعدّ أميالها الأيام والسنين وعمر البشر وبقاء الدنيا، نظير الثواني والدقائق والساعات والأيام في ساعتك. فمجيء الصبح بعد كل ليلة، والربيع بعد كل شتاء - بناء على حركة تلك الساعة - يشير إشارة خفية ويرمز رمزا دقيقا بتولد صبح ربيع الحشر من تلك الساعة الكبرى.

البرهان السادس: الملوّح من لا تناهي استعدادات البشر

فهو عدم تناهي استعدادات البشر. نعم إنّ تصورات البشر وأفكاره التي لا تتناهى، المتولدة من آماله غير المتناهية، الحاصلة من ميوله غير المضبوطة، الناشئة من قابلياته غير المحدودة، المستترة في استعداداته غير المحصورة، المزروعة في جوهر روحه الذي كرمه الله تعالى، كلّ منها يشير في ما وراء الحشر الجسماني بأصبع الشهادة إلى السعادة الأبدية وتمد نظرها إليه. فتأمل!

البرهان السابع: البشارة بالرحمة الأبدية والسعادة لا متناهية

و هو أنّ رحمة الرحمن الرحيم تبشر بقدوم أعظم الرحمة أعني السعادة الأبدية، إذ بها تصير الرحمة رحمة، والنعمة نعمة.وبها تخلص الكائنات من النياحات المرتفعة من المأتم العموميّ المتولد من الفراق الأبدي المصيّر للنعم نقماً.إذ لو لم يجئ روحُ النِعَم أعني السعادة الأبدية، لتحول جميع النعم نقما،

وللزم المكابرة في إنكار الرحمة الثابتة بشهادة عموم الكائنات بالبداهة وبالضرورة..

فيا أيّها الحبيب الشفيق العاشق! انظر إلى ألطف آثار رحمة الله، أعني المحبة والشفقة والعشق، ثم راجع وجدانك لكن بعد فرض تعقب الفراق الأبدي والهجران الأزلي عليها، كيف ترى الوجدان يستغيث.. والخيال يصرخ.. والروح يضجر من انقلاب تلك المحبة والشفقة - اللتين هما أحسن وألطف أنواع الرحمة والنعمة - أعظم مصيبة عليك واشد بلاء فيك؟ أ فيمكن في العقل أن تساعد تلك الرحمة الضرورية لهجوم الفراق الأبدي والهجران اللايزاليّ على المحبة والشفقة؟ لا! بل من شأن تلك الرحمة أن تسلّط الفراقَ الأبدي على الهجران الأزليّ، والهجران الأزلي على الفراق الأبدي والعدم عليهما.

البرهان الثامن: المصرّح بلسان النبي صلى الله عليه وسلّم:

لسان محمد عليه السلام الصادق المصدوق، ولقد فتح كلامه أبواب السعادة الأبدية، على أن إجماع الأنبياء من آدمهم إلى خاتمهم عليهم السلام على هذه الحقيقة حجة حقيقية قطعية على هذا المدعى. ولأمر مّا اتفقوا على حقيقة البشر و رافعوا و دافعوا عنها.

البرهان التاسع: إعجاز القرآن الكريم شاهد على الحشر:

إخبار القرآن المعجز، إذ التنـزيل المصدق إعجازه بسبعة أوجه في ثلاثة عشر عصرا دعواه عين برهانها. فإخباره كشاف للحشر الجسماني ومفتاح له.

البرهان العاشر:براهين متنوّعة وكثيرة على المقصود:

المشتمل على ألوف من البراهين التي تضمنها كثير من الآيات مثل [وَقَدْ خَلَقَكُمْ أطْواراً] المشير إلى "قياس تمثيلي". و[وَمَا رَبُّكَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبيد] المشير إلى "دليل عدليّ" وغيرهما. فلقد فتح القرآن في أكثر الآيات كُوّاتٍ ناظرة إلى الحشر.

أ - القياس التمثيلي المشار إليه بالآية الأولى:

انظر في وجود الإنسان فانه ينتقل من طور إلى طور.. من النطفة إلى العلقة.. ومنها إلى المضغة.. ومنها إلى العظم واللحم.. ومنه إلى الخلق الجديد. ولكلٍّ من تلك الأطوار قوانين مخصوصة، ونظامات معيّنة، وحركات مطّردة يشفّ كلٌّ منها عن قصدٍ وإرادةٍ واختيارٍ.. ثم تأمل في بقائه فإن هذا الوجود يجدد لباسه في كل سنة، ومن شأنه التحلل والتركب، أي انقضاض الحجيرات وتعميرها ببدل ما يتحلل من المادة اللطيفة الموزعة على نسبة مناسبة الأعضاء التي يحضرها صانعُها بقانون مخصوص. ثم تأمل في أطوار تلك المادة اللطيفة الحاملة لأرزاق الأجزاء. كيف تنتشر في أقطار البدن انتشاراً تحير فيه العقول. وكيف تنقسم بقانون التقسيم المعين على مقدار حاجات الأعضاء، بعد أن تلخصت تلك المادة بنظام ثابت، ودستور

معين، وحركة عجيبة من أربع مصفاتات، وانطبخت في أربعة مطابخ بعد أربعة انقلابات عجيبة، المأخوذة تلك المادة من القوت المحصل من المواليد المنتشرة في عالم العناصر بدستور منتظم، ونظام مخصوص، وقانون معين. وكل من القوانين والنظامات في تلك الأطوار يشف عن سائقٍ وقصدٍ وحكمةٍ.

كيف لا، ولو تأمّلت من قافلة تلك المادة اللطيفة في ذرة مثلا، مستترة في عنصر الهواء تصير بالآخرة جزءاً من سواد عين "الحبيب"، لعلمت أن تلك الذرة وهي في الهواء معيّنة كأنها موظفة مأمورة بالذهاب إلى مكانها الذي عيُنّ لها، إذ لو نظرت إليها بنظر فنيّ تيقنت أن ليست حركتها "اتفاقية عمياء" "بتصادف أعمى"، بل تلك الذرة ما دخلت في مرتبة إلا تبعت نظاماتها المخصوصة، وما تدرجت إلى طور إلا عملت بقوانينه المعينة، وما سافرت إلى طبقة إلا وهي تساق بحركة عجيبة منتظمة. فتمر على تلك الأطوار حتى تصل إلى موضعها. مع أنها لا تنحرف قطعا مقدار ذرة عن هدف مقصدها.

ويختم مجموع تلك البراهين بذكر محصّلة الكلام فيقول رحمه الله: " والحاصل: أن من تأمل في النشأة الأولى لم يبق له تردد في النشأة الأخرى، ولقد قال النبي عليه الصلاة والسلام (عجباً لمن يرى النشأة الأولى كيف ينكر النشأة الأخرى)([1]).نعم! كما أن

---

[1] -

جمعَ نفراتِ عسكرِ فرقةٍ أُذِنَ لهم بالاستراحة والانتشار إذا دعوا بالآلة المعروفة - فيتسللون عن كل طرف ومكمن، فيجتمعون متحدين تحت لوائهم - يكون أسهل وأسهل من جلبهم أول الأمر إلى الانتظام تحت السلاح، كذلك أن جمعَ الذرات التي حصلت بينها المؤانسة والمناسبة بالامتزاج في وجودٍ واحدٍ إذا نوديتْ بصُور اسرافيل فينساب الكل من كل فج عميق ملبِّية لأمر خالقها يكون أسهل وأمكن في العقل من إنشائها وتركيبها أول المرة.

أما بالنسبة إلى القدرة فأعظم الأشياء كأصغرها. ثم الظاهر أن المعاد يعاد بأجزائه الأصلية والفضولية معا. كما يشير إليه كبر أجسام أهل الحشر وكراهة قصّ الأظفار والاشعار ونحوها للجُنُب، وسنّية دفنها. والتحقيق: أن عجب الذنَب يكفي أن يكون بذراً ومادةً لتشكله.

ب - الدليل الذي لوح به (وما ربك بظلام للعبيد):

اعلم! أنّا كثيراً ما نرى الظالم الفاجر الغدّار في غاية التنعم، ويمرّ عمُره في غاية الطيب والراحة. ثم نرى المظلوم الفقير المتدين الحسن الخلق ينقضي عمره في غاية الزحمة والذلة والمظلومية، ثم يجئ الموتُ فيساوي بينهما. وهذه المساواة بلا نهاية تُري ظلماً. والعدالة والحكمة الإلهيتان اللتان شهدت عليهما الكائناتُ منـزهتان عن الظلم، فلابد من مجمعٍ آخر ليرى الأول جزاءه والثاني ثوابه فيتجلى العدالة الإلهية. وقس على هاتين الآيتين نظائرهما.

د - دلالة الحكمة على مقصد الحشر:

دلّ على الحشر حكمة تعدّد الغايات التي وضّحتها حاشية الحقيقة السادسة من رسالة الحشر[1]كما أنّ من أهمّ مظاهر الرحمة والحكمة أنّ توجد ديار غير هذه الديار، فيها محكمة كبرى، ودار عدالة عليا، ومقرٌّ كرم عظيم، لتظهر فيها العناية والعدالة بوضوح وجلاء [2]في الآخرة والدنيا، فتكون سبب في تحرير الإنسان ممّا يقلقه وينغّص عليه حياته، بالتفكير الدائم في مصيره، وكيفية دخوله القبر، مثلما انتهى إليه مصير أحبته وأقاربه. فتوهم الإنسان المسكين - الذي يضحي بروحه لأجل صديق عزيز - وتصوّره من أن آلافا بل ملايين الملايين من إخوانه البشر ينتهون إلى العدم بالموت - ذلك الفراق الأبدي الذي لا لقاء وراءه - سيذيقه هذا التصور ألما شديدا ينبئ بآلام جهنم. وحينما يتلوى هذا الإنسان من ألم ذلك العذاب الأليم النابع من ذلك التفكير، يأتي "الإيمان بالآخرة" فاتحا بصيرته، مزيلا الغشاوة عن عينيه، قائلا له: انظر.. فينظر بنور الإيمان، فإذا به يكسب لذة روحية عميقة تنبئ بلذة الجنة، بما يشاهد من نجاة أحبته وخلاصهم جميعا من الموت النهائي والفناء والبلى والاندثار، ومن بقائهم خالدين في عالم النور الأبدي منتظرين

---

1 - انظر المثنوي العربي 356

2 - انظر الكلمات 57

قدومه إليهم. نقتصر على هذا حيث وضحت رسائل النور هذه النتيجة مع حججها.[1]

هـ - مخاطبة الوجدان في إثبات المقصد الرابع(الحشر):

الترهيب والتهديد إثباتا وتأكيدا للحشر، أي أنّ اتقاء النار يفرض أنّكم إن كنتم صادقين تفعلوا المعارضة وتأتوا بسورةٍ لكن ما تفعلون ولن تفعلوا، فأنتج فلم تكونوا صادقين فكان خصمكم وهو النبيّ عليه السلام صادقا فالقرآن معجز، فوجب عليكم الإيمان به لتتقوا من العذاب... انظر كيف أوجز التنـزيل فاعجز. ثم انه ذكر موضع استثناء نقيض التالي وهو "لكن ما تفعلون" لفظ (إن لم تفعلوا) مشيراً بتشكيك "إن" إلى مجاراة ظنهم، وبالشرطية إلى استلزام نقيض التالي لنقيض المقدم. ثم ذكر موضع النتيجة وهي نقيض المقدم أعني فلم تكونوا صادقين علة لازم لازمها وهي قوله (فاتقوا النار) لتهويل الترهيب والتهديد.[2]

يؤكّد المقصد (الحشر) أنّ الإنسان هو مركز الخلقة، أي محور الرحى الذي يدور حوله العالم خدمة وتسخيرا، خدمه الكون في الجانبين المادي والمعنوي، فالمادي بجعل الكون شاملا لمجموع عناصر حياته المادية، والمعنوي بجعله درسا مستمرا وتذكيرا دائما بالآخرة، لهذا يعتبر إثبات الحشر قطعا لدابر

---

1 - انظر الشعاعات 278

2 -إشارات الإعجاز 189

التساؤل المتبادر في قولهم " ما أهمية البشر حتى تقوم القيامة لأجله ويخرب العالم لسعادته؟ فكأن هذه الجملة تجيبه ب- "إن من هُيِّئَ جميع ما في الأرض لاستفادته وسُخّر له الأنواع له أهمية عظيمة تشير إلى انه هو النتيجة للخلقة"."[1]

و - دور الإيمان بالحشر في تسلية القلوب وطمأنتها:

الإيمان بالحشر وفق التصوّر المؤسس على التوحيد المستصحب لمجموع المعطيات الإيمانية بأبعادها النفسية والاجتماعية لا تزعزعه الفتن لأنّه محصّن بحصن منيع [2]، بل إنّ التعلّق بالحشر يعطي لكل يوم من حياتك معنى وقيمة لا يمكن كسبها خارج التصوّر التوحيدي للكون والحياة، ذلك أنّه"يجعل "كلّ يوم من أيام العمر بما فيها التي تمضي في السجن، مكسبا لثواب عبادة عشرة أيام، ويمكن أن يحوّل ساعاته الفانية - من حيث النتيجة - إلى ساعات باقية خالدة.. بل يمكن أن يكون قضاء بضع سنين في السجن وسيلة نجاة من سجن أبدي لملايين السنين"، فتحوّلت الساعات الفانية إلى ساعات باقية بفعل استصحاب الآخرة في مزاولة الأفعال بصفة عامة ومنها المكوث في السجن.

إن للإيمان بالآخرة أبعادا كثيرة تتجلى نتائجها في جميع ميادين الفعل البشري، فتسلي القلوب وتضبط حركة العقول،

---

1 - انظر إشارات الإعجاز 227

2 - انظر الكلمات 60-99، وذيل رسالة الحشر102

فيولّد الإيمان بها محبّة دنيوية لغاية أخروية، وينال المحب بذلك "نتيجة أخروية للمحبة المشروعة المكللة بالشكر للّه، نحو الأطعمة اللذيذة والفواكه الطيبة في الدنيا، هي تلك الأطعمة والفواكه الطيبة اللائقة بالجنة الخالدة.. كما ينص عليه القرآن الكريم. هذه المحبة، محبة ذات اشتياق واشتهاء لتلك الجنة وفواكهها. حتى أنّ الفاكهة التي تأكلها في الدنيا وتذكر عليها " الحمد للّه " تتجسم في الجنة فاكهة خاصة بها وتقدّم إليك طيبة من طيبات الجنة. فأنت تأكل هنا فاكهة، وهناك " الحمد للّه " مجسمة في فاكهة من فواكه الجنة.. وحيث إنّك تقدم شكراً معنوياً لذيذاً برؤيتك الإنعام الإلهي والالتفات الرباني في الأطعمة والفواكه التي تتناولها هنا، فستسلم إليك هناك في الجنة أطعمة لذيذة وفواكه طيبة، كما هو ثابت في الحديث الشريف([1]) وبإشارات القرآن الكريم، وبمقتضى الحكمة الإلهية ورحمتها الواسعة."[(2)]

ويحبّب الله إلى الخلق الجنّة بما أعدّه لهم من نعيم لا حصر له حال الطاعة، فهو أهل" لحور العين المترفلات بسبعين حلّة من حلل الجنّة المتنوعة بأنواع لطائفها وزينتها، والمتجملات بسبعين نوعاً من أنواع الحسن والجمال حتى كأنهن جنة مجسمة مصغرة تنبض بالروح والحياة، لتقرّ بها عينُ النفس التي

---

1 -

2 - الكلمات 775

أطاعت الله وتهدأ بها المشاعر التي اطمأنت إلى أوامر الله.. فهذه النتيجة لا ريب فيها، إذ الآيات الكريمة تصرح بها يقيناً"[1] كل ذلك لمن آمن بالحشر وعمل لما بعد الموت.

إنّ الإيمان بالحشر يدفع العبثية ويبعث الحيوية في قلوب البشر وعقولهم وييسّر لهم الدافع الموضعي لفعل الخير والابتعاد عن الشر، ذلك أنّه لا يتصوّر أنّ الخالق ذي الجلال الذي أظهر سلطان ربوبيته بتدبير قانون الوجود ابتداء من الذرات وانتهاء بالمجرات، بغاية الحكمة والنظام وبمنتهى العدالة والميزان.. أن لا يعامل بالإحسان من احتموا بتلك الربوبية وانقادوا لتلك الحكمة والعدالة، وأن لا يجازي أولئك الذين عصوا بكفرهم وطغيانهم تلك الحكمة والعدالة؟.[2]

ويؤكّد تلك الحقيقة بأساليب متنوّعة، منها،أنّ الإنسان لا يلقى ما يستحقه من الثواب أو العقاب في هذه الحياة الفانية على وجه يليق بتلك الحكمة وتلك العدالة إلا نادراً، بل يؤخر، إذ يرحل اغلب أهل الضلالة دون أن يلقوا عقابهم، ويذهب أكثر أهل الهداية دون أن ينالوا ثوابهم.. فلابد أن تناط القضية بمحكمة عادلة، وبلقاءٍ آيل إلى سعادة عظمى. وذلك لا يتأتّى بغير الحشر ثم الحساب[3]، إنّه نظام متناغم مع الحقائق الكونية الجلية في أدق

---

1 - الكلمات 776

2 - الكلمات: 68

3 - انظر الكلمات: 68

مظاهر الكون المادية والمعنوية، وكون هذا شأنه لا يتصوّر أن يبقى الناس هملا من غير نيل ما يستحقون بما يوافق جهودهم، ولهذا قال النورسي:" أمن الممكن لمالك الملك ذي الجلال الذي أظهر في دار ضيافة الدنيا الفانية هذه، وفي ميدان الامتحان الزائل هذا، وفي معرض الأرض المتبدل هذا، هذا القدر من آثار الحكمة الباهرة، وهذا المدى من آثار العناية الظاهرة، وهذه الدرجة من آثار العدالة القاهرة، وهذا الحد من آثار الرحمة الواسعة! ثم لا ينشئ في عالم ملكه وملكوته مساكن دائمة، وسكنة خالدين، ومقامات باقية،ومخلوقات مقيمين.فتذهب هباءاً "(1)

رابعا:المقصد الرابع : العدالة والعبودية

اعتبر النورسي العدالة مقصدا أساسيا من مقاصد القرآن الكريم ومن ثم عدّها من عمد مقاصد رسائل النور، اعتنى الأستاذ بهذا المقصد و حاول بيان مختلف وجوه حضوره في المقاصد الأخرى،لهذا يستدعي البحث جهدا تركيبيا،يتتبّع الإشارات المندمجة فيها لنخلص إلى تقرير نظرة إجمالية عن هذا المقصد.

---

1 - الكلمات 88

يؤكّد بديع الزمان في النص المؤسس لمقاصد القرآن من خلال رسائل النور أنّ العدالة والعبودية مقصد من المقاصد الأربعة الأساسية للقرآن الكريم[1]

وأكّد تلك المعاني بتقرير حقيقة ناصعة مفادها أنّ العدالة الحقة مطلب طلاّب النور وهدفهم المنشود في التأسيس النظري للرؤية الكونية التوحيدية من جهة وغاية تصرّفاتهم الاجتماعية من جهة أخرى، يظهر هذا الحكم في مقام رده على الذين رموا أهل الإيمان بالرجعية، فيقول رجمه الله:"إنّ لطلاب القرآن وخدّامه إزاء هذه المظالم الفظيعة لهذه الرجعية الوحشية مئات من قوانين القرآن الأساسية من أمثال(ولاَ تزر وازرة وزر أخرى)[2] التي تحقق العدالة الحقة والاتحاد والأخوة. فإطلاق الرجعية على أهل الإيمان الذين يحققون العدل والأخوة، واتهامهم بذلك يشبه... ترجيح محاكم التفتيش على عدالة القرآن الكريم العظيمة.[3]

وأسس تلك العدالة والانتظام إنّما نشأ بتذكير أهل الدين وإرشاداتهم. فأسس العدالة والفضيلة شيّدها الأنبياء عليهم السلام. أي إنّ الأنبياء هم الذين أرسوا تلك القواعد والأسس، وهم الذين جعل الله لهم الفضل في إشباع حاجة الإنسان الضرورية للعدالة،

---

1 - انظر المثنوي العربي النوري 75

2 - الأنعام:164

3 - الملاحق 374

ذلك أنّ الإنسان محتاج إلى نبي يمسك بميزان العدالة الإلهية النافذة والمؤثرة في الوجدان والطبائع[1]

1 - مختلف مظاهر العدالة:

يمكن أن ينظر إلى العدالة من منظور رسائل النور من زوايا مختلفة متنوّعة، بعضها يقسّمها إلى إيجابية وتقابلها سلبية ، وأخرى يمكن أن نقسّمها إلى عدالة منظورة وعدالة مسطورة، ثالثة تقسّمها إلى محضة وإضافية.

أ - القسمة الأولى: الإيجابية والسلبية

يذكر الأستاذ أنّ للعدالة شقين أحدهما إيجابي والآخر سلبي

- القسم الإيجابي:

ويكمن في إعطاء كلّ ذي حق حقه. فهذا القسم من العدالة محيط وشامل لكلّ ما في هذه الدنيا لدرجة البداهة.يظهر هذا القسم بأنّ ما يطلبه كلّ شيء وما هو ضروري لوجوده وإدامة حياته التي يطلبها بلسان استعداده وبلغة حاجاته الفطرية وبلسان اضطراره من الفاطر ذي الجلال يأتيه بميزان خاص دقيق، وبمعايير ومقاييس معينة، أي أنّ هذا القسم من العدالة ظاهر ظهور الوجود والحياة.

- القسم السلبي:

---

1 - انظر صيقل الإسلام 139

تأديب غير المحقين، أي إحقاق الحق بإنـزال الجزاء والعذاب عليهم. فهذا القسم وإن كان لا يظهر بجلاء في هذه الدنيا إلاّ أنّ هنالك إشارات وأمارات تدلّ على هذه الحقيقة.خذ مثلاً سوطَ العذاب وصفعات التأديب التي نـزلت بقوم عاد وثمود بل بالأقوام المتمرّدة في عصرنا هذا، مما يظهر للحدس القطعي هيمنة العدالة السامية وسيادتها.[1]

ب - القسمة الثانية: العدالة المحضة والعدالة الإضافية

- النوع الأول : العدالة المحضة

أستفيد هذا النوع من العدالة من منطوق القرآن الكريم، إذ تفيد الآي-ة الكريمة: [وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى] الأنعام 164، تفيد العدالة المحضة، أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة غيره، ويستغل الأستاذ الفرصة للتذكير بخطورة العزوف عن تلك العدالة المطلوبة، فيؤكّد في مطلع الحديث على أنّ القرآن الكريم ومصادر الشريعة الأخرى وآداب أهل الحقيقة والحكمة الإسلامية كلّها تنبهك إلى وجوب التعامل بعدل من هنا كان إضمار العداء للمؤمن والحقد عليه ظلم عظيم، لأنّه إدانة لجميع الصفات البريئة التي يتصف بها المؤمن بجريرة صفة جانية فيه.والأشنع أن يمتد العداء إلى أقاربه وذويه بسبب صفة تمتعض منها، فهو ظلم أعظم، كما وصفه القرآن الكريم بالصيغة المبالغة:

---

1 - انظر المكلمات 91(الهامش)

[إنَّ الإنسان لَظَلُومٌ] (إبراهيم: 34)، إنّ عداء المؤمن ظل-م مبين، من حي-ث الحي-اة الشخصية.وبأسلوب تربوي يسترعي الانتباه والتنويه، يلفت الأستاذ النظر إلى دساتير تؤكّد ذلك التفسير والتعليل، يستشف هذا في عبارته:" فإن شئت فاستمع إلى بضعة دساتير هي أساس هذا الوجه من التفسير والتعليل، وبهذا يقرر بعدا تربويا للعدالة المحضة، ذلك البعد الذي له أثر عظيم على المضامين المنهجية والاجتماعية والأخلاقية بصفة عامة[1].

ومن تلك المضامين أنّ العدالة المحضة المستمدة من القرآن الكريم، لا تضحي بحياة برئ واحد، ولا تهدر دمه لأي شيء كان، لا في سبيل الأكثرية، ولا لأجل البشرية قاطبة.إذ الآية الكريمة [مَن قَتَل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قَتَل الناسَ جميعاً] (المائدة: 32) تضع سرّين عظيمين أمام نظر الإنسان:

- السر الأول: العدالة المحضة، ذلك الدستور العظيم الذي ينظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة، فهم سواء في نظر العدالة الإلهية مثلما أنهم سواء في نظر القدرة الإلهية. وهذه سنة دائمة. إلاّ أنّ الشخص يستطيع - برغبة من نفسه - أن يضحي بنفسه، من دون أن يُضحّي به قطعاً، حتى في سبيل الناس جميعاً.لأن إزهاق حياته وإزالة عصمته وهدر دمه

1 - انظر المكتوبات 339 - 350

بإبطال حق الناس جميعاً شبيه بإزالة عصمتهم جميعاً وهدر دمائهم جميعاً.

- السر الثاني: هو لو قتل مغرورٌ بريئاً دون ورع، تحقيقاً لحرصه وإشباعاً لنـزواته وهوى رغباته، فإنّه مستعد لتدمير العالم والجنس البشري إن استطاع.[1]

- النوع الثاني: العدالة الإضافية

عرّف بديع الزمان العدالة الإضافية بالمثال، فقال رحمه الله: " هي أنّ الجزء يضحى به لأجل سلامة الجميع، فهذه العدالة لا تأخذ حق الفرد بنظر الاعتبار لأجل الجماعة، وإنّما تحاول القيام بنوع من عدالة إضافية من حيث الشر الأهون.

ولا يصار إلى العدالة الإضافية إلا إذا كانت العدالة المحضة غير قابلة للتطبيق، لهذا إذا صار إليها في حال إمكان تطبيق العدالة المحضة وقع الظلم".([2])

ويواصل الأستاذ أسلوبه المرتكز على التمثيل، فيذكر في سياق توضيح الفرق بين العدالة المحضة والعدالة الإضافية مثالا مفاده ما يأتي:

إنّ حق الشخص البريء الواحد لا يبطل لأجل الناس جميعاً، أي أنّ حقه محفوظ، وهذا المعنى هو الذي تشير إليه الآية الكريمة [مَنْ قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل

---

2 - الكلمات 862

[2] - المكتوبات

الناس جميعاً] (المائدة: 32) فلا يُضحى بفردٍ واحد لأجل الحفاظ على سلامةٍ الجميع، إذ الحق هو حق ضمن إطار الرحمة الإلهية، فلا يُنظر إلى كونه صغيراً أو كبيراً، لذا لا يُفدى بالصغير لأجل الكبير، ولا بحياة فرد وحقه لأجل سلامة جماعة والحفاظ عليها، إن لم يكن له رضا في الأمر.أما إذا كانت التضحية برضاه ورغبة منه فهي مسألة أخرى.

لهذا فالعدالة الإضافية تفدي بالجزء لأجل الكل بشرط أن يكون لذلك الجزء المختار الرضا والاختيار صراحة أو ضمناً، إذ عندما يتحول " أنا " الإفراد إلى " نحن" الجماعة ويمتزج البعض بالبعض الآخر مولداً روح الجماعة، يرضى الفرد أن يضحي بنفسه للكل.[1]

ج ـ القسمة الثالثة:العدالة المنظورة والعدالة المسطورة

يتجلى في الكون عدالة مطلقة إنّها عدالة جارية في الكون وهي نابعة من التجلي الأعظم لاسم "العدل" إنّما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمر البشرية بإقامة العدل[2]، ويعرف الأول في سياق هذه الفقرة بالعادلة المنظورة بينما يعرف الثاني بالعدالة المسطورة أي التي أخبر بها الأنبياء عليهم السلام ولاسيما خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

ـ النوع الأول: العدالة المنظورة

---

1 - انظر صيقل الإسلام 337

2 - انظر اللمعات 526

الناظر ببصيرة إلى الكون في عناصر المادية والمعنوية يحكم دون تردد بأنّ في الكون عدالة مطلقة، تلك العدالة هي سنن الله الجارية في الكون، وهي دستور إلهي شامل تدور رحى الموجودات عليه لا يفلت منها شيء[1]، إنّها عدالة مطلقة كلّ عضو من الكائن الحي في موضعه اللائق به، وتنسقه بموازين دقيقة حساسة - ابتداء من ميكروب صغير إلى كركدن ضخم، ومن نحل ضعيف إلى نسر مهيب، ومن زهرة لطيفة إلى ربيع زاهٍ بملايين من الأزهار.. وتراها تمنح كل عضو تناسقا لا عبث فيه، وموازنة لا نقص فيها، وانتظاماً لا ترى فيه إلاّ الإبداع، كل ذلك ضمن جمال زاهر وحسن باهر حتى تغدو المخلوقات نماذج مجسمة للإبداع والإتقان والجمال والعدالة... [2]

ومن تلك المخلوقات التي تمثّل الأمر الإلهي السماوات والأرض، إذ تبيّن أنّها كالجنود المرابطين في معسكرين،، كما أنهم يهرعون إلي أخذ مواقعهم وتسلم أسلحتهم بدعوة من القائد وبنفخة من بوق، كذلك السماوات والأرض... بل نرى هذه العظمة والطاعة في كل ربيع إذ يُحشَر ما في معسكر الأرض من جنود وينشَرون بنفخة من بوق مَلَك الرعد.. فبناء على التحقيقات السابقة، لابد أن تلك الرحمة والحكمة والعناية والعدالة

---

1 - انظر اللمعات 525

2 -

والسلطنة السرمدية ستحقق أبعادها وغاياتها في هذه الدنيا ولها امتداد في دار أخرى(1)، نبيّن حقيقتها في العدالة المسطورة.

- النوع الثاني:العدالة المسطورة

العدالة المسطورة التي جاء بها النبي ρ تهب لكل ذي حياة حق الحياة، وتنصّب له موازين عدالة فائقة، فجزاء الحسنة حسنة مثلها، وجزاء السيئة سي-ئة مثلها.. وفي الوقت نفسه تُشعر قوتها وسرمديتها، بما تنـزل من عذاب مدمر على الطغاة والظالمين منذ عهد آدم عليه السلام.فكما لا تكون الشمس دون نهار، فتلك الحكمة الأزلية، وتلك العدالة السرمدية لن تتحققا تحققاً كلياً إلاّ بحياة أخرى خالدة لذا لن ترضيا أبداً ولن تساعدا بحال من الأحوال على نهاية لا عدالة فيها ولا حكمة ولا إحقاق حق، تلك هي الموت الذي لا بعث بعده، والذي يتساوى فيه الظالمون العتاة مع المظلومين البائسين، فلابد إذن أن تكون وراءه حياة أخرى خالدة كي تستكمل الحكمة والعدالة حقيقتهما. [2]

أي أنّها تقتضي الحشر بالضرورة، إذ لاشك في مجيء الآخرة، بل إنّ عدم مجيئها محال في ألف محال، حيث إنّ عدمها يعني:

تبدلّ " الرحمة" التي هي في منتهى الجمال قسوة في منتهى البشاعة.

---

1 - الشعاعات 268

2 -

تحوّل كمال " الحكمة " إلى نقص العبث القاصر وغاية الإسراف.

انقلاب " العناية "التي هي في منتهى الحسن واللطف إلى إهانة في منتهى القبح والمرارة.

تغيّر " العدالة" التي هي في منتهى الإنصاف والحق إلى ظلمات في أشد القسوة والبطلان.

زد على ذلك فإنّ عدم مجيء الآخرة يعني أيضا سقوط هيبة السلطنة السرمدية العزيزة وبوار أبهتها وقوتها.

اتهام كمال الربوبية بالعجز والقصور..

وكل ما سبق ذكره باطل ومحال لا يقبله عقل أي إنسان مهما كان، وهو الممتنع والخارج عن دائرة الإمكان، لأنّ كل ذي شعور يعلم أن الله سبحانه قد خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، ورباه أحسن تربية، وزوّده من الأجهزة والأعضاء - كالعقل والقلب - ما يتطلع به إلى السعادة الأبدية ويسوقه نحوها، ويدرك كذلك مدى الظلم والقسوة إذا ما انتهى مصير هذا الإنسان المكرم إلى العدم الأبدي، ويفهم كذلك مدى البُعد عن الحكمة في عدم البعث الذي يجعل جميع الأجهزة والقوى الفطرية - التي لها آلاف المصالح والفوائد دون جدوى ودون قيمة[1]

- تناغم وتوافق المنظور و المسطور من العدالة:

---

1 - انظر الشعاعات 268

يتخيّل بعض الناس أنه ليس للعدالة الكونية الضامنة لسير الكون وفاعليته صلة بالعدالة المسطورة التي أخبر النبي ρ بها، وخاصة في جانبها العقدي، فضلا عن الجوانب التشريعية البحت.

إنّ للعدالة المنظورة أثر عظيم في طلب العدالة المسطورة، ذلك أنّ صدى الحرية والعدالة المتجلية في الكون تبعث الحياة في مشاعرنا المدنية وآمالنا الخامدة ورغباتنا الرفيعة وأخلاقنا الإسلامية الحميدة، حتى كأن الكرة الأرضية وما فيها مجذوبة جذبة المولوي (مولانا جلال الدين الرومي) بفعل تلك العدالة التي يتعدى مفعولها إلى الأمة فتهيّجها جميعا ويهزّها هزّ المجذوب [1] على تمثّل العدالة والسير وفق سنن خالقها فيها، من هنا كان التوافق جليا بين مظهر العدالة المنظورة والمسطورة.

فمثلا إن وجود جهنم وعذابها الشديد لا ينافي قطعاً العدالة الحقيقية، ولا الحكمة الموزونة التي لا إسراف فيها، ذلك أنّ العدالة في حقيقة الأمر لا تتجزّأ، لها تجلّياتها في الآيات المنظورة والآيات المسطورة، لهذا فإنّ الرحمة والعدالة والحكمة تتطلّب وجود جهنم وتقتضيه، لأنّ قتل حيوان افترس مائة من الحيوانات أو إنـزال عقاب بظالم هتك حرمات ألفٍ من الأبرياء، هو رحمة بآلاف الأضعاف للمظلومين من خلال العدالة. وإنّ

1 - انظر صيقل الإسلام 466

إعفاء ذلك الظالم من العقاب أو التجاوز عنه، وترك ذلك الحيوان الوحشي طليقا، فيه ظلم شنيع وعدم رحمةٍ لمئات المساكين بمئات الأضعاف، إزاء رحمة في غير موضعها.ومثل هذا أيضا، الكافر المطلق - الذي يدخل سجن جهنم - فإنّه بكفره ينكر حقوق الأسماء الإلهية الحسنى، أي يتعدى على تلك الحقوق.. وبتكذيبه لشهادة الموجودات - الشاهدة على تلك الأسماء - يتعدى على حقوقها أيضا.. وبإنكاره للوظائف السامية للمخلوقات - وهي تسبيحاتها تجاه الأسماء - يتجاوز على حقوقها..

ومن مظاهر التفاعل الإيجابي مع العدالة الاستجابة لنداء العبودية المنسجم مع عبادات سائر المخلوقات، لهذا كان جحود أنواع العبادات التي تؤديها المخلوقات تجاه تظاهر الربوبية والألوهية - وهي غاية خلقتها وسبب من أسباب وجودها وبقائها - تعديا صارخا على حقوق جميع المخلوقات، لذا فالكفر جناية عظيمة وظلم شنيع تتجاوز بشاعته كل حدود العفو والمغفرة، فيحق عليه إذن تهديد الآية الكريمة: [إن الله لا يغفر أن يُشرَكَ به..] (النساء: 48)، بل إنّ عدم إلقاء مثل هذا الشخص في جهنم رحمةً به هو أمر ينافي الرحمة منافاة كلية في حق هذه الأعداد الهائلة من المخلوقات والكائنات التي أُنتهكت حقوقها.

وهكذا مثلما يطالب أصحاب الدعاوى بوجود جهنم، فإن عزة جلال الله وعظمة كماله سبحانه تطلبانها قطعا.

نعم، إذا قال سفيه أو شقي عاص لحاكم عزيز للبلاد:" إنّك لا تستطيع أن تقذفني في السجن ولن تقدر على ذلك أبدا ". متجاوزاً حده ومتعدّيا على عزّة ذلك الحاكم وعظمته، فلابدّ أن ذلك الحاكم سينشئ سجنا لذلك السفيه المتعدي حتى لو لم يكن هناك سجن في البلاد. كذلك الأمر في الكافر المطلق، فإنّه بكفره يتعدى بشدّة على عزّة جلاله سبحانه، وبإنكاره يتحدّى عظمة قدرته، وبتجاوزه يمسّ كمال ربوبيته، فإن لم يكن هناك حتى تلك الأسباب الموجبة وتلك المبررات الكثيرة والحكم العديدة والوظائف الكثيرة لجهنم ولوجودها، فإن خلق جهنم لمثل هؤلاء الكفار وإلقاءهم فيها هو من شأن تلك العزة وذلك الجلال.

2 - العدالة والعبودية في العقائد

نحاول من خلال هذه الفقرة التأكيد على الربط بين العدالة والعبودية في فكر بديع الزمان، وتأكيدا لربط فكرة العدالة بالعبودية يذكر الأستاذ المسألة موضحّا من خلال حديثه المسهب –وظيفيا- عن الكفر، فيقول-رحمه الله-:"ثم إن ماهية الكفر نفسها توحي بجهنم، إذ كما أن ماهية الإيمان إذا تجسمت يمكن أن تبني بلذائذها ونعيم جمالها جنة خاصة في وجدان الإنسان وقلبه، هي جنة مصغرة تومئ وتخبر عن جنة الخلد التي تنتظره في الآخرة، كذلك الكفر - ولاسيما الكفر المطلق - والنفاق والردة فيه من الآلام والعذاب والظلمات المرعبة بحيث لو تجسمت

وتأصلت في نفس صاحبها كونت له جهنمه الخاصة به [1]، وفي ذلك أظهر الأسس الفكرية المؤسسة والمؤصّلة للعدالة التي هي التوافق مع سنن الله في الخلق، ومن ثمّ كان تمثّلها في جانبها المسطور إضافة إلى المنظور مسلكا مؤسسا لعدالة القوانين المعبّرة عن الأمّة وتذكارها وتجلّ من تجليات الله سبحانه وتعالى[2].

3 - العدالة وحضورها في مختلف مضامين المقاصد:

تعدّ العدالة دليلا مؤسسا للتوحيد والرسالة والنبوة والحشر، وهي في ذات الوقت مظهر من مظاهر المقاصد الثلاثة الآنفة الذكر (التوحيد، النبوة، الحشر)، من هنا كان للعدالة تجليات في المقاصد أولا وفي الآفاق والأنفس ثانيا، و في ذكر تلك التجليات أظهر برهان و أسطعه.

أ - العدالة والمقصد الأول(التوحيد):

يتناول التأسيس للتوحيد من خلال العدالة من زاويتي الوجود والعدم، فالأولى فعل إيجابي من شأنه أن يتولى بيان العناصر التي تقيم أصله وتحافظ على حضوره، والثانية فعل سلبي من مهامه الأساسية صد العناصر التي من شأنها التشويش على التوحيد أو تأخير تمكينه من القلوب والعقول.

- العدالة ودورها في التمكين للتوحيد من جانب الوجود:

---

1 - انظر الشعاعات 287 - 288

2 - انظر السيرة الذاتية 338

التمكين للتوحيد نظر في كثير من صوره إلى العدالة المتجلية في الكون والمتدلية كالثمار المقتطفة من شجرة الحياة، تظهر العدالة كفعل مؤسس للتوحيد في رسائل النور، إذ تمثّل جزء من مظاهر الربوبية، وهي مبنى جريان الكون وحمايته وديمومته وسريان فوائده المنتظرة في صالح الإنسان أو الأشياء، وفي كل ذلك أكبر براهين وأدلّة التوحيد.

التوحيد الذي نشاهد براهينه الساطعة القاطعة في العدالة المبثوثة في هذا الكون، تلك العدالة التي تعبّر عن عادة الربوبية الجارية في الكون[1]

يقول الأستاذ في تأكيد تلك المعاني:" إنّنا نشاهد بأعيننا في هذا الكون أنّ من عادة الربوبية الجارية في كل آن بالعدالة والحكمة والعناية، حماية الأبرار وتأديب الكذابين الفاسدين نشاهدها ضمن تصرّفاته المنتظمة جل جلاله"[2]

يعدّ النظام المبثوث في الكون أكبر دليل مؤسس للتوحيد، ومبنى ذلك النظام العدالة وهي بدورها أكبر دليل على إثبات المراد، فهي تمثّل بالنسبة للتوحيد حجّة ودليلا ومطلبا ومقصدا في ذات الوقت، يتجلى هذا الأمر في " أنّ الحاكم الحكيم والعليم الرحيم الذي كتب هذا الكون بشكل كتاب، حتى سجّل تاريخ حياة كلّ شجرة في كلّ بذر من بذورها، ودوّن وظائف حياة كل عشب

---

1 - انظر الشعاعات 667

2 - الشعاعات 667

ومهام كلّ زهر في جميع نواها. وكتّب جميع حوادث الحياة لكلّ ذي شعور في قواه الحافظة الصغيرة كحبّة الخردل.واحتفظ بكلّ عمل في ملكه كافة وبكل حادثة في دوائر سلطنته بالتقاط صورها المتعددة، والذي خلق الجنة والنار والصراط والميزان الأكبر لأجل تجليات وتحقق العدالة والحكمة والرحمة التي هي أهم أساس للربوبية.."[1]

والشواهد على إثبات تلك الحقيقة وتثبيتها أكبر من أن تحصى، بحيث تبلغ حد الكثرة الكاثرة من المشاهد السارية على العوالم السيّارة المتجددة[2]

نرى في العالم عدالة تجليها حكمة عامة عالية، بشهادات رعاية المصالح والفوائد في كل شيء، وبدلالات الانتظامات والاهتمامات وحسن الصنعة في جميع المخلوقات، فهذه الحكمة الحاكمة في سلطنة الربوبية، تقتضي تلطيف المطيعين الملتجئين إلى جناحها.. كما تدل شهادات وضعه كل شيء في الموضع اللائق، وإعطاء كلّ ذي حق حقه الذي يستعد له، وإسعاف كل ذي حاجة حاجته التي يطلبها - لوجوده أو حفظ بقائه - وإجابة كل ذي سؤال سؤاله. وبالخاصة: إذا سئل بلسان الاستعداد أو بلسان الاحتياج الفطري أو بلسان الاضطرار.. فهذه العدالة تقتضي محافظة حشمة مالكيته، وربوبيته، بمحافظة حقوق عباده في

---

1 - الشعاعات 299

2 - انظر الشعاعات 313

محكمة كبرى، مع أن هذه الدار الفانية أقل وأحقر وأضيق وأصغر من أن تكون مظهراً لحقيقة تلك العدالة، فلابد حينئذ لهذا الملك العادل والرب الحكيم ذي الجمال الجليل والجلال الجميل من جنة باقية وجهنم دائمة.[1]

- العدالة ودورها في صيانة التوحيد من جانب العدم:

النظر إلى العدالة من زاوية دورها في صد العناصر الملوّثة للبيئة الفطرية السليمة، يؤكّد أنّ لها منـزلة عظيمة في صيانة الإيمان من كلّ ما من شأنه أن يعدمه أو يضيّع وظيفته الاجتماعية، في إطار هذه الملاحظة يمكن أن نستوعب اهتمام الأستاذ النورسي بمقارعة الكفر والتنبيه إلى خطورته الفكرية والتربوية والحضارية، فسعى جاهدا إلى المرافعة عن التوحيد من خلال المرافعة عن الإيمان، وذلك بصد مؤامرات الكفر والإلحاد، وبهذا الصدد ينبّه بديع الزمان في أسلوب واضح إلى خطورة ذلك النوع من الأفكار من جهة، ويلخّص في ذات الوقت مهمّته الأساسية في حماية الإيمان من شيوع الكفر من جهة أخرى، فيقول - رحمه الله -:"رسائل النور ...تقوم بتحطيم الكفر المطلق - الذي أسفله الفوضى(مظهر ضياع العدالة) وأعلاه الاستبداد المطلق(مظهر تضييع العدل) - وتفتيته وردّه على أعقابه.وأكبر برهان على ذلك هو رسالة "الثمرة" التي هي

---

1 - المثنوي العربي النوري 91

بمثابة دليل واحد من بين مائة حجة ودليل على أنّ رسائل النور تسعى لتأسيس الأمن والنظام والحرية والعدالة..[1]

ب- العدالة و المقصد الثاني(النبوة و الرسالة) :

- العدالة والنبوة:

النبي محمد ρ دال على الله معرّف بتوحيده، برهن على تلك الحقائق بحجج موافقة لأحكام العقول الفطرية، كما يدلّ على ذلك بما جاء به من أحكام موافقة للفطرة السليمة تضمّنتها رسالته التي كلّف بتبليغها عن الله، ليس هذا فحسب، بل يعدّ أظهر حجج العدالة الإلهية في الأرض سواء بتصرّفاته أو بمقتضى ما جاء به من قواعد وأصول وأوامر ونواهي، لهذا فهو كنبي حجّة، كما أنّ رسالتها نفسها حجّة إضافية .

من مظاهر تلك العدالة وبمقتضى أفعال الله الرحمانية أنـزل القرآن المعجز البيان على محمّد ρ.. وإظهار أنواع المعجزات الكثيرة البالغة نحو ألف معجزة على يديه.. وحمايته له تحت جناح رأفته الشفيقة في كل حالاته، بل في أخطر أوضاعه حتى حمايته بالحمام والعنكبوت.. وتوفيقه توفيقاً معززاً في مهامه.. وإدامة دينه بجميع حقائقه.. وتتويج هامة الأرض والبشرية بإسلامه.. وإعلاء مقامه وشرفه إلى أرفع مقام وأشرفه.. وتفضيله على الموجودات كافة بمنحه مقاماً مرضياً مقبولاً ودائماً يفوق

---

1 - انظر الشعاعات 334

أفاضل الإنسانية.. وإعطائه شخصية تحمل أجمل الخصال الحميدة الرفيعة باتفاق الأولياء والأعداء حتى جعل خمس البشرية من أمّته.. كل ذلك يشهد شهادة صادقة قاطعة على صدقه ρ ورسالته.[1]وكلّ ذلك شاهد على أنّه نبي العدالة حمّل رسالة عدالة توافقها عدالة المظاهر الكونية، فتكاملت شهاداتان في العدالة المطلقة.

- العدالة والرسالة:

تدلّ أفعال ربوبيته جلّ جلاله على أنّه متصرّف هذا العالم ومدبّر شؤونه، كما تدلّ أيضا على أنّه جعل رسالة محمد ρ شمساً معنوية للكون، ...بدّد بها جميع الظلمات، مظهراً بها حقائق الكون النورانية.. وأبهج ذوى الشعور قاطبة بل الكون بأسره ببشارة الحياة الباقية.. وجعل دينه أيضاً فهرس كمالات جميع عباده المقبولين، ومنهجاً قويماً لأفعال العبودية.. وجعل الحقيقة المحمدية وهي شخصيته المعنوية مرآة جامعة لتجليات ألوهيته بدلالة القرآن الكريم.. بل جعله ينال - علاوة على الحقائق من أمثال حسنات أمته كافة في كل يوم طوال أربعة عشر قرناً.. وبعثه إلى البشرية وأناط به وظائف جليلة سامية.. وجعله أحسن قدوة وأعظم مرشد وأكرم سيّدٍ للبشرية قاطبة، بدلالة آثاره في الحياة الاجتماعية والمعنوية والبشرية، وجعل البشرية محتاجة

---

1 - الشعاعات 667

إلى دينه وشريعته وحقائقه التي أتى بها في الإسلام حاجتها إلى الرحمة والحكمة والعدالة والغذاء والهواء والماء [1]

وتعدّ الشريعة من أبرز ما جاءت به الرسالة النبوية، تنسحب عليها الصفات التي تحلّت بها الرسالة نفسها، لهذا كانت الشريعة بدورها مظهرا من مظاهر العدالة.

- الشريعة مظهر العدالة:

رسمت الشريعة طريق السعادة بل هي نفسها سبب في جلب السعادة، ذلك أنّها هي العدالة المحضة والفضيلة، لهذا انتهى الأستاذ النورسي إلى تبني التضحية من أجل الشريعة، إذ يصرّح بأنّه لو كان له ألف روح لكان مستعدا لأن يضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائقها، بشرط أن تكون الشريعة الحقة، وليست كتلك التي يطالب بها المتمردون.[2] لأنّ للشريعة دور في تأسيس إطاعة قانون العدالة الإلهية وامتثال النظام الرباني إضافة إلى دورها في إدامة تصوّر عظمة الصانع في القلوب وتوجيه العقول. والإنسان يحتاج إلى تلك الإدامة من حيث هو إنسان لأنّه مدنيّ بالطبع.. فيا ويلَ من تركها ويا خسارة من تكاسل فيها، ويا جهالة من لم يعرف قيمتها، فسحقاً وبعداً واقّاً وتفًّاً لنفس مَن لم يستحسنها.[3]

---

1 - انظر الشعاعات 667

2 - صيقل الإسلام 440

3 - انظر إشارات الإعجاز 53

ج - العدالة والمقصد الثالث(الحشر أو المعاد):

- عقوبة الظالم مظهر من مظاهر العدالة:

تقتضي العدالة وجود الآخرة، فكما أنّ الدلائل والحجج التي تثبت صدق القرآن الكريم بل جميع الكتب السماوية، وأنّ المعجزات والبراهين التي تثبت نبوة حبيب الله بل الأنبياء جميعهم، تثبت بدورها أهمّ ما يدعون إليه، وهو تحقق الآخرة والدلالة عليها.كذلك فإنّ أغلب الأدلة والحجج الشاهدة على وجوب واجب الوجود ووحدته سبحانه، هي بدورها شاهدة على دار السعادة وعالم البقاء التي هي مدار الربوبية والألوهية وأعظم مظهر لهما، وهي شاهدة على وجود تلك الدار وانفتاح أبوابها، لأنّ وجوده سبحانه وتعالى، وصفاته الجليلة، وأغلب أسمائه الحسنى، وشؤونه الحكيمة، وأوصافه المقدّسة -أمثال الربوبية والألوهية والرحمة والعناية والحكمة والعدالة - تقتضي جميعها الآخرة وتلازمها، بل تستلزم وجود عالم البقاء بدرجة الوجوب وتطلب الحشر والنشور للثواب والعقاب بدرجة الضرورة أيضاً.[1]

- الآخرة وتجلي العدالة:

الإيمان بالعدالة المحضة المطلقة يحافظ على الخير المبثوث في الكون ويدفع إلى الاستزادة منه، أمّا إنكار تلك الحقيقة

---

1 - انظر الشعاعات 234

فسيكون سببا في فعل الشرور ومدافعة الخير، ذلك أنّ تجلّي الحق والعدالة المحضة سيكون في الآخرة، وهو ميدان تغلّب الحسن والحق والخير الشخصي والعام، والجزئي والكلي، وهناك ستكون المحكمة الكبرى التي تجازي البشر ويكفأ الإنسان بما يوافق وينسجم مع استعداداته.[1]

الآخرة كما مرّ معنا مظهر من مظاهر العدالة وحجّة إضافية لها، ومن امتدادات ذلك كانت عقوبة الظالم مظهرا من مظاهر العدالة، لأنّ العدالة والحكمة الإلهيتان اللتان شهدت وتشهد عليهما الكائنات منـزهتان عن الظلم، وهذا يقتضي وجود مجمع آخر ليرى الظالم جزاءه والمظلوم ثوابه، فتتجلى العدالة الإلهية في الموقف من الأول كما تتجلى من الموقف من الثاني، لأنّنا كثيراً ما نرى الظالم الفاجر الغدّار في غاية التنعم، ويمرّ عمُره في غاية الطيب والراحة. ثم نرى المظلوم الفقير المتدين الحسن الخلق ينقضي عمره في غاية الزحمة والذلة والمظلومية، ثم يجئ الموتُ فيساوي بينهما. وهذه المساواة بلا نهاية تُري ظلماً، لهذا كان لا بد من عقوبة الظالم وإنصاف المظلوم تحقيقا للعدالة[2]

- المضمون الفكري والتربوي والاجتماعي لرؤية العدالة كمقصد:

---

1 - انظر صيقل الإسلام 54

2 - انظر إشارات الإعجاز 66

*** المضمون الفكري لرؤية العدالة:**

تيسّر رؤية العدالة في الكون الاستيعاب المجمل للنظام المبثوث فيه، ذلك النظام الذي يحكمه بشكل يسع بشكل واضح مشمولات الإدراك البشري من جهة، ويسمح بفهم المستعصي عن الاستيعاب في إطار تلك الرؤية الشاملة وإن عسر فهمه في إطاره الجزئي من جهة أخرى.

استيعاب تلك المعاني يسمح بقبول إطار نظري قطعي متكامل لتحليل الظواهر الجزئية أو الكلية، إذ النظر إلى الكون من زاويتي التوافق بين العدالة المنظورة والعدالة المسطورة، يسمح بالخلوص إلى نتيجة هامة، مفادها:"إنّ الحاكم على الدهر وعلى طبائع البشر إلى يوم القيامة هو " حقيقة الإسلام" التي هي تجلّي العدالة الأزلية في عالم الكون، والتي هي الإنسانية الكبرى... إذ يعني هذا إسناد العجز التام إلى قدرة القدير المطلق، وتنسيب العبث والضياع إلى الحكمة البالغة للحكيم المطلق، وإرجاع القبح المطلق إلى جمال رحمة الرحيم المطلق، وإسناد الظلم المطلق إلى العدالة التامة للعادل المطلق، أي إنكار كلّ من الحكمة والرحمة والعدالة الظاهرة المشاهدة، إنكارها كلياً من الوجود، وهذا من أعجب المحالات وأشدّها سخفاً وأكثرها بطلاناً".[1]

---

1 - انظر اللمعات 535

النظر في ألفاظ القرآن الكريم يؤكّد تلك المعاني، يشير إلى هذا المعنى قول بديع الزمان:"قلت:لما اُنـزل (بسم الله) لتعليم العباد كان "قُلْ" مقدَّراً فيه. وهو الأمّ في تقدير الاقوال القرآنية. فعلى هذا يكون في "قل" إشارة إلى الرسالة.. وفي (بسم الله) رمز إلى الألوهية.. وفي تقديم الباء تلويحٌ إلى التوحيد.. وفي (الرحمن) تلميحٌ إلى نظام العدالة والإحسان.. وفي (الرحيم) إيماء إلى الحشر."[1]

- العدالة وتبادل ثمرات السعي:

سير الكون وفق جعله يحتاج إلى تفاعل مجموعة كبيرة عددا من العناصر، ويضبط سيرها العدالة المتجلية في النظام، وأظهر ذلك النظام الإنسان.

خُلق الإنسان ممتازاً ومستثنى من جميع الحيوانات بمزاج لطيف عجيب، أنتج ذلك المزاج فيه ميلَ الانتخاب وميلَ الأحسن وميلَ الزينة، وميَلاناً فطرياً إلى أن يعيش ويحيى بمعيشة وكمال لائقين بالإنسانية.. ثم لأجل تلك الميول احتاج الإنسان في تحصيل حاجاته في مأكله وملبسه ومسكنه إلى تلطيفها وإتقانها بصنائع جمة لا يقتدر هو بإنفراده على كلّها.ولهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه ليتشاركوا، فيتعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم.لكنّ لما لم يحدد الصانعُ الحكيم قوى البشر الشهوية

---

1 - إشارات الإعجاز 24

والغضبية والعقلية بحدٍّ فطريّ لتأمين ترقيهم بزَمْبَرَكِ الجزء الاختياريّ - لا كالحيوانات التي حُددت قواها - حصل انهماك وتجاوز.. ثم لانهماك القوى وتجاوزها - بسر عدم التحديد - تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي.. ثم لأنّ عقل كلّ أحد لا يكفي في درك العدالة احتاج النوع إلى عقل كلّي للعدالة يستفيد منه عقل العموم. وما ذلك العقل إلاّ قانون كليّ.[1]

- العدالة حاجة نفسية(تسلية قلوب المظلومين):

استيعاب العدالة في إطارها الكلي يسلّي القلوب بما يظهر من القدر الإلهي بحقي العدالة الإلهية وعنايتها ضمن ظلم البشر.وقياساً على هذا، يرى الأستاذ أنّه ما من مصيبة تنـزل به إلاّ وتحتها رحمة إلهية، إذ كانت تلك المصائب سببا في انشغال التلاميذ به، وكان من النتائج المباشرة للانشغال به إنقاذ مئات من رسائل النور، ولهذا يخاطبهم الأستاذ قائلا:"يا إخوتي لا تقلقوا عليّ أبداً، حتى أنّني كلّما نويت الدعاء عليهم - بسبب اهانتهم له إهانة شديدة تجرح مشاعري جرحاً أليماً - فإنّ الموت الذي يعدمهم، وتعرّضهم لعذاب القبر الذي هو سجن انفرادي لهم، وما ينتج من تلك الإهانة من المصالح لي والمنافع لخدمتنا.. كل ذلك يحول بيني وبين الدعاء عليهم فأتخلى عنه."[2]

- رؤية العدالة يؤسس للتعامل الإيجابي مع الدنيا:

---

1 - إشارات الإعجاز 147

2 - انظر الملاحق 283

الاقتناع بهيمنة العدالة على الكون، يؤسس للتعامل الإيجابي معه في عناصره المادية والمعوية، ذلك" أنّ كلّ حقيقة من الحقائق تثبت أموراً ثلاثة في آن واحد:وجود واجب الوجود، وأسمائه وصفاته، ثم تبني الحشر على تلك الأمور وتثبته، فيستطيع كلّ شخص من أعتى المنكرين إلى أخلص المؤمنين أن يأخذ حظّه من كلّ حقيقة، لأنّها تلفت الأنظار إلى الموجودات والآثار، وتقول:في هذه الموجودات أفعال منتظمة، والفعل المنتظم لا يكون بلا فاعل، لذا فلها فاعل.ولما كان الفاعل يفعل فعله بالانتظام والنظام يلزم أن يكون حكيماً عادلاً، وحيث أنّه حكيم، فلا يفعل عبثاً وحيث أنّه يفعل بالعدالة فلا يضيّع الحقوق، فلا بد إذن من محشر أكبر ومحكمة كبرى."[1]

- العزوف عن العدالة وما تسببه من عزلة كونية واجتماعية:

*** التناقض مع الكون:**

يستشف برهان العدالة من سير الكون وثباته المستمر الهادف، إذ لا يمكن قبول تلك النتيجة الساطعة البيّنة الأشبه بالبديهية، ما لم نقبل بشكل قطعي بوجود العدالة والحكمة البالغة في جميع مظاهر الكون، ولوضوحها يعدّ إنكارها تناقض ما بعده تناقض يصل حدّ الجنون أو الغفلة المحكّمة على الأقل، لأنّ إنكارها في

---

1 - الملاحق 73

غاية الجنون والسفه، لأنّ الربّ السرمدي والسلطان الأبدي أظهر في الكون عدالة عالية غالية مشفوعة بآثار حكمة باهرة ماهرة، وعناية ظاهرة، ومرحمة واسعة جامعة، بدرجة يعرف باليقين مَن لم يكن على عينه غين وفي قلبه رين، أنّه ليس في الإمكان أكمل من حكمته، وأجمل من عنايته، وأشمل من مرحمته، وأجلّ من عدالته، فلو لم تكن في دائرة مملكته - في ملكه وملكوته - أماكن دائمة عالية، ومساكن قائمة غالية، وسواكن مقيمة خالدة، لتكون تلك الأمور مظاهر لتظاهر حقائق تلك الحكمة والعناية والرحمة والعدالة، للزم حينئذٍ إنكار هذه الحكمة المشهودة لذي عقل، وإنكار هذه العناية المبصرة لذي بصيرة، وإنكار هذه الرحمة المنظورة لذي قلب، وإنكار هذه العدالة المرئية لذي فكر، وللزم قبول كون صاحب هذه الأفعال الحكيمة الرحيمة الكريمة العادلة.. حاشا، ثم حاشا!.. سفيهاً لعّاباً وظالماً غدّاراً، فيلزم انقلاب الحقائق.[1]

وإنكار العدالة الكونية أو تضليلها لا يختلف عن إنكار وجوب العدالة أو تضليلها في التقاضي بين الناس، يشهد لهذه المعاني قول الأستاذ بديع الزمان:"أما أنتم يا أعداءنا المتسترين ويا أولئك الذين يضللون العدالة في سبيل إرضاء الزندقة ويتسببون في خلق الأوهام الزائفة في أذهان المسئولين في الدولة لينشغلوا بنا

---

1 - انظر المثنوي العربي النوري 99

دون داع أو سبب.. اعلموا قطعاً، ولترتعد فرائصكم، إنّكم تحكمون على أنفسكم بالإعدام الأبدى وبالسجن الإنفرادى الدائم.وأنّ انتقامنا يؤخذ منكم أضعافاً مضاعفة، فها نحن أولاء نرى ذلك ونشفق عليكم. ولاشك أنّ حقيقة الموت التي ظلت تفرغ هذه المدنية مائة مرة إلى المقابر، لابد أن تكون لها غاية ومطلب فوق غاية العيش والحياة.وأنّ محاولة الخلاص من براثن ذلك الإعدام الأبدي هي قضية في مقدمة القضايا الإنسانية، بل هي من أهمّ الضروريات البشرية وأشدّها إلحاحاً."[1]

وإنكار العدالة لا يختلف عن التضليل باسمها أو تضليلها لما يترتّب عليها من ظلم وتأسيس للاستبداد ومناصرته، فقد أظهر الزمان أنّ دولا تسمى داعية الحرية، قد كبّلت بعدد ضئيل من موظفيها المستبدين أكثر أهل الكرة الأرضية، وسيطرت عليهم كأنّهم عدد ضئيل، حتى لم تتركهم يحركون ساكناً، ونفّذت قانونها الجائر عليهم بأقسى صورة من صور الظلم، آخذة آلاف الأبرياء بجريرة مجرم واحد. وأعطت لقانونها الجائر هذا اسم العدالة والانضباط. فخدعت العالم ودفعته إلى نار الظلم.هذه الدول غدت مقتدى ذلك الاستبداد القادم في المستقبل.[2]وفي ذلك أبين صور العزوف عن العدالة.

---

1 - الشعاعات 435

2 - انظر الملاحق 126

لقد جاءت تلك الدول باسم العدالة والحرية فأسست للظلم والاستبداد أو على الأقل سكتت عنه، أليس في تصرفاتهم ما يدل بنفسه على نقائض ما رموا إلى إشاعته من حرية وعدالة؟

أين ننـزل " إفناء الأبرياء من أطفال وعائلات وشيوخ ومرضى بالقنابل المدمّرة بحجة وجود جندي أو اثنين من جنود الأعداء فيما بينهم..واتفاق أعتى المستبدين من البرجوازيين مع الفوضيين والإرهابيين المتطرفين ...وإهدار دماء ألوف بل ملايين من الأبرياء.. والاستمرار في هذه الحرب الضارة للإنسانية جمعاء.. وردّ الصلح والسلام.. لذا فإنّ الإسلام والقرآن الكريم بريئان بلا شك من مثل هذه الحروب المدمرة التي لا تنسجم مع أي قانون كان من قوانين العدالة ولا مع الإنسانية ولا مع أي دستور كان من دساتير الحقيقة وقوانين الحقوق. ولا يتنازلان ولا يتذللان لمعاونة أولئك، لأن فرعونية رهيبة ومصلحية عجيبة تستحوذان فيهم بحيث لا يمدون يد العون إلى القرآن والإسلام بل يحاولون جعلهما آلتين طيعتين في سبيل مآربهم.فلا شك أنّ أحقية القرآن تأبى الاستناد إلى سيوف ظالمين كهؤلاء.بل الفرض على أهل القرآن والواجب عليهم الاستناد إلى قدرة رب العالمين ورحمته بدلاً من الاستناد إلى قوة عجنت بدماء ملايين الأبرياء."[1]

---

1 - انظر الملاحق 203

*** العذاب المعنوي والمادي:**

يسبب العزوف عن العدالة بمفهومها العام عذابا معنويا ثم ماديا في قابل الأيام، والتاريخ البشري المتكرر يؤكّده، وأظهر شاهد معاصر على ذلك، ما أنـزلته العدالة الإلهية بالمدنية الدنيّة التي حاولت إهانة أكبر شاهد على العدالة المنظورة والمسطورة - الإسلام- فأذاقت اهله عذاباً أليماً ومعنوياً؛فأرداها ذلك التصرّف الأرعن درك الوحوش الجاهلين. فلقد أزالت تلك المخاوف المستمرة ملذات وأذواق مدنية أوروبا والإنكليز مائة سنة وطيرت منهم نشوتهم من الرقي والتسلط على رقاب الآخرين ونشوة الاستيلاء عليهم."[1]

ومن مظاهر ذلك العذاب أيضا، " أنّ (الحـد) أو (العقاب) عندما يقام امتثالاً للأمر الإلهي والعدل الرباني فإنّ الروح والعقل والوجدان واللطائف المندرجة في ماهية الإنسان تتأثر به وترتبط به، فلأجل هذا المعنى،يقول الأستاذ بديع الزمان:"أفادتنا إقامة حد واحد طوال خمسين سنة أكثر من سجنكم في كل يوم، ذلك لأن عقوباتكم التي تجرونها باسم العدالة لا يبلغ تأثيرها إلاّ في وهمكم وخيالكم، إذ عندما يقوم أحدكم بالسرقة يَرِد إلى خياله العقاب الذي ما وضع إلاّ لأجل مصلحة الأمة والبلاد ويقول إنّ الناس لو عرفوا بأنّي سارق فسينظرون إليّ نظرة ازدراء

---

1 - الملاحق 114

وعتاب، وإذا تبيّن الأمر ضدّي ربما تزجّني الحكومة في السجن.. وعند ذلك لا تتأثرُ إلاّ قوته الواهمة تأثراً جزئياً، بينما يتغلب عليه الميل الشديد إلى السرقة والنابع من النفس الأمّارة والأحاسيس المادية – لاسيما إن كان محتاجاً - فلا ينفعه عقابكم لإنقاذه من ذلك العمل السيء.ثم لأنه ليس امتثالاً للأمر الإلهي فليس هو بعدالة، بل باطل وفاسد بطلان الصّلاة بلا وضوء وبلا توجّه إلى القبلة، أي أنّ العدالة الحقة والعقاب الرادع إنّما يكون إذا اُجريت امتثالاً للأمر الإلهي وإلاّ فإنّ تأثير العقاب يكون ضئيلاً جداً."[1]

- **العدالة مظهر الالتزام بالفضائل الإسلامية:**

الحمية الحقة والوفاء الصادق والعدالة الخالصة لا تجري إلاّ على يد إنسان تزيّن قلبه وعقله بالفضائل الإسلامية، ولا يؤدي الغرض تزيّن القلب أو العقل منفردين.بل يجب أن تشملهما معا، وبذلك تجتمع الفضيلة والصنعة، ذلك أنّ الصنعة غير الفضيلة، فقد يقوم الفاسق برعي الأغنام رعياً جيداً، وقد يصلّح شارب الخمر ساعةً بإتقان حين لا يكون سكرانَ، فلم تجتمع فيهما الفضيلة والصنعة، وهو ما يدعوا للأسف حيث يقول رحمه الله:"وا أسفى على ندرة الذين جمعوا النورَين معاً:نور القلب ونور الفكر، أو بعبارة أخرى الفضيلة والصنعة، فهم نادرون لا

1 - صيقل الإسلام 523

يكفون لملء الوظائف، فإذاً إما الصلاح وإما المهارة...وإذا تعارضا فالمهارة مرجحة في الصنعة."[1]

يدفع تبني العدالة إلى الجمع بين المهارة والصنعة، فتصبح الأسبقية والأولوية للجمع بين العنصرين، وهذا يفرض تأخير العنصر العرقي(الإثني)، فتمتزج تلك العناصر والقوميات بالإسلام امتزاج جزيئات الماء، إذ تمكين الإسلام من النفوس يسمح له بأن يفعل فعل التيار الكهربائي فيهم.فتمزج العدالة المنصفة المت-ولّدة من حرارة نور المعارف الإسلامية، وتديم الحرية النيّرة المسترشدة بتربية حقيقة الشريعة[2]. ويؤسس إجراء العدالة للسعادة البشرية في الدنيا والآخرة.[3]

---

1 - صيقل الإسلام 393

2 - انظر صيقل الإسلام 462 سيرة ذاتية 84

3 - انظر صيقل الإسلام 523

الفصل الرابع
مقاصد رسائل النور في الزمان

تتلوّن مقاصد رسائل النور في الزمان، أي في الواقع المتحرّك بحاجات الناس وظروفهم، وهي في ذات الوقت منخرطة في المقاصد الكلية المستفادة من القرآن الكريم والمبيّنة فيما سبق ذكره، لهذا فهي مقاصد فرعية متعلّقة بإلجاءات المكان وظروف الزمان، أي أننا بصدد الحديث عن المقاصد في تجلياتها الجزئية المقدّرة بحسب ظروف الناس.

لسنا بمقام وضع مقاصد جديدة في هذا السياق، بل نحن بصدد بيان محاولات التكيّف مع معطيات الواقع بما تمليه المقاصد الكلية، لهذا فهي مقاصد جزئية تمليها إكراهات الواقع المتحرّك.

اخترنا في التعبير عن المقاصد في زمان مصطلحات بديع الزمان النورسي نفسه، وبذلك نبتعد عن التقويل أو التأويل، فعمدتنا في التأسيس لهذه المعاني ما أورده الأستاذ في رسائل النور بصريح العبارة، وبناء على ما سلف انتهيت إلى حصر تلك المقاصد فيما يأتي:

1 - مقصد الأمن والنظام والحرية والعدالة.

2 – حصول صحوة إسلامية

3 - إنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن، ولهذا المقصد أهداف كثيرة منها:

أ – المصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة.

ب – أقصر طرق الفعالية.

ج – مصدر قيم الخير وصد الشر.

د – أساس التواصل الإسلامي والإنساني.
ه- – طريق تحقيق الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبّة وإعلاء كلمة الله.
و– أساس الشكر والعبادة .
ز– التأسيس القلبي والعقلي للشفقة والمحبّة.
ح– إنقاذ الإيمان يعطي الحياة معنى.
ط- إنقاذ الإنسان والاستجابة لحاجاته.
ي – تجاوز الهلاك.
س- تليين القلوب.
ع - القيام بوظيفة الخدمة.
ف - خدمة الإيمان.
ص - نيل مرضاة الله.
4 – بعث الصلة بين الإيمان والأخلاق.
5 - الأخوة والمحبّة والتضحية.
6 - الاتّحاد بين أهل الإيمان.
7 - دفع الأمراض الاجتماعية بالإيمان.

أولا: مقصد الأمن والنظام والحرية والعدالة:

دفعت طبيعة الأزمة التي يمرّ بها عالمنا الإسلامي الأستاذ بديع الزمان إلى التأكيد على أنّه ليس من مقاصد رسائل النور أو أهدافها في العصر الحاضر الاشتغال بالسياسة دفعا لخوف

المسلطنين أو السائرين في مسالكهم وتطمينا لهم على مسلكهم، إذ تتلخّص المعركة في تحطيم الكفر المطلق الذي يعدّ أس أساس الفوضى والاستبداد من جهة والتأسيس للأمن والنظام والحرية والعدالة.

صرّح بديع الزمان بهذه المعاني في سياق مرافعته عن رسائل النور فيقول رحم-ه الله:" أها البائسون!.. إن رسائل النور لا علاقة لها بالسياسة، بل تقوم بتحطيم الكفر المطلق - الذي أسفله الفوضى وأعلاه الاستبداد المطلق - وتفتيته وردّه على أعقابه. ..تسعى رسائل النور إلى تأسيس الأمن والنظام والحرية والعدالة في هذا البلد."[1]

وتدلّ تصرّفاته رحمه الله على تبنيّ ذلك المسلك في التغيير، إذ تأسيسا لمعاني طلب الأمن والحرية والنظام والعدالة، تجده ينأى بنفسه من أن يكون هدفا للاتّهام بالتعلّق بالدنيا ومفاتنها، لهذا تجده من منطلق الحكمة في التبليغ يتهرّب تهرّبا شديدا وينفر من التعرّض للسياسة والحكم، رغم امتلاكه قوّة الحق ما يسمح له بالدفاع عن حقة بجدارة وكفاءة، تؤكّدها إشارته الرائعة إلى مقتضيات تغييب العدالة رغم عزوفه عن الخوض في السياسة، وعزاءه في ذلك أنّه مادام كل شيء زائلاً وفانياً ومادام الموت موجوداً والقبر لا يزال فاغراً فاه، ومادام الأذى ينقلب إلى

---

1 - الشعاعات 334- بتصرف -

رحمة، فإننا نفضل أن نصبر ونتوكل على الله ونشكره ونسكت.أما محاولة الإخلال بسكوتنا وهدوئنا بالإكراه بإيقاع الأذى بنا فإنها تناقض كل مفاهيم العدالة والغيرة الوطنية والحمية الملية.[1]

ثانيا: حصول صحوة إسلامية

حينما يسجّل المصلح أو الإمام المرشد خللا في التصوّرات وانحرافا في الفعل يسعى جاهدا إلى تحصيل صحوة تتجاوز الوعي الراهن والتأسيس لوعي يستوعب الراهن بجميع مكوّناته المادية والمعنوية، ويستلهم من القرآن دواءه، من منطلق ذلك التشخيص لعمل المصلحين على مرّ الزمان، جعل بديع الزمان التأسيس لصحوة إسلامية راشدة مقصدا رئيسا من مقاصد رسائل النور، ذلك ما ورد في الرسائل:" أجل إن الهدف الذي كان يصبو إليه بديع الزمان منذ نعومة أظفاره والأمل الذي كان يحدوه وهو في طريقه إلى أنقرة هو حصول صحوة إسلامية تعم العالم الإسلامي، هذه الروح العظيمة توضحت في مباحثاته مع مئات العلماء في شرقي الأناضول قبل مجيئه إلى استانبول بل توضح أكثر عند قدومه إليها حتى حيّر السياسيين. ولم تغادره هذه المسؤولية الجسيمة والمهمة الثقيلة والشوق الدائم قط. فكان يأمل أن يكون الإعلان عن الحرية والمشروطية في خدمة الشريعة

---

1 - انظر الشعاعات 347

الغراء، ويكون ذلك تباشير سعادة الأناضول والعالم الإسلامي قاطبة، حتى أنه ألقى الخطب في ضوء ذلك الأمل وكتب المقالات بغية تحقيقه، وظهر ذلك أيضاً في مؤلفاته ولاسيما في سنوحات، لمعات وغيرها مما ألفه في تلك المرحلة. وكان لا يتواني من التصريح أن أعظم صوت مدو في المستقبل هو صوت القرآن العظيم."[1]

ويخدم ذلك المقصد بحسب رأي بديع الزمان بالتأسيس للحرية[2]ووضع قوانين أساسية تصونها من عبث العابثين والوصوليين والانتهازيين، وتكون تلك القوانين مصونة بالشريعة الغراء، فالعمل على تكوين وعي بضرورة الحرية لا يختلف من حيث القيمة والتأثير عن العمل على تحقيق الصحوة نفسها، إذ الخلوص إلى الصحوة يمرّ ضرورة بالحرية.

كما تجلى العمل على تأسيس صحوة إسلامية راشدة بإعادة الأمور إلى نصابها، فيعود الإيمان إلى مركزه في صناعة الوعي بالحياة ويكوّن دافعية العمل إلى الخير الإنساني العام، وطريق ذلك إنقاذ الإيمان، وبهذا يكون من أهمّ متطلّبات تحصيل الصحوة المنشودة، إنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن الكريم.

ثالثا:إنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن،ولهذا المقصد أهداف كثيرة:

---

1 - سيرة ذاتية 182

2 - انظر كتابنا، ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية

جعل بديع الزمان إنقاذ الإيمان وصدّ الإلحاد مقصدا رئيسا في رسائل النور، فكان رغم الصعاب المتمثّلة في المراقبة التي لا تغادره يتحيّن فرص تبليغ ذلك المقصد النبيل، فكان يتجاذب الحديث مع من وفّقوا إلى لقائه، ويخاطبهم حسب مستواهم الفكري والثقافي حيث كان الزائرون من طبقات الشعب كافة.فينصبّ حديثه مجملاً حول أهمية الإيمان في الوقت الحاضر، وكان يصرّح بملء فيه بأنّ القصد الأساس لرسائل النور تقوية الإيمان وصد الإلحاد الذي يهدد الأمة والوطن.

واعتبر رحمه الله أهم قضية في الوقت الحاضر إنقاذ الإيمان وتقويته بالاعتصام بالقرآن الكريم. ورسائل النور تحصر نظرها في هذا المقصد، وحماية الإيمان وإنقاذه حماية للأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، لهذا فالمرافعة مطلوبة حتى بمنظور وطني، لأنّها وطنية صادقة، ترمي إلى حماية البلاد والعباد من الوقوع في مخالب الأمراض القاتلة كالكفر والإلحاد الذين هم أخطر من الطاعون والسل.

وقد كانت تلك المساعي سببا في تعرّضه – رحمه اللّه - لتكالب أعداء الوطن والدين من الملحدين، فاختلقوا الافتراءات الظالمة والإشاعات المغرضة، ورغم ذلك بقي صلبا شامخا صابرا، يجابه كل ذلك بثقة المؤمن بالله، ومردّ ذلك التحمّل، الإيمان، ذلك المقصد الذي عمل على إنقاذه، فقد كان الإيمان

مصدر ومرجع العمل الإيجابي البنّاء، وهو المصدر الوحيد والرئيس لتلك الإيجابية.

الإيمان الفاعل أقوى من صولجان السياسة، وبرنامج مكثّف يسع الحياة كلّها، إذ لو كانت لنا مائة من الأيدي لما كفت في حمل النور المنبعث من الإيمان، ذلك الإيمان الذي كان وسيبقى أساس مسلكنا الحاث على الإخلاص وابتغاء مرضاة الله وحده، وهذا هو مصدر قوة النور. فالعناية الإلهية تحمي خدمتنا ما دمنا مخلصين نعمل عملاً ايجابياً بناءً.[1]

- أهداف إنقاذ الإيمان:

1 – المصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة:

المسلك المؤسس على الإيمان كمقصد رئيس في تطعيم الأمّة ضد أمراض الإلحاد مدرسة تصالح بين أهل المدرستين الدينية والحديثة وأهل الزوايا والتكايا وتجعلهم يتّحدون في خدمة ذلك المقصد، ذلك أنّ الإيمان يحدث بينهم الميل عن التنازع ثم الميل إلى تبادل الأفكار.[2]

ب – أقصر طرق الفعالية:

يعتبر بديع الزمان رسائل النور من أهم وأقصر طرق تحقيق مقصد إنقاذ الايمان والمعجزة المعنوية للقرآن الكريم في هذا العصر، فقد كشفت التجارب والأخبار أنّ لها تأثيرا عظيما

---

1 - سيرة ذاتية 364

2 - سيرة ذاتية 506

في البلدان العربية والباكستان أكثر من أي بلاد أخرى، حتى ورد خبر مفاده أن طلاب النور في تلك الأماكن يزيدون ثلاثة أضعاف على ما ثبتته المحاكم في تركيا أثناء محاكمة الشيخ وبعض تلاميذه، لهذا يقول النورسي:"اضطرت روحي إلى بيان ومشاهدة هذه النتيجة العظيمة وأنا على عتبة القبر."[1]

3 – مصدر قيم الخير وصد الشر:

الإيمان مصدر قيم الخير وحائط صدّ الشر من ولوج القلوب والعقول، فهو الدافع إلى الشكر والعبادة اللتين تعتبران مدار المقاصد الإلهية في بناء قصر الكون ولا سيما الإنسان الذي هو أفضلهم إزاء النعم التي نالوها، إنّ مدار الاستفادة من الكون وعناصره المادية والمعنوية الإيمان[2]، ذلك المقصد الذي يعدّ بمثابة محرّك سائر المقاصد ولبّ لبابها.

4 – أساس التواصل الإسلامي والإنساني:

الإيمان يؤسس للتواصل بين المؤمنين من جهة والأسرة الإنسانية من جهة أخرى، ذلك أنّه رابطة قوية في التأسيس المعنوي لأسمى جمعية وأقدسها في الوقت الماضي والحاضر والمستقبل، هي جمعية الجنود المؤمنين. فجميع الذين انخرطوا في سلك الجندية المؤمنة المضحية ابتداءً من الجندي إلى القائد هم داخلون في هذه الجمعية.

---

1 - انظر الملاحق 415

2 - المكتوبات 308

5- طريق تحقيق الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبّة وإعلاء كلمة الله:

ترمي جمعية رسائل النور إلى تحقيق أقدس هدف لأقدس جمعية في العالم،و يتلخّص ذلك الهدف في الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله. فالجنود المؤمنون قاطبة يدعون إلى هذا الهدف، وفاعلية ذلك المسعى تجعل أولئك الجنود مراكز تبليغ تلك الأفكار من جهة وأنموذج العيش بتلك الأفكار من جهة أخرى، فعلى الأمة والجمعيات أن ينتسبوا إلى الجنود. إذ الجمعيات الأخرى ما هي إلاّ لجعل الأمة جنوداً في المحبة والأخوة. أما الإتحاد المحمدي الذي هو شامل لجميع المؤمنين فهو ليس جمعية ولا حزباً، إذ مركزه وصفّه الأول المجاهدون والشهداء والعلماء والمرشدون.[1]

6 - أساس الشكر والعبادة :

أصفى خلاصة مترشحة من الإيمان بجميع مضامينه وأبعاده الوظيفية الشكر والعبادة والحمد والمحبّة، والأبعد من ذلك أن تعدّ في رسائل النور أهم المقاصد الإلهية في الكون وأهمّ نتيجة لخلق العالم.[2]

7 - التأسيس القلبي والعقلي للشفقة والمحبّة:

---

1 - انظر سيرة ذاتية 107

2 - اللمعات 559

تعمل رسائل النور من خلال مقاصدها إلى تجاوز ما شاع تداوله بين البشر من ألفاظ فقدت اجتماعيا معانيها وخاصة مصطلحي المحبّة والشفقة، إذ لا نجد لتلك المعاني في مزاولتنا الاجتماعية سندا من نقل أو عقل أو قلب، فكان منهج الرسائل مؤسسا للفكرة في أصل وضعها، فاستصحبها في وضع الرسائل، بل جعلها من غياياته الرئيسة تأسيسا وتمحيصا، يشهد لهذا المعاني تأكيد بديع الزمان النورسي أنّ منهج رسائل النور يعبّر عن الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير ليمنعنا بشدة من الوقوع تحت طائلة الاستجابة للاستفزاز الاجتماعي أو المعرفي من خلال قصر الاهتمام بالأمور الجزئية على حساب الأمور الكلية والأساسية، نحو اختصار الهمّ في المزاولة السياسية نقدا وتمحيصا بل وحتى تأسيسا.

والقضية بهذا الصدد تحتاج إلى تدقيق، فالمسألة المشار إليها قد تكون قضية خطيرة وكلية لها دور أساسي في تزييف الوعي أو تأخير صناعة وعي، إلاّ أنّها بالنظر إلى المسألة الأم تعتبر جزئية، من ذلك مثلا في ظل الظروف الراهنة مسألة الإلحاد، فلو قصرنا المعركة على المبتلين بهذه الأمراض النفسية والمعرفية، فإننا سنخسر أبناءهم وربّما أحفادهم، لهذا يؤكّد الأستاذ على أنّ وراء أولئك المبتلين بالإلحاد - واستحقوا بذلك العقاب - عدداً من الأطفال والمرضى والشيوخ الأبرياء. فإذا نزل بأحد أولئك المبتلين المستحقين للعقاب كارثة أو مصيبة، فان أولئك الأبرياء

أيضاً سيحترقون بنارهم دون ذنب جنوه.وكذا لان حصول النتيجة المرجوة أمر مشكوك فيه، لذا فقد مُنعنا بشدة[1] عن الاهتمام بالمسائل الجزئية على حساب معركة المصير المعبّر عنها بقضية حماية المكاسب الإيمانية والتأسيس لبقائها في المجتمع دون الدخول في معركة قد تعرّض البلاد والعباد إلى ما تحمد عقباه، لهذا يلحّ النورسي على التحليل الذي بموجبه نقدّر الأولويات، وأولوية الأولويات حسب تقديره حماية الإيمان بتثبيته وإثباته إن اقتضى الحال، وفي ذلك أبين جواب وأحسنه على الإلحاد عوض الدخول في مهاترات تعرّض طاقات الأمة إلى الضياع أو على الأقل تسهم في صرفها في غير أبوابها.

8 – إنقاذ الإيمان يعطي الحياة معنى:

إنقاذ الإيمان يعطي معنى إيجابيا لكل يوم من أيام العمر التي تمضي في السجن الكبير (الدنيا) أو السجن الصغير (المعروف)، فيمكن أن يُكسِب المرء ثواب عبادة عشرة أيام من عبادة يوم واحد، ويمكن أن يحوّل ساعاته الفانية - من حيث النتيجة - إلى ساعات باقية خالدة.. بل يمكن أن يكون قضاء بضع سنين في السجن وسيلة نجاة من سجن أبدي لملايين السنين.[2]

يحلي الإيمان المنقذ الحياة بالرحمة وبذلك تكسب الحياة معنى وتشدّ إليها القلوب والعقول بما يخدم تعبيدها لله تعالى، فالرحمة

1 - انظر الشعاعات 406

2 - انظر الشعاعات 519

وفق ضبط الشرع لها من أدلة القيامة والسعادة الأبدية، لأن الرحمة إنما تكون رحمةً، والنعمة نعمةً إذا جاءت القيامة وحصلت السعادة الأبدية. وإلاّ فالعقلُ الذي هو من أعظم النِعَم يكون مصيبةً على الإنسان، والمحبة والشفقة اللتان هما من ألطف أنواع الرحمة تتحولان ألماً شديداً بملاحظة الفراق الأبدي.[1]

9 - إنقاذ الإنسان والاستجابة لحاجاته:

ترمي المقاصد الكلية والجزئية إلى إنقاذ الإنسان، فتستجيب تلك المقاصد لحاجاته، إذ لا يمكن تصوّر عدم استجابة العدالة والحكمة الربانيتين لتلك الحاجة العظمى، حاجة البقاء لأسمى مخلوق وهو الإنسان؟ في حين أنهما تستجيبان لأدنى حاجة لأضعف مخلوق؟ فهل من الممكن أن تردّا أهم ما يرجوه الإنسان وأعظم ما يتمناه، وألاّ تصونا حشمة الربوبية وتتخلفا عن الإجابة لحقوق العباد؟[2]

وبذلك تعطي للحياة البشرية معنى وتزوّدها بالعناصر الإنسانية في التصرّفات والمقاصد والأهداف المتعلّقة بالحياة الدنيوية نفسها.

10 - تجاوز الهلاك:

---

1 - إشارات الإعجاز 29

2 - انظر الكلمات 69

إنقاذ الإيمان يؤسس لحائط صدّ معرفي واجتماعي و...فيؤسس للتطعيم المعرفي والحضاري المانع من تجاوز الفكر المهلك بل وإسعاف المبتلى به على تجاوز مرضه، لهذا ينصح الأستاذ - وبإلحاح شديد- بالتعلّق بالدين والعض عليه بالنواجذ فهو حامينا من الهلاك الدنيوي والأخروي، لهذا قال النورسي ناصحا:" أيها المسلم لا ترخ يدك عن الإسلام الذي هو حامي وجودنا وكياننا تجاه الدمار الذي تولّده هذه النتيجة المخيفة لتقدم أوروبا، بل عض عليه بالنواجذ واستعصم به بقوة، وإلاّ فمصيرك الهلاك."[1]

11 - تليين القلوب:

ترمي مقاصد رسائل النور إلى تثبيت القلوب وتنشيط عزائم الأتقياء والصالحين وتشدّ على أيديهم، فتزوّدهم بالقيم والأصول الميسّرة لتحقيق ذلك الأمر بيسر ووضوح، بل تتجاوز ذلك إلى خدمة كل من دخلها محررا من أفكار مسبقة، وهو سرّ فشل أعداء رسائل النور المتسترين أن يتحملوا تلك الفتوحات النورية، فنبّهوا المسئولين في الدولة ضد أهل الرسائل، وأثاروهم عليهم، فأصبحت الحياة - مرة أخرى - ثقيلة مضجرة، إلاّ أن العناية الإلهية تجلت على حين غرة، حيث أن المسئولين أنفسهم - وهم أحوج الناس إلى رسائل النور - بدأوا فعلاً بقراءة الرسائل

1 - انظر صيقل الإسلام367

المصادرة بشوق واهتمام، وذلك بحكم وظيفتهم. واستطاعت تلك الرسائل بفضل الله أن تليّن قلوبَهم وتجعلها تجنح إلى جانبها. فتوسّعت بذلك دائرة مدارس النور، حيث أنهم بدأوا بتقديرها والإعجاب بها بدلاً من جرحها ونقدها. فأكسبتنا هذه النتيجة منافع جمة، إذ هي خير مائة مرة ممّا نحن فيه من الأضرار المادية، وأذهبت ما نعانيه من اضطراب وقلق. ولكن ما أن مرّت فترة وجيزة، حتى حوّل المنافقون - وهم الأعداء المتسترون - نظر الحكومة إلى شخصي الأستاذ، ونبّهوا أذهانها إلى حياته السياسية السابقة، فأثاروا الأوهام والشكوك، وبثوا المخاوف من حوله في صفوف دوائر العدل والمعارف (التربية) والأمن ووزارة الداخلية. ومما وسّع تلك المخاوف لديهم ما يجري من المشاحنات بين الأحزاب السياسية، وما أثاره الفوضويون والإرهابيون - وهم واجهة الشيوعيين - حتى أن الحكومة قامت إثر ذلك بحملة توقيف وتضييق شديد عليه، وبمصادرة ما تمكّن الأستاذ النورسي من الحصول عليه من الرسائل، فتوقف نشاط طلاب النور وفعالياتهم.[1]

12 - القيام بوظيفة الخدمة:

يسّر إنقاذ الإيمان تحرير مجال الفعل الإنساني بدقة متناهية، فتجلي تلك الحقيقة المنقذة مساحة الفعل، وتؤسس للعمل في

---

1 - انظر السيرة الذاتية 383

المساحات المتاحة فعلا والابتعاد عن المساحات غير المطلوبة أو الممنوعة، لهذا كان أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية. أي بما هو موكول إلى الله.والاقتصار على وظيفة الخدمة، بمعنى أنّ وظيفتنا الخدمة فحسب. بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإنّنا مكلّفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا.[1]

والقيام بوظيفة الخدمة انسجام مع العناصر الكونية في شقيها المادي والمعنوي، ذلك أنّ بين العناصر الكونية تكاملا يستغرق الجميع، فقد أعطى القدير الجليل كلَّ عنصرٍ من العناصر وظائف كثيرة، ويُنشئ على كلٍ من تلك الوظائف نتائج كثيرة. فلو ظهرت نتيجة واحدة قبيحة - أي شر ومصيبة وبلاء - من عنصر من العناصر في وظيفة من وظائفه الكثيرة، فإنّ سائر النتائج المترتّبة على ذلك العنصر، تجعل هذه النتيجة الوخيمة في حكم الحسن والجميل، لأنّها جميلة وحسنة إذ لو مُنع ذلك العنصر الغاضب على الإنسان من تلك الوظيفة للحيلولة دون مجيء تلك النتيجة الوحيدة البشعة للوجود لتُركت إذن خيرات كثيرة بعدد النتائج الخيرة المترتبة على سائر وظائف ذلك العنصر. أي تحصل شرور كثيرة بعدد تلك النتائج الخيرة، حيث إنّ عدم القيام بخير ضروري، إنّما هو شر كما هو معلوم.

---

1 - انظر سيرة ذاتية 470

كل ذلك للحيلولة دون مجيء شر واحد! وما هذا إلاّ منافاةٌ للحكمة. وهو قبح واضح، ومجافاة للحقيقة، وقصور مشين. بينما الحكمة والقدرة والحقيقة منـزهة عن كلّ نقص وقصور.[1]

13 - خدمة الإيمان:

تتميّز رسائل النور بإكساب قرّائها علما بطريقة مبتكرة أصيلة في تحصيل الحقيقة، ذلك أن كلّ تحصيل علمي آخر تكون الغاية من الاستمرار فيه هي المنفعة المادية أو الحصول على موقع ما. أي أنّ الدوام لهذه الدروس لا تكون عن رغبة بل في الغالب للحصول على منافع مادية أو على شهرة. أما رسائل النور فتشبه جامعة حرة غير مفتوحة، والذين يداومون في هذه الجامعة بقراءة رسائل النور لا يبتغون أي هدف دنيوي بل يبتغون خدمة الإيمان والقرآن فقط لا غير.[2]

وطريق خدمة الإيمان إنقاذه، وقد حاول الأستاذ جهده تلقين تلاميذ رسائل النور دروسا في إنقاذ الإيمان، وعدّ ذلك أكبر غاية وأهمّ هدف للبشرية على سطح الأرض، إن قيامه منذ ما يقرب من خمس وعشرين سنة بمحاولة إنقاذ إيمان مئات الآلاف من الناس برسائل النور، وهو نفسه كان أحوج الناس إلى معرفتها،ذلك أنّهم في حاجة إلى معرفة شيء عن الإسلام

---

1 - انظر الكلمات197

2 - انظر الشعاعات 593

ودروس الإيمان الذي هو السعادة القصوى والغاية من الحياة يعد دون شك فضلا إلهياً.[1]

إنقاذ الإيمان ييسّر للإنسان تذكّر الغايات والمقاصد لأنّ الإنسان مبتلىً بالنسيان، وأسوأ النسيان نسيانَ نفسه. إلا أن نسيان النفس إن كان في المعاملة، والخدمة، والسعي، والتفكر فهو الضلال. وان كان في النتائج والغايات فهو الكمال. فأهل الضلال، وأهل الهدى متعاكسان في النسيان والتذكر. أما الضال، فينسى نفسه عند النظر للعمل، وتطبيق دساتير الوظيفة، بل يمدّ نظرَه إلى الآفاق لتطمين الأنانية المتفرعنة، وغرورَه المنبسط الذي تضيق عنه النفس. لكن يتذكر نفسه في كل شيء من الغايات فتيلاً أو نقيراً. حتى لا غاية عنده، إلا ما يعود إلى نفسه. وان غاية الغايات في نظره، حب ذاته. [2]

ومن مظاهر خدمة الإيمان جعل الهدف المباشر لرسائل النور هو الآخرة، ولا علاقة له بالدنيا إلا بقدر ما ييسّر له العمل على تحقيق مقصد الآخرة، يشهد لهذا قول بديع الزمان:" إن رسائل النور لا تستهدف الدنيا، بل تستهدف السعادة الأخروية الدائمة وتستهدف نيل رضا الله الباقي الأزلي الرحيم ذي الجلال الذي لا يشكل الحسن والجمال في الدنيا إلا ظلاً خافتاً لجماله ولا تشكل لطائف الجنة جميعاً إلا لمعة من محبته سبحانه. فما دام مثل هذا

---

1 - انظر الشعاعات 601

2 - انظر المثنوي العربي 406

الهدف الإلهي المقدّس ومثل هذا الهدف السامي موجوداً، فإنّني أبرئ رسائل النور وأنـزهها ألف مرّة من الوقوع في أمور سفلية ومحرّمة تؤدي إلى نتيجة كتحريض الناس ضد الحكومة. ونحن نلوذ بحمى الله تعالى من شرور هؤلاء الذين لا يريدون منّا أن نتعلم أمور ديننا ولا أن نخدم إيماننا فيفترون علينا مثل هذه الافتراءات لكي يقضوا علينا.[1]

14 - نيل مرضاة الله:

يحقق السعي إلى نيل المقاصد والغايات الآنفة الذكر التهيّؤ لنيل رضا الله سبحانه وتعالى، لأنّ الله هيّأ لنا فرصة اكتساب محبّة الملايين من أهل الحقيقة ودعاءهم وشفاعتهم.

تبرهن على تلك الحقائق وتوضّحها مرافعة الأستاذ أمام المحكمة ،غذ يقول:"إنّ الحقيقة السامية المسماة بـ- " رسائل النور" أمامكم. فهل المراتب والمقامات الدنيوية الفانية والسفلية هي غايتها؟ أم أن غايتها هي نيل رضا الله تعالى الذي هو السعادة العظمى والفرحة الكبرى والهناء الذي ما بعده هناء؟ أو تحقّز كلماتها الإنسان إلى الأخلاق الرديئة والهابطة أم تجهّزهم بالإيمان وتجمّلهم بالفضيلة وبالأخلاق السامية؟ أنتم تجدون رسائل النور أمامكم وهى منبثقة من الإعجاز المعنوي للقرآن المبين الذي هو نور إلهي. فما دام اكتساب الإيمان، والانتقال

---

1 - انظر الشعاعات 429، 601

بهذا الإيمان في الدنيا إلى سعادة الدار الآخرة أهمّ غاية للإنسان، ومادامت رسائل النور تقدم - بفيض من القرآن - الحقائق الإيمانية وتقرب مئات الآلاف من قرائها ومستنسخيها إلى هذا الهدف، فلا مناص أمام عدالتكم السامية وحبكم للحقيقة إلاّ فهم الوجه القرآني، والوجه الحقيقي لرسائل النور وتقدير قيمتها الحقيقية، ومعرفة أنّ طلاب النور لا يسعون إلاّ لنيل رضا الله تعالى وأنّه لا هدف لهم سواه.[1]

رابعا: بعث الصلة بين الإيمان والأخلاق:

شاع في أدبياتنا الانفصال النكد بين الأخلاق والإيمان، حتى صارت الصلة بينهما مفقودة، فتجد الرجل يدندن بكلمات إيمانية لا صلة لها بحياته الشخصية أو الاجتماعية، كأنّ يكون لسانه لاهجا بذكر الله ولكنّ عقله وسلوكه في أبعد ما يكون عن تلك المعاني المردّدة باللسان، وقد ظهرت رسائل النور من أجل تجاوز ذلك الانفصال بالتأسيس للتواصل بينهما، فجعلت الهدف الوحيد والخدمة الوحيدة لرسائل النور والأستاذ وطلبة النور هي إيفاء خدمة مقدسة للإسلام ولاسيما إيفاء خدمة مقدسة للأمة التركية المسلمة و الأمة الإسلامية من ناحية الإيمان والأخلاق.

من مطلق ذلك الهدف العظيم ينبغي بل من الضروري ومن الواجب عدم التعرض لرسائل النور ولطلابها من جراء خدماتهم

---

1 - انظر الشعاعات 606

هذه. هذا هو هدفهم، وهذه هي غايتهم وليس شيئاً آخر، وان إيفاءهم هذه الوظائف هو في سبيل الحصول على رضا الله تعالى. ومن الطبيعي أنهم لا يمكن أن يؤدوا هذه المهمة المقدسة في سبيل الدنيا وفي سبيل متاعها ومنافعها، ولا ينـزلون أصلاً لهذا. إن طلبة النور الطاهرين لا يشغل قلوبهم أهداف وغايات دنيوية، لأن قلوبهم مشغولة بالإيمان وبأمور الآخرة، لذا فإنّه لم يخطر ببالهم أبداً ما أتهمهم به المدعي العام من القيام بتشكيل جمعية سرية، ولا يتحملون مثل هذا الاتهام[1]، بل يعملون على الاشتغال بالحقائق الإيمانية وحدها[2].

خامسا: الأخوة والمحبّة والتضحية:

يتجلى في رسائل النور السعي إلى تحصيل المحبّة والأخوة والتضحية ثم تمثّلها وبهذا تيسّر لها فرصة تبليغها، ذلك أنّها عملت على التأسيس العملي لجمعية الجنود المؤمنين، وتشمل في عضويتها جميع الذين انخرطوا في سلك الجندية المؤمنة المضحية ابتداءً من الجندي إلى القائد هم داخلون في هذه الجمعية. إذ إن أقدس هدف لأقدس جمعية في العالم هو الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله. فالجنود المؤمنون قاطبة يدعون إلى هذا الهدف. ألا إن الجنود هم المراكز، فعلى الأمة والجمعيات أن ينتسبوا إلى الجنود. إذ الجمعيات الأخرى

---

1 - انظر الشعاعات 622

2 - انظر الملاحق 94

ما هي إلاّ لجعل الأمة جنوداً في المحبة والأخوة. أما الاتحاد المحمدي الذي هو شامل لجميع المؤمنين فهو ليس جمعية ولا حزباً، إذ مركزه وصقّه الأول المجاهدون والشهداء والعلماء والمرشدون.[1]

سادسا: الاتّحاد بين أهل الإيمان:

صرّح بديع الزمان في أكثر من موضع وبأسلوب صريح - كما هي عادته - أنّ من أهمّ غايات ومقاصد رسائل النور العمل على توحيد كلمة المؤمنين، ولمّ شملهم لخدمة هدف واحد مؤدّاه خدمة الإيمان نفسه، وطريقه التأسيس العملي للوحدة الشعورية بين المؤمنين أنفسهم، فلا يصحّ أن يبقى المؤمنون مشتّتين في أهدافهم وجهودهم، و لهذا المسعى أثر عظيم في استئصال مرض خطير معبّر عنه بقولهم: " مالي وما عليّ فليفكر غيري"، يشهد لهذه المعاني قوله رحمه الله:" إنّ قصدنا وهدفنا هو اتحاد الجماعات الدينية في الهدف. إذ كما لا يمكن الاتحاد في المسالك والمشارب فلا يجوز أيضاً، لأن التقليد يشق طريقه ويؤدي إلى القول: " مالي وما عليّ فليفكر غيري".[2]

سابعا: دفع الأمراض الاجتماعية بالإيمان:

يدفع الإيمان كثيرا من الأمراض الاجتماعية الفتّاكة، منها على سبيل المثال لا الحصر، مرض الحرص الذي يعد من

---

1 - انظر صيقل الإسلام 447 ، سيرة ذاتية 107

2 - صيقل الإسلام/الخطبة الشامية 536 سيرة ذاتية 99

رؤوس البلايا الأخلاقية والاجتماعية، ذلك انّه كان وسيبقى سببا تضييع كنـز العيش الهنيء الرغيد ومبعث الراحة في الحياة المنبعث من القناعة، ومن هنا كان الحرص علّة الخيبة ومعدن الخسران والس--فالة كما يتبيّن ذلك من الحديث الشريف: (القناعة كنـز لا يفنى)([1]) فيتلف الحرص الإخلاص ويفسد العمل الأخروي، لأنّه لو وُجد حرص في مؤمن تقيّ لرغب في توجّه الناس وإقبالهم عليه، ومن يرقب توجّه الناس وينتظره لا يبلغ الإخلاص التام قطعاً ولا يمكنه الحصول عليه. فهذه النتيجة ذات أهمية عظمى جديرة بالدقة والملاحظة و العناية. [2]

يدفع الإيمان الحسد والمنافسة غير الشريفة، ذلك أنّ من مقتضيات الإيمان أن يتحرر المؤمن من تلك الأمراض، إذ ليس في أمور ديننا أمثال هذه الأمراض، ويرجع منشأ تلك الأسقام إلى تجاوز أو غفلة عن الأبعاد الوظيفية للإيمان، وما يترتّب بالبعد عنها من تهالك على الشهوات وما ينجرّ عنها من مناقشات وتسابق ثم تزاحم ينتهي بأصحابه إلى الحسد. ولما كانت الدنيا ضيّقة ومؤقتة ولا تشبع رغبات الإنسان ومطالبه الكثيرة، وحيث المتهالكين على شيء واحد كثر، فالنتيجة إذن السقوط في هاوية الحسد والمنافسة.

---

[1] -

2 - انظر اللمعات 220-222

ويرجع خطر تلك الأسقام بالتعلّق بالإيمان ومقتضياته وخاصة التفكير العملي في الآخرة وما أعدّ الله فيها للمؤمنين، إنّها فسيحة، بحيث يكون لكلّ مؤمن جنة عرضها السماوات والأرض تمتد إلى مسافة خمسم-ائ-ة سن--ة، ولكل منهم سبعون ألفاً من الحور والقصور، فلا موجب هناك إذن إلى الحسد والمنافسة قط، فيدلّنا هذا على أنّه لا حسد ولا مشاحنة في أعمال صالحة تفضي إلى الآخرة، أي لا مجال للمنافسة والتحاسد فيها، فمَن تحاسد فهو لاشك مراء أي أنّه يتحرّى مغانم دنيوية تحت ستار طلب الآخرة.[1]

---

1 - انظر اللمعات 237

الفصل الخامس

أبعاد أهمية بحث المقاصد
و مفسدات فاعليتها

النقطة الأولى: أبعاد أهمية بحث المقاصد

بيّن من عنوان المقاصد أنّها تمثّل سيرا هادفا شاملا ومتكاملا، تعد مقاصدها الكبرى عمد الرسالة التي جاء بها العمل القاصد، وتمثّل تلك المقاصد في تفريعاتها العامة عملا شاملا يستغرق كل الميادين والمجالات التي تتوجّه إليها تلك الرسالة، كما أنّ تلك المقاصد الكلية وفروعها متكاملة تسعى إلى تحقيق مقصد كلي واحد، بحيث لا تنافر في أصولها وفروعها.

يستشف من الفرشة الآنفة الذكر أهمية المقاصد بالنسبة للإنسان(أصل المتوجّه إليه بهذه الرسالة)، وما دامت رسائل النور مستمدة من هدي القرآن، فإنّها اكتسبت منه ميزات الغائية والشمول والتكامل، فسيرها قاصد، ومسعاها شامل مستعد لتلبية حاجات الإنسان وفق استعداداته، كما أنّ ذلك المسعى متميّز بالتكامل بحيث ينتفي التنافر بين مضامين الخطاب من جهة ومختلف حاجات الإنسان من جهة أخرى.

نؤكّد في مستهل الحديث أنّ للمقاصد أهمية عظيمة بالنسبة للإنسان فتشمل مجموع أبعاده، يتجلى فيها الاهتمام بالأبعاد الإيمانية والنفسية والاجتماعية والمعرفية والمنهجية، و...كما يظهر في مضمونها عنصر التكامل الذي يستغرق جميع ميادين استعدادات الإنسان وحاجاته.

أولا: الأهمية الإيمانية [1]

رسائل النور في أصل وضعها رسالة إيمانية، بحيث يمثّل الإيمان مقصدا مركزيا بالنسبة إليها.

مبنى فاعلية المقاصد وحضورها في وعي المجتمع والأفراد الإيمان القطعي اليقيني بمصدر تلك المقاصد، وخاصة الكتاب الكريم المحفوظ بينهم، وللقطع بذلك بعد إيماني ظاهر، يسهم بل ويؤسس للخلفية الفكرية(العقيدية) لمجموع تصرّفات المسلّم بها، فقد كان ذلك الكتاب المحفوظ وما يزال المعلّم الأستاذ الذي شاهدناه وسمعنا خطابه، إذ لولاه لذهبت تلك المقاصد هباء منثوراً، كالكتاب المبهم الذي لا يُفهم معناه، ولا يبيّنه أستاذ، فيظل مجرد أوراق لا معنى لها!..[2]

ومردّ الفعالية يتجاوز مجرّد الإيمان "القطعي" – وفق ما شاع تداوله اجتماعيا، كأنّه تصريح قولي بحت لا أثر له على التصرّفات، كلمة صرف – الذي لا صلة له بتصرفات المؤمنين،ويفرض تجاوز هذا النمط من الإيمان، التأسيس للعمل بمقتضى المقاصد وابعادها الإيمانية وفق امتداداتها المطلوبة في ميدان الفعل البشري، بحيث تستغرق جميع ميادين الفعل.

- **يوضّح طريق العروج للآخرة:**

---

1 - سنعرض بالتفصيل البعد الإيماني في الباب الثاني من الدراسة

2 - الكلمات 132

تحدد المقاصد الأصلية مسالك الترقي في سلّم المعارف النورانية، وترسم خطط نيلها وسبل الترقي فيها، فهي مجليّة طريق العروج إلى الآخرة، ومن ثمّ وجب أن تكون محلّ عناية تحقيقا لتبليغها أو حماية وجودها في القلوب والعقول، مع عناية بمضامينها الاجتماعية، ولا يتوقف تأثيرها عند حد الكشف عن المضمون وطرق التعلّق به، بل يتعدّاه إلى إيجاد محفّزات داخلية للتعلّق به وسبل مزاولته.

يقول بديع الزمان:" ففي الوقت الذي ينبغي أن يكون هذا (السعيد) المسعود موضع فخر واعتزاز بما بيّن للبشرية بنور القرآن المبين طريق العروج إلى أعلى مراتب المعرفة الإلهية، برسائل النور، قام أهل الشقاء بنقيض ذلك فتجرأوا على تسميمه مرات ومرات. وربما كان ذلك من مقتضيات الحكمة الإلهية حيث تنزل المصائب والبلايا على ورثة الأنبياء والصالحين كما هو ثابت في الحديث الشريف ((أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل))([1])، حتى رماه الصبيان بالحجارة حينما خرج من بيته يوما في قسطموني قاصدا التوضؤ من النبع، ولكنّه تحمّل وتجمّل بالصبر، ولم يحمل في صدره غير السلامة وفي قلبه غير الطهر لأولئك الصبيان، فلم يغضب ولم يحقد عليهم بل دعا لهم بالخير وقال: لقد أصبح هؤلاء سببا لكشفى سرا

---

1 -

من أسرار آية جليلة في سورة "يس"([1]). ثم أصبح أولئك الصبيان بفضل الله وبركة الدعاء لهم، بعد ذلك يهرولون إلى الأستاذ أينما رأوه ويقبلون يده ويرجون منه الدعاء."[2]

ثانيا: الأهمية النفسية [3]

يمثّل العمل بالمقصد دافعا نفسيا قويا للاستزادة مما يجلب رضا الرحمن، ذلك أنّ "التعريف بحسب الغاية أولى، إذ العلم بالغاية يزيد شوق المحصّل، فهذا، أي المنطق علم آليّ. وتعريفه بحسب الغاية موقوف على معرفة وجه آليّته.ومعرفة وجه الآليّة موقوفة على جهة احتياج ما يحتاج إليه"[4]

ومادامت الحاجة إلى الغاية ماسة لتعلّقها بكل مجالات حياة الإنسان المادية والمعنوية، كان العلم بالمقاصد الكلية النبيلة حافزا نفسيا قويّا لدفع العامل بها على الاستزادة من الخير ودفع الشر، كما أنّ الارتباط بالمقاصد التافهة يأسر المتعلّق بها، فيقع من جرّاء التعلّق بها على أم رأسه، فيتحوّل من رجل عزيز مكرّم إلى ذليل حقير، يشهد لهذا المعنى تحذير بديع الزمان الإنسان من

---

1 -

2 - سيرة ذاتية 4

3 - سنعرض بالتفصيل مختلف الأبعاد في كتابنا عن قراءة في وظائف مقاصد رسائل النور.

4 - صيقل الإسلام 243

جعل الحياة الدنيا غاية المقصد، فتفرغ في سبيلها الجهد، إنّك إن فعلت ذلك ورضيت به، فسوف تكون في حكم أصغر عصفور.[1]

لهذا كانت أهمية المقاصد الجليلة النبيلة عظيمة في شحذ الهمم، كما أنّ التعلّق بالمقاصد التافهة يدمّر قوى الدفاع الذاتي، فيجعل النفس مهيّئة لقبول الاستخفاف والنذالة الفكرية والنفسية والاجتماعية.

يعود ما ناله المسلمون عربا وعجما من سعادة دنيوية إلى تسليمهم النفسي لأمر الله تعالى والرضا بقضائه وقدره، فقد كانوا يرون الحكمة في المقاصد الكلية، ويتلقّون دروس العبرة من الحوادث بدلاً من الرهبة والهلع منها.[2]

ومن شواهد أهمية المقاصد النبيلة - في رؤيتها الكلية المتكاملة الشاملة - في التأسيس للبعد النفسي لمقاصد رسائل النور، قول النورسي:" رأيت عدداً من الأشخاص - من أهل التقوى - يرغبون في الدين ويحبّون أن يقيموا أوامره كي يوفّقوا في حياتهم الدنيوية ويفلحوا في أعمالهم.حتى أنّ منهم من يطلب الطريقة الصوفية لأجل ما فيها من كرامات وكشفيات. بمعنى أنّه يجعل رغبته في الآخرة وثمارها تكئة ومرتبة سلم للوصول إلى أمور دنيوية، ولا يعلم هذا أنّ الحقائق الدينية التي هي أساس السعادة الدنيوية كما هي أساس السعادة الأخروية، لا تكون

---

1 - الكلمات 20

2 - صيقل الإسلام519

فوائدها الدنيوية إلاّ مرجحة ومشوقة، فلو ارتقت تلك الفائدة إلى مرتبة العلة لعمل البر، فإنها تبطله، وفي الأقل يفسد إخلاصه، ويذهب ثوابه.وقد ثبت بالتجربة أنّ أفضل منقذ من ظلم هذا العصر المريض الغادر المشئوم ومن ظلماته الدامسة، هو النور الذي تشعه رسائل النور بموازينها الدقيقة وموازناتها السديدة.يشهد على صدق هذا أربعون ألف شاهد."[1]، ولا شكّ أنّ مردّ الاهتمام بالغاية النبيلة أو المقصد العظيم، يرجع في أصل فاعليته إلى البعد النفسي سواء أصاب الهدف أو أخطأه، كحالتنا المبيّنة في السابق، إذ المقصد النبيل يفرض أن يكون الهدف موافقا له، فالهدف في هذا المثال قد يؤثر على أصل المقصد نفسه، من هنا وجب التنبيه إلى الصلة الوثيقة بين الأهداف النبيلة والمقاصد الكليّة، وأهمية البعد النفسي إقبالا وإدبارا ظاهر جلي.

ومن مظاهر البعد النفسي في درس مقاصد رسائل النور أنّ العمل بالمقاصد يدفع إلى التضحية، إذ يوجد العلم بها المؤسس للعمل بمقتضاها قوّة معنوية تساعد محصّلها على تحمّل التضحية، ودفع أشدّ الظلم النمرودي من أعداء الوطن والدين المستترين، ليس هذا فحسب، بل يجاوزه إلى تكييف تصرّفاته الغضبية ويضبطها بمقصد كلّي قوامه طلب رضا الله، فلا يواجه القوّة المادية بالردّ المادي التخريبي، مستمدا تلك القوّة المعنوية

---

1 - سيرة ذاتية 309

من القرآن الحكيم الذي علّمه تلك المعاني السامية، لأجل ألاّ يتضرّر تسعون بريئاً بسبب زنادقة ملحدين نسبتهم عشرة في المائة، ومن أجل المحافظة على الأمن والنظام في الداخل بقوته كلها، ومن أجل نصب حارس في قلب كل إنسان بدروس النور.ولولا ذلك، لانتقم الأستاذ النورسي-كما صرّح به - في يوم واحد من أعدائه الذين ظلموه مدة ثمان وعشرين سنة. فتراه لا يدافع ضد من يهين عزته وكرامته حفاظاً على الأمن من أجل الأبرياء، ويقول: أنا مستعد للتضحية بحياتي الدنيوية من أجل ملة الإسلام، بل حتى بحياتي الأخروية إن لزم الأمر.[1]

كما أنّ استحضار المقاصد في النظر إلى النفس والمجتمع يزيد الإنسان تضحية وبذلا وعطاء، فيطرد النظر التفكير في العزلة والانـزواء، ذلك أنّه إذا ما فكّر كلُ واحد بأن ينـزوي في زاوية مظلمة ليأمن خداع النفس الأمارة بالسوء - تلك العدوة الكبرى - ويأمن مكر شياطين الجن والإنس، وانسحب إلى زاوية النسيان أو أراد أن ينسحب إليها، وأهمل ما حلّ بالعالم الإسلامي والإنساني حتى لم يعد ينفع أحدٌ أحداً، فالمطلوب أن نقوم بتبليغ إخواننا في الدين هذه الحقائق، لعل الله يعاملنا بفضله وكرمه بما يوافق جلال ألوهيته سبحانه. و لهذا من المفيد جداً صرف النظر عن أنفسنا في تلك الأزمنة.[2]

---

1 - سيرة ذاتية 463

2- الملاحق 20

تلك المقاصد التي تقرر في الإنسان بعدا نفسيا ظاهرا، يحسّسه بحقائق الفقر والعجز والحاجة إلى الحكيم الخبير الخالق الرازق،إنّ ما يوفقكم الله إليه بالعجز والفقر للوقوف بباب قصر القرآن العظيم والأخذ من خزينته الخاصة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فتستخرجون ما تشاهدونه - وما يؤذن لكم منها - من جواهر، الواحدة تلو الأخرى.وتتدبّرون فيها أنتم أولاً ثم تقولون:أيّها الناس! انظروا إلى المولى الكريم الذي فتح لكم أبواب مضيفه وخلق العوالم برحمته العميمة وبرأكم بحكمته وأرسلكم إلى هذا العالم.. ذلكم رب العالمين.. الذي بيّن لكم الحكمة في الخلق والقصد من مجيئكم إلى هنا، والمهمة التي كُلفتم بها، وكلّ ما تقتضيه العبودية من وظائف وخدمات.. وأمثالها من الأمور التي بيّنها قبل ألف وثلاثمائة سنة بوساطة رسوله الكريم ρ

بلّغ الأستاذ تلك الأوامر الرفيعة وتلك الأحكام المقدّسة،و حثّ على التلاميذ على تبليغها بلسانهم بحيث يقدرون على فهمها، فإن بلّغوا ذلك بإخلاص فسينفعون ذوي العقول والصواب وذوي البصائر والقلب، والمتمتّعون بالإنسانية،و ييسّرون لهم فهم الحقيقة ويردونهم إلى حظيرة الإيمان [1]

ثالثا: التشجيع على العمل والبذل المستمر

---

1 - الملاحق 32

تحقّز المقاصد مدركها عقلا وقلبا على البذل المستمر بالاستعداد للرحلة المقررة، الرحلة إلى الآخرة، ذلك أنّ الحكمة في إبهام أجَل الشخص وموتهِ " لينتظره دائماً فيستعدّ لآخرته" - الحكمة في إبهام الساعة -، التي هي موتُ الدنيا لينتظرها أبناء الدنيا[1]، لهذا كان في خفاء الأجل مقصدا عظيما يبقي جذوة التعلّق بالخلاص متّقدة مهيمنة على كيان الإنسان، فتدفعه نفسيا للاستعداد السنني لنيل رضا الرحمن.

1 - إيجاد دافع التضحية:

كان النورسي مندفعا إلى التضحية في مباشرة التعامل مع الدنيا ومشاكلها في كنف نظرة تهيمن عليها العناية بالمقاصد السامية، فقد كان حينما اشتد خناق الأمراض وألوان الغربة وأنواع الظلم عليه، ووجد أن علاقاته تنفصم مع الدنيا لاح بين ناظريه أنّ الإيمان يرشده بأنّه مرشح لدنيا أخرى أبدية، وأنّه مؤهل لمملكة باقية وسعادة دائمة. ففي هذه الأثناء ترك كل شيء تقطر منه الحسرة ويجعله يتأوه ويتأفف، وأبدله بكل ما يبشّر بالخير والفرح ويجعله في حمدٍ دائم. ولكن أنّى لهذه الغاية أن تتحقق وهي غاية المنى ومبتغى الخيال وهدف الروح ونتيجة الفطرة، إلاّ بقدرة غير محدودة للقدير المطلق، يعرف جميع حركات مخلوقاته وسكناتهم قولاً وفعلاً، بل يعرف جميع

---

1 - انظر المثنوي العربي 445

أحوالهم وأعمالهم ويسجلها كذلك. وأنّى لها أن تحصل إلاّ بعنايته الفائقة غير المحدودة لهذا الإنسان الصغير الهزيل المتقلب في العجز المطلق، حتى كرّمه واتخذه خليلاً مخاطباً، واهباً له المقام السامي بين مخلوقاته.[1]

لقد وضعت الحكمة الإلهية ميلا وشوقا في الإنسان لإدامة النسل. ووضع أجرة لأداء تلك الوظيفة الفطرية، وهي اللذة. فالرجل ربما يتحمل مشاق ساعة لأجل تلك اللذة التي تدوم عشر دقائق - إن كانت مشروعة - بينما المرأة، تحمل في بطنها الطفل حوالي عشرة أشهر، مقابل تلك المتعة التي تدوم عشر دقائق، فضلا عما تتحمل من مشقات طوال عشر سنوات من أجل طفلها. بمعنى أن تلك اللذة التي تدوم عشر دقائق تزيل أهمية ذلك الميل الفطري، حيث تسوق إلى هذه المصاعب الكثيرة والمتاعب المستمرة.[2]

2 - تحمّل تبعات السير في مسلك الإيمان

يسعف المرء بقوّة داخلية تدفعه إلى التحمّل باكتشاف جزء من حكمة الله في خلق الإنسان التي هي نقطة من بحر المقاصد، إذ أنّ كل إنسان في كلّ زمان ومكان، له نصيبه من المصائب الجارية إما قلباً أو روحاً أو عقلاً أو بدناً، ويعاني من العذاب والرهق ما يعاني، ولاسيّما أهل الضلالة والغافلين حيث أنّهم

---

1 - الشعاعات 75

2 - الملاحق 341

غافلون عن الرحمة الإلهية الشاملة والحكمة السبحانية الكاملة، فمن حيث إنسانيتهم وعلاقتهم بالبشرية يتعذّبون بالآلام الرهيبة المفجعة التي تعانيها البشرية في الوقت الحاضر، فضلاً عن آلامهم أنفسهم، ذلك لأنّهم قد تركوا وظائفهم الحقيقية وأمورهم الضرورية وأعاروا سمعهم بلهفة إلى مالا يعنيهم من صراعات سياسية وشؤون آفاقية، وحوادث خارجة عن طوقهم، ويتدخّلون فيها حتى جعلوا أرواحهم حائرة وعقولهم ثرثارة، وسلبوا من أنفسهم الإشفاق والرثاء عليهم، حسب قاعدة " الراضي بالضرر لا ينظر له" أي من يرضى لنفسه الضرر لا يستحق النظر إليه برحمة. فلا يُرثى لهم ولا يُشفق عليهم، فهم الذين قد سببوا نـزول البلاء بهم.([1])

النظر في الكون والحياة في إطار المقاصد الشرعية يسهم في الكشف عن الحكمة الإلهية الجزئية المتجلية في عالم الأشخاص والأشياء، فترى تلك الحقائق في كل حادثة وفي كل شيء، لمشاهدة الأمور بمنظار نور دروس الإيمان التحقيقي المتلقى من رسائل النور.وبذلك يشاهد في كل شيء كمال الحكمة الإلهية، وجمال عدالتها، ويستعينون بها على مجابهة المصائب - التي هي من إجراءات الربوبية الإلهية بالبشر - بالتسليم التام لأمر الله

[1] - انظر الملاحق 341

فيبدي الرضا به، ولا يقدّم شفقته على الرحمة الإلهية كي يقاسي العذاب والألم.[1]

تخرج تلك النظرة الإنسان من الغفلة عن سلطان الكون ومنظّمه، وبهذا يتحرر من عقلية الشاكي القائل بأن ماهية العالم المنظمة بدستور الحكمة الأزلية غير مستعدة لإنجاز الأمر الذي يطلبه، والشيء الذي يبغيه، والحالة التي يشتهيها، ولا يسمح به قانون الفلك المنقش بيد العناية الأزلية، ولا توافقه طبيعة الزمان المطبوعة بمطبعة المشيئة الأزلية، ولا تأذن له الحكمة الإلهية المؤسّسِة للمصالح العامة.. لذا لا يقطف عالمُ الممكنات من يد القدرة الإلهية تلك الثمرات التي نطلبها بهندسة عقولنا وتَشَهّي هوانا وميولنا. وحتى لو أعطتها لَماَ تمكن من قبضها والاحتفاظ بها، ولو سقطتْ لمَا تمكّن من حملها. نعم لا يمكن أن تسكن دائرة عظيمة عن حركاتها المهمة لأجل هوى شخصي...[2]، فالإفادة من المقاصد يفرض الانسجام معها في سيرها الجزئي والكلي.ويسهم هذا الانسجام في خدمة الحياة الاجتماعية البشرية، ويعين الأخلاق والمثل الإنسانية، ويمهّد السبل للرقي الصناعي، ذلك أنّها في وفاق ومصالحة مع القرآن الكريم، بل هو خادم لحكمة القرآن، ولا يعارضها، ولا يسعه ذلك.[3]وسيفضي الأمر

---

1 - انظر الملاحق 153

2 - انظر الملاحق 206

3 - انظر الملاحق 286

إلى التعلّق بالمعالي والمقاصد الكلية والغايات الرفيعة، فيبتعد المنشغل بالمقاصد الشريفة عن تنسيق الكلمات وتنظيم الألفاظ، ويجعل شغله الشاغل إحياء الحس الديني والشعور الإيماني ومفهوم الفضائل والأخلاق أمنيته ومبتغاه بترسيخها في الأرواح والوجدان والأفكار لتنتقل عبر العصور والدهور للأجيال القادمة.[1]

يؤسس النظر في الغايات لقبول التنوّع كظاهرة إسلامية إنسانية، إذ لا يفسد التنوّع للود قضية، ذلك أنّ تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح. ولكن إن كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار.[2]

النظرة الكلية الشاملة تبيّن مركزية الإنسان في الكون، ويشهد لهذا المعنى أنّ موجودات العالم قد صُممت بطراز يشبه دائرة عظيمة، وخُلقت الحياة لتمثّل نقطة المركز فيها، ثم نرى أن

1 - انظر سيرة ذاتية 32

2 - انظر المكتوبات347

موجودات عوالم ذوي الحياة هي الأخرى قد أوجدت على شكل دائرة واسعة بحيث يتبوّأ الإنسان فيها مركزها، فالغايات المرجّوة من الأحياء عادة تتمركز في هذا الإنسان.والخالق الكريم سبحانه يحشّد جميع الأحياء حول الإنسان ويسخّر الجميع لأجله وفي خدمته، جاعلاً من هذا الإنسان سيداً عليها وحاكماً لها. فالخالق العظيم إذن لم يكتف باصطفاء الإنسان من بين الأحياء فقط،بل يجعله موضع إرادته ونصبَ اختياره.[1]

رؤية الكون في سياق نظرة مقصدية يسهم في تثبيت فكرة العدالة الكونية في النفس، يمكّن لمظاهرها العظيمة في الجوانب المادية والمعنوية من العقل و القلب.

يضرب الأستاذ أروع الأمثلة لتحقيق ذلك الهدف،فيذكر بأسلوب تربوي لافت للانتباه؛ فيقول:أنظر أيها الإنسان المعاند إلى ما أظهره السلطان من معجزات متنوعة في سائر الأماكن، فما رأيته هنا في المعرض، أوفي الميدان، أوفي القصر، من الأمور العجيبة له نماذج في كل مكان، إلاّ أنه يختلف من حيث الشكل والتركيب، أيها المعاند ، أنعم النظر في هذا، لترى مدى ظهور اِنتظام الحكمة، ومبلغ وضوح إشارات العناية، ومقدار بروز أمارات العدالة، ودرجة ظهور ثمرات الرحمة الواسعة، في تلك القصور المتبدّلة، وفي تلك الميادين الفانية، وفي تلك

---

1 - انظر المكتوبات

المعارض الزائلة. فمَن لم يفقد بصيرته يفهم يقيناً أنه لن تكون - بل لا يمكن تصور - حكمة أكملَ من حكمة ذلك السلطان ولا عناية أجملَ من عنايته، ولا رحمة أشمل من رحمته، ولا عدالة أجلّ من عدالته.... إنكار ذلك حماقة فاضحة، كحماقة من يرى ضوء الشمس وينكر الشمس نفسَها في رابعة النهار! ويلزم أيضاً القول بأن القائم بما نراه من إجراءات تتسم بالحكمة وأفعالٍ ذات غايات كريمة وحسنات ملؤها الرحمة إنما يلهو ويعبث ويغدر - حاشاه ثم حاشاه - وما هذا إلا قلب الحقائق إلى أضدادها، وهو المحال باتفاق جميع ذوي العقول غير السوفسطائي الأبله الذي يُنكِر وجودَ الأشياء، حتى وجودَ نفسه.[1]

رابعا: دفع الغفلة العامة

ينطدفع الإنسان إلى العمل بمقتضى القناعات المستفادة من المقاصد الشرعية، تلك القناعات المرتبطة بحكم لا حصر لها تحقق مجموعة لا حدّ لها من النتائج الإيجابية على تصرّف الإنسان، كالاستفادة منها في دفع الغفلة، فالحكمة المترتّبة عن المقاصد تدفع الغفلة العامة بتحقيق المراد من المقاصد نفسها في تصرّفات الإنسان، ولا ينال الإنسان المراد إلا إذا اكتشف طوره باكتشاف صلته بخالقه،وقبل ذلك معرفة خالقه الذي"لا يُسأل عما يفعلْ.فلا حقّ لشيء ولا لعلمٍ ولحكمةٍ اَن يَسأل عنه، إذ يتصرّف

1 - انظر الكلمات57

في مُلكه كيف يشاء وهو عليم حكيم.يعلم ما لا نعلم. فعدم علمنا بحكمةِ شيء لا يدلّ على عدمها.إذ شهود الحكمة في الأكثر المطلق شاهدٌ على وجود حكمة مستورة عنا هنا أيضاً.[1]، فوازن مثلا بين الأهلية والوحشية كَيْ ترى بعض حكمها ظاهرةً باهرةً.[2]

لاحظ جيّدا حرصه على التنبيه العقلي و القلبي في قالب تذكير واحد، ولا شكّ أنّ الغرض الرئيس من التنبيه تحصيل دفع الغفلة وتأسيسا للحضور الباطني والظاهري للحقائق الإيمانية، وما يترتّب عليها من دفع الغفلة بجميع أبعادها وأنواعها (الفكرية والتربوية والاجتماعية...)

خامسا: أهميته في صناعة الوعي

تسهم معرفة المقاصد في صناعة وعي الإنسان بالكون ووظيفته إضافة إلى وظيفة الإنسان، نظره في الآفاق (الكون) والأنفس (الإنسان)، وفق المقاصد التي حدّدها له خالقه، فيكون المقصد في المسير شاحذا للهمم ومنشّطا للعزائم، فيكتشف الإنسان قيمته بنسبة ماهيته.. وماهيته بدرجة همته.. وهمته بمقدار أهمية المقصد الذي يشتغل به.[3] وبقدر علو المقصد تتعالى همّة الإنسان وتكبر وظيفته، إنّ الذي تسكن كيانه المقاصد

1 - انظر المثنوي العربي 446، 450

2 - المثنوي العربي النوري 451

3 - صيقل الإسلام 464

السامية تصيّره بكرم الله ومنّه مرآة عاكسة للإسلام وحامي ثماره. ومثالاً مشخّصاً للأمة الإسلامية، إذ الهمّة تتعالى بعلو المقصد، والأخلاق تتسامى وتتكامل بغليان الحميّة الإسلامية.[1] التي تصنعها المقاصد السامية في قلوب الملتزمين بمقتضياتها. وتنتهي بهم إلى مواقف اجتماعية تؤكّد التزامهم تجاه أمّتهم والأسرة الإنسانية.ذلك أنّ حياتهم التي تتوجه إلى مثل هذه الغايات المثلى، وهي الجامعة لمثل هذه الخزائن القيّمة.. لا يليق عقلاً وإنصافاً أن تُصرف في حظوظ تافهة، تلبية لرغبات النفس الأمّارة، واستمتاعاً بلذائذ دنيوية فانية، فتهدر وتضيّع بعد ذلك.[2]

سيدفع الإنسان إلى التعلّق بالمعالي إذا تمثّل ظاهرا وباطنا المقاصد الجليلة، وخاصة إذا نظر إليها من زاوية السرّ في وفرة الأجهزة التي منحت له وغناها، "إنّ حواسَّ الإنسان ومشاعره قد اكتسبت قوةً ونماءً وانكشافاً وانبساطاً أكثر، لما يملك من الفكر والعقل، فقد تبايَن كثيراً مدى استقطاب حواسه، نظراً لتباين وكثرة احتياجاته. لذا تنوعت أحاسيُسه وتعددت مشاعرُه.. ولأنه يملك فطرةً جامعةً فقد أصبح محوراً لآمالٍ ورغباتٍ عدة ومداراً للتوجّه إلى مقاصدَ شتّى..

ونظراً لكثرة وظائفه الفطرية فقد انفرجت أجهزتُه وتوسّعت.. وبسبب فطرته البديعة المهيّأة لشتى أنواع العبادة فقد

1 - صيقل الإسلام 464

2 - انظر الكلمات 140

مُنح استعداداً جامعاً لبذور الكمال، لذا لا يمكن أن تُمنح له هذه الأجهزة الوفيرة إلى هذه الدرجة الكثيفة لتحصيل هذه الحياة الدنيوية المؤقتة الفانية فحسب، بل لابدّ أنّ الغاية القصوى لهذا الإنسان هي أن يفي بوظائفه المتطلّعة إلى مقاصدَ لا نهاية لها، وأن يعلن عجزَه وفقره بجنب الله تعالى بعبوديته، وأن يرى بنظره الواسع تسبيحات الموجودات، فيشهد على ذلك ويطّلع على ما تمدّه الرحمة الإلهية من إنعام وآلاء فيشكر الله عليها، وأن يعاين معجزات القدرة الربانية في هذه المصنوعات فيتفكر فيها ويتأمّل وينظر إليها نظر العبرة والإعجاب.[1]

تعلّق الإنسان بالمقاصد حين مباشرة العيش في الدنيا يسعفه في تجاوز الضغوط التي تعترض طريقه، فإذا اشتد خناق الأمراض وألوان الغربة وأنواع الظلم عليه، ووجد أنّ علاقاته تنفصم مع الدنيا، اكتشف أنّ مقصد الإيمان في مجمل مضامينه وتجلياته - وخاصة التوحيد والنبوة والحشر - يرشده بأنّه مرشّح لدنيا أخرى أبدية، وأنّه مؤهل لمملكة باقية وسعادة دائمة، ففي هذه الأثناء يترك كلّ شيء تقطر منه الحسرة ويجعله يتأوه ويتأفف، وأبدله بكلّ ما يبشّر بالخير والفرح ويجعله في حمدٍ دائم. ولكن أنّى لهذه الغاية أن تتحقق وهي غاية المنى ومبتغى الخيال وهدف الروح ونتيجة الفطرة، إنّه لا طريق لتحصيلها إلاّ بقدرة

1 - الكلمات 367

القدير المطلق الذي يعرف جميع حركات مخلوقاته وسكناتهم قولاً وفعلاً، بل يعرف جميع أحوالهم وأعمالهم ويسجّلها كذلك. وأنّى لها أن تحصل إلاّ بعنايته الفائقة غير المحدودة لهذا الإنسان الصغير الهزيل المتقلّب في العجز المطلق حتى كرّمه، واتخذه خليلاً مخاطباً، واهباً له المقام السامي بين مخلوقاته[1].

أهمية: أهمية المقاصد في تنبيه المخاطب

يتميّز الأستاذ بديع الزمان باستعمال النصيحة والموعظة المعروضة في قالب يمزج بين مخاطبة العقل والعاطفة، لهذا يركّز على لفت انتباه القارئ أو المسترشد إلى النظر في الآفاق والأنفس تيسيرا لتبليغ المعاني التربوية بمختلف أبعادها.

يخاطب قلب الإنسان وعقله، فيخاطبه في كنف استحضار المقاصد التي يتوخى خالقه تنبيهه إليها، ذلك أنّك أيّها الإنسان إن نظرت إلى الكون في كنف المقاصد تتنبّه إلى الشواهد الجزئية المتناثرة في الكتاب المنظور(الكون)بطريقة حكيمة، تؤيّدها الشواهد المبثوثة في الكتاب المسطور(القرآن الكريم)، "فهذه الخواتيم القرآنية التي تُمهَرُ بها الآيات مع تأييدها لآياتها، ترفع رأس المخاطب من الجزئي المشتّت غلى الكلي البسيط الواضح، ومن الجزء المفصّل إلى الكلّ المجمل. وتوجِّه نظره إلى المقصد الأعلى.. [2]".

---

1 - اللمعات 389

2 - المثنوي العربي النوري 267

أ - التخلّق بالأخلاق الإلهية

النظرة المقصدية للكون والحياة وفق التصوّر الإسلامي المستفاد من رسائل النور تسعف متبنيها على تبني الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية، فتتعلّق الهمم بالتخلّق بالأخلاق الإلهية، "التي تعني التحلي بالسجايا السامية والخصال الحميدة - التي يأمر بها الله سبحانه - وأن يعلم الإنسان عجزَه فيلتجئ إلى قدرته تعالى، ويرى ضعفَه فيحتمي بقوته تعالى، ويشاهد فقره فيلوذ برحمته تعالى، وينظر إلى حاجته فيستمد من غناه تعالى، ويعرف قصوره فيستغفر ربه تعالى، ويلمس نقصه فيسبّح ويقدّس كماله تعالى.[1] ويتوكّل عليه حق التوكّل، التوكّل الذي يعني أخذ الأسباب، ذلك أنّ التوكل في ترتيب المقدمات كسل، بينما تفويض الأمر إلى الله في ترتّب النتيجة توكل يأمر به الشرع.[2]

2 - التنبيه العلمي والمنهجي

أ - الكشف عن أهمية الكتاب الكريم

ترمي المقاصد إلى إعادة القرآن الكريم إلى صدارة مصادر التوجيه المعرفي والمنهجي، إذ العلاقة بين المقاصد ومصدرها الأصلي والأساسي وثيقة لا تنفك، بحيث يعد فقده سببا في فقد أثر المقاصد نفسها في حياة الإنسان أو على الأقل يكون تغييبه سببا

---

1 -انظر الكلمات642

2 - انظر اللمعات 870

في اختلاف الأقوال والرؤى في مقاصد وجود الإنسان، لهذا كان حضور المقاصد في وعي المسلم حضورا للتوحيد في مضامينه المعرفية(توحيد المعارف التي تسعف في استيعاب الرؤية للآفاق والأنفس)من هنا يعمل على عودة القرآن إلى صدارة التوجيه، لأن"وجود ذلك المعلم الأستاذ الذي نشاهده ونسمع خطابه، إذ لولاه لذهبت تلك المقاصد هباء منثوراً، كالكتاب المبهم الذي لا يُفهم معناه، ولا يبينه أستاذ، فيظل مجرد أوراق لا معنى لها!.."[1]، ولهذا يمثّل القرآن الكريم مصدرا معرفيا أساسيا في معرفة مقاصد الخالق في خلق الخليقة من جهة، ووسائل تحقيق تلك المقاصد من جهة أخرى.

ب - التنبيه إلى البعد المنهجي

ترمي رسائل النور في مقاصدها الفرعية إلى التربية المنهجية لطلاّبها، حتى ليغدو بالنسبة إليها التعلّق بالتفكير المنهجي من متطلّبات المقاصد الكلية من جهة مضمونها ثم من جهة تبليغها وتمكينها في المجتمع، لهذا تقرر الرسائل أنّ وسيلةً حقة (ولو كانت في باطل) غالبةٌ على وسيلةٍ باطلة (ولو كانت في الحق).[2]

كما أنّه من الرتبة المنهجية أن يتعلّق الإنسان بالأسباب الموجبة لإيجاد النتائج المرتبطة بها ارتباطا سننيا (منطقيا)، فلا نرمي إلى الصعود باتّخاذ طريق النـزول أو العكس، كما أننا لا

---

1 - انظر الكلمات 132

2 - انظر اللمعات 871

يمكن أن نفتّش عن الفعالية بغير سبلها الموضوعية والسننية، الفعالية ترجع إلى التضحية والتضحية مصدر قوّتها القوة المعنوية التي توجبها، وبهذا الصدد يتساءل الأستاذ النورسي :"ما الحكمة في القوة المعنوية في تحمل هذا المضحي، لأشد الظلم النمرودي من أعداء الوطن والدين المستترين، وفي عدم مواجهته القوة المادية بالرد المادي التخريبي؟ فها أنا أعلن لكم ولأهل الوجدان كلهم جميعاً:إنّ القرآن الحكيم قد علّمه ذلك لأجل ألا يتضرر تسعون بريئاً بسبب زنادقة ملحدين نسبتهم عشرة في المائة، ومن أجل المحافظة على الأمن والنظام في الداخل بقوّته كلها، ومن أجل نصب حارس في قلب كل إنسان بدروس النور.ولولا ذلك، لانتقمتُ في يوم واحد من أعدائي الذين ظلموني مدة ثمان وعشرين سنة.لهذا لا ترى الأستاذ مدافعا ضد من يهين عزته وكرامته حفاظاً على الأمن من أجل الأبرياء، ويقول:أنا مستعد للتضحية بحياتي الدنيوية من أجل ملة الإسلام، بل حتى بحياتي الأخروية إن لزم الأمر."(1)

3 - السننية في التفكير

النظر بعيني العقل والقلب في المقاصد المطلوبة أو المرسومة، يسعف المتأمّل في التأسيس للتفكير السنني، لحمة التفكير المنهجي، من هنا كان النظر في المقاصد بعين التأمّل

---

1 - سيرة ذاتية 463

مسعفا رئيسا في التأسيس للتفكير المنهجي، مثاله الامتثال والطاعة لقانون التكامل والرقي للصانع الجليل - الجاري في الكون على وفق تقسيم الأعمال - فرض وواجب، إلاّ أن الطاعة لإشارته ورضاه سبحانه الكامنين في ذلك القانون لم يوف حقها.علماً أن يد عناية الحكمة الإلهية - التي تقتضي قاعدة تقسيم الأعمال - قد أودعت في ماهية البشر استعدادات وميولاً، لأداء العلوم والصناعات التي هي في حكم فرض الكفاية لشريعة الخلقة ."[1]

كما يستفاد التفكير المنهجي من التنبيه المستمر إلى وجوب استصحاب التحليل السنني في التعامل مع الظواهر بجميع أشكالها و أنواعها، وخاصة المتعلّقة بمسائل الدين، فمنها إشارته إلى أنّ مما يشوش أفكار الظاهريين، ويخلّ بخيالاتهم، اعتقادهم أن دلائل صدق الأنبياء عليهم السلام، محصورة ضمن خوارق العادات. واعتبارهم أن جميع أحوال رسولنا الكريم ρ وحركاته - أو معظمها - لا بد أن تكون خارقة. وهذا ما لا يسمح به الواقع، لذا لا يستقيم ولا يصلح لهم ما يتخيلون. إذ أن اعتقاداً كهذا غفلة عظيمة عن سر الحكمة الإلهية في الوجود، وعن تسليم الأنبياء عليهم السلام مقاليد الانقياد إلى قوانين الله الجارية في العالم."[2]

أ - رؤي-ة أثر الحكمة

---

1 - سيرة ذاتية 503

2 - صيقل الإسلام/محاكمات - ص: 65

كما يسهم النظر إلى الكون - بما يتوزّع عليه من مقاصد كلّية وجزئية - في التأسيس لرؤية الحكمة الفائقة في الأفراد والجماعات بل وكل عناصر الكون المادية والمعنوية، " أنظر، كيف تُنجز الأعمال هنا بحكمة فائقة وبانتظام بديع، وتأمّل كيف يُنظر إلى المعاملات بمنظار عدالةٍ حقة وميزانٍ صائب."[1]

ب - تيسّر تفسير سير الحياة وتنظيم الكون

تيسّر نظرة المقاصد المستفادة من القرآن الكريم المبثوثة في رسائل النور تفسير سير الكون فضلا عن نشأته ومصيره، فالنظر إليه في إطار المقاصد يؤكّد أنّ جميع عناصر الكون ومظاهرها المادية والمعنوية إنّما جعلت لخدمة الإنسان، لأنّ الإنسان هو أشرف الأسباب وأوسعها اختياراً وأشملها تصرفاً في الأمور، وهو في أظهر أفعاله الاختيارية، كالأكل والكلام والفكر -التي كلّ منها عبارة عن سلسلة عجيبة وفي غاية الانتظام والحكمة - ليس له نصيب منها إلاّ واحداً من مائة جزء من السلسلة.[2]

إنّ البشر ثمرٌ لهذه الكائنات، فهو المقصود الأظهر لخالق الموجودات.والقلبُ كالنواة، فهو المرآة الأنوار، لصانع المخلوقات من هذه الحكمة.فالإنسان الأصغرُ في هذه الكائنات هو

---

1 - الكلمات50

2 - الكلمات 727

المدار الأظهرُ للنشر والمحشر في هذه الموجودات، والتخريبِ والتبديلِ والتحويلِ والتجديد لهذه الكائنات."[1]

من هنا كانت جميع الأثمار وما فيها من بذيرات، معجزات الحكمة الإلهية.. خوارق الصنعة الإلهية.. هدايا الرحمة الإلهية.. براهين مادية للوحدانية.. بشائر الألطاف الإلهية في الدار الآخرة.. شواهد صادقة بأن خلاّقها على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم.. فالبذور والأثمار، مرايا الوحدة في أقطار عالم الكثرة، وفي أطراف هذه الشجرة المتشعبة كالعالم، تُصرف الأنظارَ من الكثرة إلى الوحدة."[2]، فلفظ " متاعاً" في الآية([3])أشار إلى الثمرات العجيبة الصنعة والحكمة اللامتناهية وهو في ذات الوقت تأسيس عقدي إلى عزل الأسباب الظاهرية الجامدة عن التأثير الحقيقي.[4]

إنّ النظر إلى الكون من زاوية المقاصد الشرعية يسهّل فهم المعطيات الكونية، فالبذورُ والأثمارُ، والحبوبُ والأزهارُ معجزاتُ الحكمة.. خوارقُ الصنعة.. هدايا الرحمة.. براهينُ الوحدة.. شواهدُ لطفِه في دار الآخرة.. شواهدُ صادقة بأنّ خلاّقها على كل شيء قدير وبكلّ شيء عليم. قد وَسِع كلّ شيء بالرحمة

1 - الكلمات 732

2 - الكلمات 733

3 -

4 - المثنوي العربي النوري 461

والعلم والخلق والتدبير والصنع والتصوير. فالشمسُ كالبذرة، والنجمُ كالزهرة، والأرضُ كالحبّة، لا تثقل عليه بالخلق والتدبير، والصنُع والتصوير. فالبذور والأثمار مرايا الوحدة في أقطار الكثرة، إشاراتُ القَدَر، رموزاتُ القُدْرَة بأنّ تلك الكثرة من منبع الوحدة، تصدُرُ شاهدةً لوحدِة الفاطر في الصنع والتصوير. ثم إلى الوحدة تنتهي ذاكرةً لِحكمة الصانع في الخلق والتدبير.. وتلويحات الحكمة بأنّ خالق الكلّ - بكُلِّيةِ النَظَر إلى الجزئي - ينظُرُ ثَمَّ إلى جزئه، إذ إن كان ثمراً فهو المقصود الأظهرُ مِن خلق هذا الشجر[1]

النظر في مقصد التوحيد المبثوث في الكتابين المسطور والمنظور، ييسّر فهم الكون واستيعاب معانيه وحكمه، بخلاف الشرك الذي يجعل الكون مستعصيا على الفهم، " فيا مَن له أدنى شعور - ولو كشعرة - هل يمكن مشاهدة هذه السهولة المطلقة في الجود المطلق في رخيصية مطلقة ومع شهود هذه الحكمة العامة في الانتظام المطلق، أن يستند خلق الشيء كهذه الرمانة مثلاً إلى أسباب جامدة، لكن تجلب جهازات أكثر الأشياء لتصنيع ذلك الشيء الواحد الذي هو مثال مصغر لكل تلك الأشياء.. وان لا تكون لهذه الرمانة غاية إلاّ أكلها في دقيقة للذة حيوانية."

1 - الكلمات 732

ويسعف النظر في الدلالات الجزئية على الحكمة نفسها المستفادة من النظر في الكون، أنظر مثلا، كيف تساعد الحكمة التي وظّفت رأس الإنسان في حواسه، بوظائف عديدة، لو خصّصت لكل وظيفة منها في رأس الإنسان مقدار خردلة لصار رأس الإنسان كجبل الطور."[1]، والأعجب أن ترى الحكمة نفسها في جميع مظاهر الكون المادي، فترى دقّة الصنعة في الرمانة التي منتهى غايتها أكلك في لحظة غفل، فمحال ظاهر أن يثمر رأسك جبلاً من الأثمار، وأن لا يثمر مثل الجبل الاّ ثمرة كرأسك.إذ يلزم حينئذٍ جمع نهاية الحكمة مع نهاية العبثية، وهو من أمحل المحال وأبطل الباطل، بل تلك الرمانة، كأمثالها تضمنت قصيدة في بيان الأسماء الحسنى، فأفادت معانيها، فوقّت فتوقّت فدفنت من فيك فيك."[2]

أبصر في نفسك والكون الذي حولك بالمقاصد المبثوثة فيه، فترى العَدل الحاكم، هو الحكمُ الفرد، هو العادل الحكيم.. إذ هو الذي أسّس بنيان الكائنات، بمسطر المشيئة، بالحكمة النظّامة.. أصول حكمته رابطة الموجودات.. ففصّل الموجودات بدستور القضاء، بقانون القدر.. قوانين القدرة، خيّاطة الصور، لقامة المصنوعات.. فنظّم الكائنات بناموس السُنّة، بقانون العادات.. نواميس السنّة، قوانين العادة.. نظّامة المخلوقات.. " إذ يفعل ما

1 - المثنوي العربي النوري 467

2 - انظر المثنوي العربي النوري 467

يشاء ويحكم ما يريد " في الأرض والسموات.. بتلطيف الرحمة، بتكريم العناية.. قد زيّن الكائنات.. نواميس الرحمة.. دساتير العناية.. حسّانة المصنوعات وزينة الموجودات.. فنوّر الكائنات.. بجلوة الأسماء تجلّي الصفات.. تظاهرات الأسماء.. في جَلوات الصفات.. نوّارة الموجودات.. في الأرض والسموات.[1]

نرى بين دلالة الحكمة على المقاصد ودلالة المقاصد على الحكمة تداخلا كبيرا، بحيث تكون كل واحدة منهما طريقا للأخرى فالزهر والثمر.. والحب والبذر.. معجزات الحكمة.. هدايا الرحمة.. براهين الوحدة.. بشائر لطفه.. في دار الآخرة.. شواهد صادقة.. بأنّ صانعها بكلّ شيء عليم.. لكل شيء قدير.. قد وسع كل شيء.. بالرحمة والعلم.. باللطف والتدبير.[2]، فتشاهد كل نوع من آلاف الأنواع الأحياء التي تزيد على خمسين مليوناً على الكرة الأرضية، يلبس أقمصته المزركشة المنسقة ويبدّلها كل سنة، بل لا يبقى جناح واحد وهو عضو واحد من مئات أعضاء الذباب الذي لا يعد ولا يحصى، لا يبقى هذا العضو هملاً ولا سدىً بل ينال نور القصد والإرادة والحكمة. مما يدل على أن الأفعال والأحوال الجليلة للكرة الأرضية الضخمة - التي هي مهد ما لا يحد من ذوي المشاعر وحضارتهم ومرجعهم ومأواهم - لا تبقى خارج الإرادة والاختيار والقصد الإلهي، بل

---

1 - المثنوي العربي النوري 473

2 - المثنوي العربي النوري 475

لا يبقى أي شيء خارجها، جزئياً كان أم كلياً[1].والنظر في الكتاب المسطور يؤكّد الحقيقة نفسها لقد تحوّلت بذلك النور حركاتُ الكائنات وتنوعاتُها وتغيراتُها من العبثية والتفاهة وملعبة المصادفة إلى مكاتيب ربانية، وصحائف آياتٍ تكوينية، ومرايا أسماء إلهية.حتى ترقى العالمُ وصار كتاب الحكمة الصمدانية[2]، كما أن النظر في مقصد التوحيد ييسّر لك فهم تلك الحكمة المتناثرة بإحكام في الكل.

تقرر أبعاد المقاصد أنّ للمقاصد السامية حال التزام بها آثارا عظيمة على الإنسان، كما أنّ الغفلة عنها أو إهمالها المطلق يأسر الإنسان بمقاصد تافهة تدمّر حياة الفرد والمجتمع، من هذا المنطلق نركّز على الآثار الإيجابية للعناية الفعلية بالمقاصد السامية، كما سنوضّح خطر إهمالها على الإنسان والمجتمع والأسرة الإنسانية.

سابعا:أهمية المقاصد في التأسيس للبعد الاجتماعي

1 ـ الكشف عن قيمة الإنسان:

قيمة المجتمع من قيمة الإنسان، والمجتمع الذي لا قيمة للإنسان فيه لا يعير أي قيمة للمجتمع، ومبنى تلك القيمة المقاصد التي تتوخّى الرسالة تحقيقها، فإذا كانت المقاصد إنسانية كان المجتمع المنشود إنسانيا، ذلك أنّ قيمة الإنسان في الرسالة تتعلّق

1 ـ الكلمة الرابعة عشرة 198

2- الكلمات 257

بمقاصدها فيه، لأنّه لا يمكن أن يكون شيء موهوم مبدءاً لحقيقة خارجية. فنقطة الاستناد والاستمداد حقيقتان ضروريتان مغروزتان في الفطرة والوجدان، حيث إنّ الإنسان مكرّم وهو صفوة المخلوقات، فلولاهما لتردى الإنسان إلى أسفل سافلين، بينما الحكمة والنظام والكمال في الكائنات يردّ هذا الاحتمال."، فالمقاصد المتجلية في الكتابين المسطور (القرآن الكريم)والمنظور(الكون بما فيه الإنسان)، تكشف عن أهمية الإنسان بالنسبة لرسائل النور إضافة إلى البعد الإنساني في المسعى الاجتماعي من جهة والوظيفة الكلية للرسالة التي تمثّلها رسائل النور من جهة أخرى.

وترجع القوّة المعنوية في رسائل النور إلى وجود محفّزات موضوعية فاعلة في إيجاد دافعية فعل الخير وحمايتها، فمثلا، كما أن وجود الجنة والنار ضروري في الآخرة فإنّ الغلبة المطلقة ستكون للخير وللدين الحق في المستقبل، حتى يكون الخير والفضيلة غالبين في البشرية كما هو الأمر في سائر الأنواع الأخرى، وحتى يتساوى الإنسان مع سائر إخوانه من الكائنات، وحتى يحق أن يقال في حقه: " أنّه قد تحقق وتقرر سرّ الحكمة الأزلية في النوع البشري أيضاً."[1]

2 – طريق جلب السعادة الدنيوية:

---

1 - صيقل الإسلام504

من بين الأهداف التي ترمي إلى تحقيقها المقاصد بطريقة موضوعية، التأسيس لفاعلية حياة الإنسان المسلم من خلال ربطها بالمقاصد مع تحديد الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك المسعى، ولعلّ من الأهداف السامقة التي خدمتها مجموع المقاصد الكلية والفرعية رسم طريق جلب السعادة الأبدية كهدف نهائي للمسير البشري.

يعود ما ناله المسلمون عربا وعجما من سعادة دنيوية إلى تسليم أمرهم لله تعالى والرضا بقضائه وقدره ، فقد كانوا يرون الحكمة في المقاصد الكلية، ويتلقون دروس العبرة من الحوادث بدلاً من الرهبة والهلع منها.[1]

3 – عنصر قوّتنا المادية والمعنوية:

تعدّ المقاصد الأصلية الخلفية النظرية لعنصر قوّتنا و فعاليتنا المادية والمعنوية في الحياة المعيشة، فمرد شجاعتنا وبطولاتنا على مرّ التاريخ التزامنا بمضامين الأوامر الإلهية، وقد ثبت ذلك بمنطوق القرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح، وأيّدتها التجربة والحكمة الموزّعة كالدرر المنتظم في مساحات الكون المترامية الأطراف، إنّ راية الإسلام والتوحيد التي بين أيدينا على مرّ التاريخ كانت سببا قويّا في شجاعتنا وبطولاتنا(2) المتناقلة جيلا عن جيل.

---

1 - صيقل الإسلام519

2 - انظر صيقل الإسلام 540

4 - اكتشاف حكمة الوظيفة:

قراءة المقاصد بعين القلب والعقل يسمح باكتشاف حكمة وظيفة الإنسان على الأرض، لأنّه"لما توجّه نوع البشر نحو المستقبل سأل فن الحكمة المرسل من قبل الكائنات، ومن جانب حكومة الخلقة مستنطقاً:يا بني آدم!من أين؟ وإلى أين؟ ما تصنعون؟ من سلطانكم؟ من أين مبدؤكم وإلى أين المصير؟. فبينما المحاورة، إذ قام سيد نوع البشر محمد ρ وخطيبهم ومرشدهم: أيها السائل نحن معاشر الموجودات أتينا بأمر السلطان الأزلي، مأمورين ضمن دائرة القدرة الإلهية، وقد ألبسنا واجب الوجود المتصف بجميع صفات الكمال، وهو الحاكم الأزلي، حلة الوجود هذه، ومنحنا استعداداً هو رأسمال السعادة.. ونحن معاشر البشر ننشغل الآن بتهيئة أسباب تلك السعادة الأبدية.. ونحن على جناح السفر، من طريق الحشر إلى السعادة الأبدية. فيا أيتها الحكمة اشهدي وقولي مثلما ترين، ولا تخلطي الأمور بالسفسطة."[1]

ولا يتوقف الأمر عند اكتشاف البعد الوظيفي بل يتعدّاه بالتنبيه إلى أصول السعادة الأبدية المخزونة في الالتزام بتلك المقاصد السامية، لأنّ لا يلتئم قبول العبث في الكون مع الثابت بشهادة

1 - صيقل الإسلام 158

العقل والحكمة والاستقراء ذلك النظام المتكامل الدال على السعادة الأبدية، لأنّ العدم يحيل كل شيء إلى العبث.[1].

5 - التعرّف على الحكمة

لا يكون النظر إلى الكائنات نظر حكمة، إلاّ إذا أبصرها الإنسان في إطار رؤية مقصدية، تحتكم إلى المقاصد المبثوثة في جميع مظاهر الكون، تلك النظرة التي تجعلك ترى الدنيا كأنّها شجرة عظيمة متناغمة، فكما أنّ الشجرة لها أغصان وأوراق وأزاهير وثمرات، ففي العالم السفلي - الذي هو شقّ من شجرة الخلقة - تشاهد أيضاً أنّ العناصر بمثابة أغصانه، والنباتات والأشجار في حكم أوراقه، والحيوانات كأنها أزاه-يره، والأن-اسي كأنهم ثمراته، فالقانون الإلهي الجاري على الأشجار يلزم أن يكون جارياً أيضاً على هذه الشجرة العظمى، وذلك بمقتضى اسم الله " الحكيم "، لذا فمن مقتضى الحكمة أن تكون شجرة الخلقة هذه ناشئة أيضاً من نواة، وأن تكون النواة جامعةً نم-اذج وأسس سائر العوالم فضلاً عن احتوائه على العالم الجسماني، لأنّ النواة الأصلية للكائنات المتضمنة لألوف العوالم ومنشأها لا يمكن أن تكون مادة جامدة قط. [2]

النقطة الثانية:مفسدات فاعلية المقاصد

---

1 - صيقل الإسلام160

2 - الكلمات 692

لا يستفيد المرء من معرفة المقاصد الحقة من الخليقة ما لم يتحرّر عقلا وقلبا من مجموعة من المكدّرات المعنوية والمادية، لهذا لا تنفع المعرفة المجملة أوالتفصيلية للمقاصد بتمكّن تلك المنغّصات من قلوب وعقول المكلّفين، بل ينبغي أن يحرر مدركها من الوقوع تحت طائلة موانع الاستفادة من إدراك تلك المقاصد الشرعية.

ذكر الأستاذ مجموعة لا يستهان بها من صوارف البال عن القراءة الموضوعية والإيجابية للكون والحياة، ولو أطلق الباحث لنفسه عنان بحثها واستقصائها لما وسعته المجلّدات الطوال، لهذا سنقتصر في هذه العجالة على بعضها.

1 - **النظر إلى الكون من زاوية الشرك:**

يبطل الانتفاع بالمقاصد إذا نظر إلى الكون من زاوية الشرك، ذلك أنّ التدخّل العشوائي للشرك في أي موجود من الموجودات - مهما كـان جزئياً - وفي أي كائن حي - مهما كان بسيطاً أو صغيراً - يفسد تلك الغايات، ويبطل تلك المقاصد، ويصرف الأذهان عن تلك الغايات، وعمن أرادها وقصدها، إلى الأسباب. وهذا ما يخالف ماهية الربوبية المطلقة تماماً ويعاديها. فلابد إذاً أن تمنع هذه الربوبية الواحدة المطلقة الشرك وصوره بأي شكل من الأشكال، فإرشادات القرآن الكريم الغزيرة المستمرة إلى التوحيد، وإلى التقديس والتنـزيه والتسبيح، في آياته الكريمة،

وفي كلماته، وحتى في حروفه وهيئاته، نابعة من هذا السر الأعظم.[1]

تخيّل أنّه قيل للأرض التي هي جندي في جيش السماوات:ققفي لا تتدخلي في أمر التناغم المحدد للوظيفة الجزئية في الإطار الكلي الشامل للمنظومة الفلكية، وأحيل استحصال نتيجة الانتظام وذلك الوضع إلى السماوات نفسها، وسُلكت طريق الكثرة والشرك بدل الوحدة، يلزم عندئذٍ أن تقطع ملايين النجوم كل منها أكبر بألوف المرات من الكرة الأرضية، أن تقطع كل يوم وكل سنة مسافة مليارات السنين في أربع وعشرين ساعة.(2)

ولا يبعد الكفر والمعصية عن أثر الشرك بسبب بعدهما عن المقاصد المعنوية والمادية الخاصة والعامة، إنّ الكفر والمعصية نوع من العدم والتخريب، فيمكن أن يحركهما الجزء الاختياري بأمر اعتباري، فيسببان نتائج مريعة. لأن الكفر وإن كان سيئة واحدة، إلاّ أنّه تحقير لجميع الكائنات بوصمها بالتفاهة والعبثية، وتكذيب لجميع الموجودات الدالة على الوحدانية، وتزييف لجميع تجلّيات الأسماء الحسنى.فإنّ تهديده سبحانه وتعالى وشكواه باسم الكائنات قاطبة، والموجودات كافة والأسماء الإلهية الحسنى،

1 - الشعاعات 194

2 - انظر المكتوبات 333

كلّها من الكافر شكاوى عنيفة وتهديدات مريعة هو عين الحكمة وأنّ تعذيبه بعذاب خالد هو عين العدالة.[1]

إنّ الكفر والضلالة تجاوز شنيع وتعدّ رهيب، وجريمة تتعلّق بجميع الموجودات.ذلك لأنّ أهل الكفر والضلالة يرفضون الغاية السامية لخلق الكائنات التي نتيجتها العظمى عبودية الإنسان وتوجّهه بالإيمان والطاعة والانقياد للربوبية الإلهية. فإنكارهم هذه النتيجة العظمى للكون --- التي هي العلّة الغائية وسبب بقاء الموجودات --- نوعٌ من تعدٍ على حقوق جميع المخلوقات.[2]

2 - حصر الهمّة في الاستفادة الشخصية:

يقوم الكون في عناصره المادية والمعنوية على التناغم الكبير بينها، ذلك التناغم الذي يرجع في كثير من عناصر فاعليته إلى شمول عناصره والتكامل بينها وفق جعل الله لها، لهذا تستحيل الاستفادة الاجتماعية من معرفة المقاصد إذا فَنيَ المستفيد في جهة استفادته وحصر ذهنُه في طريقها وينسى ما عداها وينظر إلى كل شيء لنفسه ويحصر العلة الغائية على ما يتعلق به، فإذاً لا مجازفة في الكلام الموجَّه إلى ذلك الشخص في مقام الامتنان بأن يقال:إنّ زحل الذي أبدعه خالقه لألوفِ حِكَمٍ، وفي كل حكمة ألوفُ جهاتٍ، وفي كل جهة ألوفُ مستفيدٍ العلة

---

1 - الكلمات 544

2 - اللمعات 128

الغائية في إبداعه جهة استفادة ذلك الشخص.[1]، ومن هنا كان الإنسان من أظلم الخلق، فانظر ما أشدّه ظلماً ! فلشدّة حبّه لنفسه لا يعطي الأشياء قيمة إلاّ بمقدار خدمتها لنفسه، وينظر إلى ثمرتها بمقياس نفعها له، ويظن العلّة الغائية في الحياة عين الحياة.

متغافلا في ذلك عن مبادئ رئيسة مؤدّاها أنّ للخالق في كلّ حيّ حِكَماً تدق عن العقول.[2]

3 - التعلّق بالدنيا ومفاتنها

التعلّق بالدنيا يمنع من رؤية المقاصد الموزّعة بإحكام على الكون بعناصره المختلفة، إنّ المبتلى بحبّ هذه الحياة يحسبَ أنّ العلة الغائية في الحياة وبقائها، وأنّ كل ما أودعته القدرة الأزلية في جوهر الإنسانية وذوي الحياة من الجهازات العجيبة والتجهيزات الخارقة، إنّما أعطاها الفاطر الحكيم لحفظ هذه الحياة السريعة الزوال، ولأجل البقاء.كلا ثم كلا!.إذ لو كان بقاء الحياة هو المقصود من كتاب الحياة، لصار أظهر وأبهرُ وأنورُ دلائل الحكمة والعناية والانتظام وعدم العبثية بإجماع شهادات نظامات الكائنات، أعجَبَ وأغربَ وأنسَب مثال العبثية والإسراف، وعدم الانتظام وعدم الحكمة. كمثل شجرٍ - كجبل - ليس لها إلاّ ثمرة فردة كخردلة، بل يرجع إلى الحي من ثمرات الحياة وغاياتها

---

1 - انظر إشارات الإعجاز 224

2 - المثنوي العربي النوري 311

بمقدار درجة مالكية الحي للحياة وتصرفه الحقيقي فيها.ثم سائر الثمرات والغايات راجعة إلى المحيي جل جلاله بالمظهرية لتجليات أسمائه، وبإظهار ألوان وأنواع جلوات رحمته في جنته في الحياة الأخروية التي هي ثمرات بذور هذه الحياة الدنيوية [1]

ويولّد التعلّق بالدنيا تبديل الغاية، فتصبح كالغاية المشهورة بين أهل الغفلة التي هي جهة استفادتنا منه، من الأكل وغيره، فأقل وأحصر، وأذلّ وأصغر من أن تكون غاية تامّة لخلقة الشيء، بل هي وسيلة إحدى غاياته.[2]

4 - الإغراب في الأسلوب والمضامين

تلحق غرابة الأسلوب ضررا عظيما بالمقاصد والغايات النبيلة، فتكون سببا في عزوف الناس عن النظر إلى المقاصد نفسها، ولا يشفع لها سلامة النيات وصحة الغايات، ذلك أنّ: " الانشغال بذلك المسلك الذي يفتح مغاليق تلك الأسرار الغيبية يلحق الضرر بالعمل لأسس الإسلام، لهذا كان العمل في مسلك الوضوح أهم من ذلك المسلك وأثمن منه وأقوم، وهو محور الحاجة العامة ويُسد الحاجة الماسة للجميع بالعمل لأسس الإسلام وهو خدمة خزينة الحقائق الإيمانية والاستفادة منها، من هذا المنطلق وُجّهنا إلى سلوك هذا الطريق، لأن الانشغال بذلك

---

1 - المثنوي العربي 193

2 - المثنوي العربي النوري 466

المسلك يجعل المرء يدع أعظم المقاصد وأجلّها - وهي الحقائق الإيمانية - في درجة تالية.[1]

5 - الابتعاد عن المقاصد الشرعية سبب في تذكية الصراع

الاختلاف في الالتزام بمقتضى المقاصد الشرعية كان وما يزال وسيبقى سببا في شرارة الفتن، ذلك أنّك لا تجد بين المتصارعين اتفاقا في المقصد ولا غاية ، بل ليس على الكرة الأرضية نقطة تلاق لأفكارهم، ذلك لأنه ليس لأجل الحق، فترى فيه الإفراط البالغ دون حدود، مما يفضي إلى انشقاقات غير قابلة للالتئام. وحاضر العالم شاهد على هذا..[2]

6 - التأهّل لنيل العقوبة

يقع الإنسان جرّاء عدم انسجامه مع المقاصد الشرعية تحت طائلة استحقاق العقوبة الدنيوية والأخروية، لأن ذلك العاصي يستحق بلا ريب التهديد الرهيب كما يستحق أنواعاً من الوعيد المرعب[3]، بسبب عدم التناغم مع المقاصد الشرعية في بعديها المادي والمعنوي.حتى تغدو المظالم التي يقترفها الإنسان عند خرقه الغاية من الخلق سببا في الغضب الإلهي والسخط الرباني،

---

1 - الملاحق 148

2 - المكتوبات 348

3 - الكلمات191

تلك المظالم التي تثير هيجان الكائنات والأرض والسماء والعناصر وتؤجج غضبها على مقترفيها.[1]

7 - التحوّل السلبي

العقل عضو وآلة، إن لم تبعه - يا أخي - لله ولم تستعمله في سبيله، بل جعلته في سبيل الهوى والنفس، فإنّه يتحوّل إلى عضو مشئوم مزعج وعاجز، إذ يحمّلك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة، فينحدر عندئذٍ إلى درك آلة ضارة مشئومة، ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته وينغمس في اللهو أو السكر إنقاذا لنفسه من إزعاجات عقله؟ ولكن إذا بيع العقل إلى الله، واُستُعمل في سبيله ولأجله، فإنّه يكون مفتاحاً رائعاً بحيث يفتح ما لا يعد من خزائن الرحمة الإلهية وكنوز الحكمة الربانية فأينما ينظر صاحبه وكيفما يفكّر يرى الحكمة الإلهية في كل شيء، وكل موجود، وكل حادثة. ويشاهد الرحمة الإلهية متجلية على الوجود كله، فيرقى العقل بهذا إلى مرتبة مرشدٍ رباني يهيئ صاحبه للسعادة الخالدة.[2]

الغفلة عن المقاصد الشرعية يوقع الإنسان فريسة لتحوّل - غير مقصود أحيانا-في الغايات والمقاصد، كاعتقاد عظماء الفلسفة وروادها ودهاتها، أمثال أفلاطون وأرسطو وابن سينا والفارابي بأن الغاية القصوى لكمال الإنسانية هي" التشبّه

---

1 - انظر الشعاعات 306 ، الكلمات 529

2 - الكلمات 23

بالواجب"! أي بالخالق جلّ وعلا، فأطلقوه حكماً فرعونياً طاغياً، ومهّدوا الطريق لكثير من الطوائف المتلبسة بأنواع من الشرك، أمثال:عَبدة الأسباب وعَبدة الأصنام وعبدة الطبيعة وعبدة النجوم، وذلك بتهييجهم" الأنانية" لتجري طليقة في أودية الشرك والضلالة، فسدّوا سبيل العبودية إلى الله، وغلّقوا أبواب العجز والضعف والفقر والحاجة والقصور والنقص المندرجة في فطرة الإنسان، فضلوا في أوحال الطبيعة ولا نجوا من حمأة الشرك كلياً ولا اهتدوا إلى باب الشكر الواسع.[1]

إهمال المقاصد من الجماعة أو نسيانها يوقع الإنسان فريسة للأنانية، فتتحوّل الأذهان إلى أنانيات الأفراد وحامت حولها[2]خادمة وخاضعة لمطالبها الآنية.

8 - إهمال التكليف

المقاصد الكلية وضعت متكيّفة ومتناغمة مع معطيات الزمان وضرورات الظروف، وهذا يؤكّد بما لا يدع مجالا للشك أنّها وضعت في أصلها لمقاصد مرتبطة أساسا بحقائق التكليف، ذلك أنّ مقاصد التكاليف الشرعية طلب لتجلي المقاصد الكلية؛فالمكلّف مطالب بتكييف نفسه مع الشريعة التزاما بأوامرها و تركا لما نهت عنه.

1 - الكلمات 642

2 - انظر اللمعات851، المكتوبات41

إنّ الغفلة عن المقاصد المبثوثة في الآيات المسطورة تكرّس إهمال التكاليف الشرعية المرتبطة أساسا بالابتلاء، ولمّا كان الابتلاء والاختبار من مقتضيات التكليف الإلهي المرتبط بالتأسيس للحرية - أساس التكليف - يرى الأستاذ أنّ المعجزة ليست مُرغِمةً على التصديق - أي سواء أراد الإنسان أم لم يرد - ، ذلك أنّ سر الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معاً فتح مجال الاختيار أمام العقل من دون سلب الإرادة منه. فلو ظهرت المعجزة ظهوراً بديهياً ملزماً للعقل كما هو شأن البديهيات لما بقي للعقل ثمة اختيار، ولصدَّق أبو جهل كما صدّق أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ولانتفت الفائدة من التكليف والغاية من الامتحان، ولتساوى الفحم الخسيس مع الألماس النفيس[1]، فالتسليم بالعدل الإلهي يفرض القول بالحرية ومقتضياتها المؤسسة لقبول فكرتي الحساب والعقاب.

---

1 - المكتوبات 118

الخاتم--ة

انطلق البحث من مجموعتين متشاكستين من الفرضيات، وبعد البحث المستقصي انتهى الباحث إلى أنّ مصطلح المقاصد في رسائل النور فكرة مركزية هادية، يستلهمها بديع الزمان في وضع المقاصد الكلية وفروعها، وتمثّل تلك المقاصد ثمرة من ثمرات القرآن الكريم، تمثّل الأستاذ النورسي مضمونها وحاول النسج على منواله في عرضها، بحيث بدت صورة مستلة منها.

استقى بديع الزمان المقاصد من القرآن الكريم والسنة المطهّرة بما فيها السيرة العطرة للنبي ρ، كما استثمر الجهد البشري في تأكيد تلك المقاصد، واستجابة لدواعي الزمان وضع بديع الزمان مقاصد جزئية فرعية مندمجة في المقاصد الكلية المستفادة من القرآن الكريم والسنة المطهّرة.

وقد أكّدت تلك الفرضيات بمجموعها أهمية المقاصد في درس رسائل النور من جهة واكتشاف أبعادها من جهة أخرى، بحيث تغدو بمعزل عنها أشبه بنص يؤسس للعبثية.

وبهذا نستبعد المجموعة الثانية من الفرضيات، فيؤكّد العرض أنّ مقاصد الرسائل ليست مكابدة خاصة بمعزل عن نصوص الوحي، بل تعدّ معرفة وتقعيدا منبعثا من شمس المعرفة الإلهية المسطورة في الوحي والمنظورة في الكون والمؤيّدة بالواقعين الكوني والبشري، إنّها وإن كانت في بعض جزئياتها من مقتضيات التكيّف مع معطيات الزمان والمكان، فهذا لم يدفع

الأستاذ النورسي إلى تأسيس مقاصد مزاحمة يفرضها التكيّف مع ثقافة الغازي، بل كانت في كثير منها مندمجة مع المقاصد الأصلية المستفادة من الوحيين، ليس هذا فحسب بل كانت محدّدات أساسية لتلك للمقاصد المرسومة في حدود الظروف الراهنة، مما يقرر أنّ للمقاصد الكلية أهمية معرفية وتربوية كبيرة، لا تقلّ أهمية عن المقاصد في الزمان و ذلك لأهميتها العظيمة في فهم كيفيات التعامل مع الظروف وأثر ذلك في فهم ترتيب الأولويات ماضيا والإفادة منه حاضرا ومستقبلا

وقد عرضنا ما يؤكّد أنّ المقاصد مصطلح محدّد المعالم، يمكن أن نلحق به مجموعة من التوابع، كالغاية والهدف والنتيجة والحكمة والفائدة و...وأنّ لتلك المقاصد رتبا وتقسيمات متباينة، فكانت منها تقسيمات خاصة كالمقاصد الإلهية والمقصد الحقيقي ومقصد المقاصد والمقصد العالي، و...إضافة إلى تقسيمها إلى مقاصد كلية وجزئية، ومقصد أصلي ومقصد تبعي...

وقد عرضت المقاصد الكلية في رسائل النور عرضا رائعا بصيغ تدل على الغاية التربوية والمنهجية التي تحكم العرض، فكانت المقاصد الكلية جواب لأسئلة متكررة متفاوتة، تنوّعت صيغ التعبير عنها، فظهرت في صيغة التكامل بين الجزئي الكلي، وظهرت في صيغ المقاصد الفرعية المندمجة في المقاصد الكلية.

استقى الأستاذ تلك المقاصد من القرآن الكريم السنّة المطهّرة والسيرة الشريفة إضافة إلى شهادة الواقع الكوني والبشري، وتمثّل تلك المقاصد في الوحيين، أعلى مقام الكلمات، وتتميّز بالتناسب والتسلسل والتساند فيما بينها، ورعاية الفطرة والمطابقة، والتوزّع على نص الوحي، غرضها تثبيت القاعدة الكلية بأمثلة جزئية والإجابة عن أسئلة مكررة بوضوح وبساطة تيسّر تفسير الحياة والكون.

تمثّل النورسي ميزات عرض المقاصد في الوحيين، فظهرت المقاصد متناثرة بإحكام على النص النوري (رسائل النور)، وتجلّت فيها الحكمة المعرفية بمختلف وجوهها وتعدد وظائفها، إضافة الحكمة التربوية كالدعوة للاستغفار قدر العدد اللانهائي من تناثر المقاصد، والدعوة إلى الحسن والخير والحق والكمال...

حصرت رسائل النور مقاصدها في التوحيد والنبوة (الرسالة) والحشر إضافة إلى العدل مع العبادة، فبيّن في ثنايا الحديث عنها أساليب عرضها، وأهميتها في العبادة.

وقد بيّنت جميع المقاصد الرئيسة(التوحيد والنبوة والحشر) أنّ العدالة أقسام عدّة، أولها محضة وإضافية، وأخرى سلبية وإيجابية، وثالثة عدالة منظورة وعدالة مسطورة، وهي بتفاصيلها إضافة إلى ما سلف، حجة على إثبات وتثبيت تلك المقاصد.

تمثّل المقاصد الرئيسة الآنفة الذكر يفرض ترتيب الأولويات، بمعنى وضع مقاصد مرحلية مندمجة مع الأصلية المشار إليها

أعلاه، من هنا كان للأستاذ مقاصد في الزمان، يمكن تلخيصها في الأمن والنظام والحرية والعدالة، وحصول صحوة إسلامية، وإنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن، ولهذا المقصد أهداف كثيرة، منها، المصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة، رسم أقصر طرق الفعالية، نشر قيم الخير وصد الشر، التأسيس للتواصل الإسلامي والإنساني، تحقيق الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبّة وإعلاء كلمة الله.في طريق الشكر والعبادة ، والشفقة والمحبّة.، وإعطاء الحياة معنى، بإنقاذ الإنسان والاستجابة لحاجاته، لتجاوز الهلاك.وتليين القلوب، والقيام بوظيفة الخدمة، وخدمة الإيمان.

وانتهينا بعد ذلك العرض إلى تأكيد أبعاد أهمية بحث المقاصد، فهي إضافة على أهميتها الإيمانية، لها أهمية نفسية واجتماعية وفكرية ومنهجية.

فهرس الكتاب

12 - الحكمة الموزّعة على كل مظاهر الكون.
13- تقسيم الأعمال وتكاملها
ثانيا: الحكمة التربوية
1 - الدعوة للاستغفار قدر العدد اللانهائي من تناثر المقاصد
لا يكافئ عددها ما لانهاية له من الاستغفار
2 - تناثر المقاصد تذكير دائم في كل المظاهر الكونية
3 - الدعوة إلى الحسن والخير والحق والكمال
4 - اكتشاف قيمة الإنسان
5 - ظهور قيمة الأشياء مهما صغرت في تناثر المقاصد على الكون
6 - اظهار الوظائف الجزئية للأشياء
7 - أكتشاف التناغم مع الفطرة
8- الصلة بين المكوّنات من تناثر المقاصد
الفصل الثالث: المقاصد الكبرى في رسائل النور
تمهيد : مقاصد المقاصد والمقاصد الكلية للقرآن الكريم وفق بيان النورسي
المقاصد الأساسية للقرآن الكريم
أولا : المقصد الأول : التوحيد
النقطة الأولى: أساليب القرآن الكريم في التعبير عن مقصد التوحيد
1 – أسلوب التأسيس للتوحيد
أ – أسلوب المحاججة العقلية
ب – أسلوب التذكير (مخاطبة الوجدان –القلب-)
ج- التركيب بين مخاطبة العقل والوجدان
د- عرض من طبيعة مخصوصة
2 – أسلوب إبطال أقوال المناوئين للتوحيد
3 – مميزات أسلوبي التأسيس والإبطال
أ – البساطة والوضوح
ب - المحاججة العقلية
ج- التذكير الوجداني
د – التركيب بين برهان العقل ومخاطبة الوجدان
ه–- ضرب الأمثلة
و– المسعى الهادف وتجاوز العبثية
النقطة الثانية: أهمية التوحيد اجتماعيا

ثانيا: المقصد الثاني : النبوة

تمهيد

1- النبوة والنظام الكوني

أ - النبوة جزء من نظام الكون.

ب – دلالة الكون على النبوة

2- أهمية النبوة في العبادة

أ- النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام

ب – نعوته عليه الصلاة والسلام.

ج – دلالات حضور اسم النبي غي ألفاظ الشهادة.

د – النبي الأسوة الأكمل.

3 – حجج إثبات نبوة سيّدنا محمد عليه الصلاة و السلام.

فرشة: الحرية و النبوة ثم النبوة والحرية.

أ – القرآن الكريم حجة النبي عليه الصلاة والسلام.

ب – دلالة الأسماء الحسنى على النبي.

ج – معجزاته عليه الصلاة والسلام.

د – النبي برهان النبوة.

ه- - النبي برهان التوحيد.

و – تجلّي الأسماء الحسنى في النبوة.

ز – شهادة الكائنات.

ح – الدليل الأخلاقي و الاجتماعي على النبي.

ط – الإنسان برهان النبوة.

4- مسالك إثبات النبوة عند بديع الزمان النورسي.

أ – المسلك الأول:معرفة ذاته وصفاته

ب – المسلك الثاني:معرفة تاريخه أكبر شاهد على نبوته.

ج – المسلك الثالث:بيان الحال الحاضرة وشهادتها على النبوة.

د – المسلك الرابع:مسألة الشريعة التي تمثّل صحيفة المستقبل.

ه- -المسلك الخامس:إثبات النبوة بالمعجزات و الخوارق المعروفة.

5 – مميزات إثبات النبوة.

أ –التناغم مع سائر النبوات من جهتي المضمون و المصدر:

ب – إنسانية الغاية والمقصد.

ج – التناغم مع الكون.

6 – المقاصد المندمجة في النبوة و الرسالة وأسس الحاجة إليها.

أ - المقاصد المندمجة في النبوة و الرسالة.

ب – أسس الحاجة إلى النبوة الخاتمة.

ثالثا: المقصد الثالث: الحشر

1 - منـزلة الإيمان بالحشر في الإسلام

أ- أهميته في العبادة

ب - الحشر ضرورة منطقية وعقلية وكونية

2- أساليب عرض القرآن الكريم لمسألة الحشر

أ – بسط المقدّمات المنهجية لحجج قطعية

ب – تنويع الأدلة على الحشر

ج – ربط فاعلية الإنسان في الحياة بالإيمان بالحشر

3- تعدّد أدلة اثبات الحشر

أ- خطاب الإنكار على المشاغب والمعاند

ب - إثبات الحشر بأدلة النبوة

ج - براهين القرآن الكريم على المقصد الرابع"مسألة الحشر"

البرهان الأول: استصعاب فهم نظام العالم

- الشريعة مظهر العدالة
ج – العدالة والمقصد الثالث(الحشر أو المعاد)
- عقوبة الظالم مظهر من مظاهر العدالة
- الآخرة وتجلي العدالة
- المضمون الفكري والتربوي والاجتماعي لرؤية العدالة كمقصد
* المضمون الفكري لرؤية العدالة
* العدالة وتبادل ثمرات السعي
- العدالة وتبادل ثمرات السعي
- العدالة حاجة نفسية(تسلية قلوب المظلومين)
- رؤية العدالة يؤسس للتعامل الإيجابي مع الدنيا
- الآثار السلبية لمجافاة العدالة
- العزوف عن العدالة وما تسببه من عزلة كونية واجتماعية
* التناقض مع الكون
* العذاب المعنوي والمادي
- العدالة مظهر الالتزام بالفضائل الإسلامية
الفصل الرابع :مقاصد رسائل النور في الزمان
أولا: الأمن والنظام والحرية والعدالة.
ثانيا: حصول صحوة إسلامية
ثالثا: إنقاذ الإيمان والأعتصام بالقرآن، ولهذا المقصد أهداف كثيرة منها:
1 – المصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة.
2 – أقصر طرق الفعالية.
3 – مصدر قيم الخير وضد الشر.
4 – أساس التواصل الإسلامي والإنساني.
5 –طريق تحقيق الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبّة وإعلاء كلمة الله.
6– أساس الشكر والعبادة .
7– التأسيس القلبي والعقلي للشفقة والمحبّة.
8– إنقاذ الإيمان يعطي الحياة معنى.
9- إنقاذ الإنسان والاستجابة لحاجاته.
10 – تجاوز الهلاك.
11- تليين القلوب
12 - القيام بوظيفة الخدمة.
13 - خدمة الإيمان.

14 - نيل مرضاة الله.
رابعا: بعث الصلة بين الإيمان و الأخلاق.
خامسا: الأخوة والمحبّة والتضحية.
سادسا: الاتّحاد بين أهل الإيمان.
سابعا: دفع الأمراض الاجتماعية بالإيمان.

الفصل الخامس : أبعاد أهمية بحث المقاصد ومفسدات فاعليتها

النقطة الأولى:أبعاد أهمية بحث المقاصد

أولا: الأهمية الإيمانية
- يوضّح طريق العروج للآخرة
ثانيا: الأهمية النفسية
ثالثا: التشجيع على العمل والبذل المستمر
1 - إيجاد دافع التضحية
2 -تحمّل تبعات السير في مسلك الإيمان
رابعا: دفع الغفلة العامة
خامسا: أهميته في صناعة الوعي
سادسا: أهمية المقاصد في تنبيه المخاطب
1- التخلق بالأخلاق الإلهية
2- التنبيه العلمي والمنهجي
أ - الكشف عن أهمية الكتاب الكريم
ب - التنبيه إلى البعد المنهجي
3 – السننية في التفكير
أ - رؤية الحكمة
ب - تيسّر تفسير سير الحياة وتنظيم الكون
سابعا: أهمية المقاصد في التأسيس للبعد الاجتماعي
1 - الكشف عن قيمة الإنسان
2 – طريق جلب السعادة الدنيوية
3 – عنصر قوّتنا المادية والمعنوية
4 - اكتشاف حكمة الوظيفة
5 - التعرّف على الحكمة

النقطة الثانية:مفسدات فعالية المقاصد

1 - النظر إلى الكون من زاوية الشرك
2 - حصر الهمّة في الاستفادة الشخصية
3 - التعلق بالدنيا ومفاتنها
4 - الإغراب في الأسلوب والمضامين